

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

تأليف

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

نسخة عليها تخریجات فضيلة الشيخ

ناصر الدين الألباني

تحقيق

محمد زين علي حيدلوة



مكتبة العلوم والحكم
مصر

مكتبة الرشد
مصر

حَدِيثُ الْأَفْرَاجِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاجِ

تَأَلَّفَ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ شَيْخِ الدِّينِ بْنِ قَسِيمٍ الْحَوْزِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥١ هـ

نسخة جديدة ومحققة على تخريجات الشيخ الألباني

خرج أحاديثه وعلق عليه

محمد بن علي بن حلاوة

مكتبة العلوم والحكم

مصر

مكتبة عباد الرحمن

مصر

للطبع والنشر والتوزيع

جَادِي الْأَفْرَاجِ
إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاجِ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٢٠٠٤/١٩٧٦٦	رقم الايداع
------------	-------------

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد ، ، ،

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة من النار .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد ، ، ،

فهذا كتاب قيم لعالم قيم وهو ابن القيم ، فريد فى بابيه ، هام فى موضوعه يتحدث فيه « عن صفة الجنة » ، وهو كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وهو

اسم يطابق مسماه ، ولفظ يوافق معناه ، قد طار هذا الكتاب فى الأقطار ، وسار فى الأمصار ، وفاق فى الاشتهار على الشمس فى رائحة النهار.

وقد اجتهد ابن القيم فى جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب وحاد للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، تمتع لقارئه ، ومشوق للناظر فيه ، لا يسأله الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ، على ما لعل المجتهد فى الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب ، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات ، والآثار الموقوفات ، والأسرار المودعة فى كثير من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا ، فهو مثير ساكن الغرما إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العاليات ، إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات.

وقد قسم ابن القيم الكتاب إلى تسعة وستين بابا ، تناول فيه بيان وجود الجنة ودرجاتها ، واسم تلك الدرجات ، كما تكلم عن صفة أبوابها ، وأسمائها ، وطعام أهلها وشرابهم ، ولباسهم وحليهم... إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بها ، فهو كتاب لا يستغنى عنه كل مسلم.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن نكون من أهل الجنة ، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

إنه نعم المولى ونعم النصير

المحقق

عملى فى هذا الكتاب

١- عزو الآيات القرآنية لأماكنها فى السور.

٢- قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة فى الكتاب ، فإذا كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما ، إن لم يكن انتقد عليهما ، وإذا كان الحديث خارج الصحيحين حاولت قدر استطاعتي الحكم عليه بما يستحق صحة وضعفا ، مع الاختصار قدر استطاعتي لعدم إثقال الكتاب بالخواشى .

هذا ، وأسأل الله أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنى به والمسلمين ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم الدين.

هذا ، وما كان من توفيق فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله وروسله منه براء والله المستعان .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله ، محمد بن على بن حلاوة

مصر - كفر الشيخ - البرلس

نزىل منية سمند

ترجمة للمؤلف

اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله شمس الدين بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ثم الدمشقى ، المعروف بابن قيم الجوزية .

مولده :

ولد - رحمه الله - فى اليوم السابع من شهر صفر عام ٦٩١ هـ ، فى قرية زرع من قرى حوران ، تبعد عن دمشق خمسة وخمسين ميلا جنوب شرقها .

شيوخه :

تتلمذ ابن القيم - رحمه الله - على جم غفير من مشاهير علماء المسلمين ، فقد أخذ علم العربية عن ابن أبى الفتح البعلى ، كما أخذ علم الفقه وأصوله عن صفى الدين الهندى ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

تلاميذه :

تتلمذ على يديه - رحمه الله - جم غفير أصبحوا بعد ذلك علماء الدنيا منهم : الحافظ ابن رجب الحنبلى ، والعلامة المفسر ابن كثير ، والحافظ أحمد ابن عبد الهادى ... وغيرهم كثير .

ثناء العلماء والحفاظ عليه :

قال عنه ابن رجب الحنبلى : كان عالما بالتفسير ، لا يجارى فيه ، وإليه ينتهى أصول علم الحديث .

وقال عنه الحافظ المزى : هو فى هذا الزمان كابن خزيمة فى زمانه .

وقال عنه الحافظ ابن كثير : لا أعرف فى هذا العالم فى زماننا أكثر عبادة منه .

وقال عنه القاضي الزرعي: ما تحت أديم السماء أوسع منه علما.

وقال عنه الإمام الذهبي: كان عالما بالحديث ومتونه ، وكان يشتغل بالفقه ويحيد تقريره.

وقال ابن رجب: شيخنا ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وسمع من الشهاب النابلسي وغيره ، وتفقه في المذهب وبرع وأفتى ، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الإسلام ، وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه وبأصول الدين ، وإليه فيه المنتهى والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك ، وعالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ومتونه وبعض رجاله ، وقد حبس مدة لإنكاره شد الرحيل إلى قبر الخليل وتصدر للاشتغال ونشر العلم ، وقال ابن رجب: وكان - رحمه الله - ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى وتأله ولهج بالذكر وشغف بالحجة والإنابة والافتقار إلى الله - تعالى - والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ولا أعرف بمعاني القرآن والحديث والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ وكان في مدة حبسه مشغلا بتلاوة القرآن والتدبر والتفكير ، ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة

فى السنة ، وأشياء من تصانيفه وغيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به ، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له كابن عبد الهادى وغيره.

مؤلفاته : ألف ابن القيم - رحمه الله - تصانيف كثيرة ، طبع منها الكثير ، ولا زال البعض منها فى خزائن المخطوطات ، نذكر من مؤلفاته:

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين
- الداء والدواء
- الطب النبوى
- الروح
- الوابل الصيب من الكلم الطيب
- أعلام الموقعين
- بدائع الفوائد
- مدارج السالكين
- زاد المعاد
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين
- شفاء العليل
- أخبار النساء
- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، والذى نحن بصدده الآن... وغيرها كثير.

وفاته:

توفى فى ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء وصلى عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموى ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، ونفعنا بعلمه اللهم آمين^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل جنان الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا ، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا ، خلقها لهم قبل أن يخلقهم وأسكنهم ويسرهم إياها قبل أن يوجد لهم ، وحفها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملا ، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا ، وأودعها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله ، فهي خير البشر على لسان خير البشر ، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا . والحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم سدى ، ولم يغفلهم هملا ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهياهم لخطب جسيم وعمر لهم دارين ، فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبع سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا . والحمد لله الذي رضى من عباده باليسير من العمل وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام ، فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتفريق من شاء نعمة ومنة وفضلا ، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين بعثه للإيمان مناديا ، وإلى دار السلام داعيا ، وللخليقة هاديا ، ولكتابه تاليا ، وفى مرضاته ساعيا ، وبالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسد إلى الجنة جميع الطرق ، فلم يفتحها لأحد إلى من طريقه ، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين ، فسبحان من شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره فدعا إلى الله وإلى جنته سرا وجهارا ، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا إلى أن طلع فجر الإسلام وأشرقت شمس الإيمان وعلت كلمة الرحمن وبطلت دعوة الشيطان ، فأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتآلفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسنا وأصبح الظلام ضياء ، واهتدى كل حيران ، فلما أكمل الله به دينه وأتم به نعمته ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده وجاهد فى الله حق جهاده ، خيره بين المقام فى الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختر لقاء ربه محبة له وشوقا إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى ، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعهم على أثره إلى جنات النعيم ،

وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢] ، فصلى الله وملائكته وأنبيأؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه ، كما وحد الله وعبده وعرفنا به ودعا إليه.

أما بعد ، ، ،

فإن الله - سبحانه وتعالى- لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، عرض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعنا وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغى بها بدلا ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة^(١) لا ينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبى إلى دار القرار ، ولا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس وغاب عنهم داعى العقل ، وشملتهم الغفلة « وغرتهم الأمانى الباطلة والخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل وران^(٢) على قلوبهم سوء العمل ، فهم فى لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بأخرتهم طاروا إليه ذرافات ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من

(١) السائمة: هى الدابة المرسلة فى مرعاها.

(٢) ران: بمعنى طبع وطفى.

الله ولا رضوانا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ [سورة الروم: ٧] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحشر: ١٩] ، والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلا أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته ، لا لما سبق من جنائياته ، وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته ، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال: قد أنبأنا الله أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

فصل

فى نعيم الجنة

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم ، فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضع لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغنى^(١) بيع ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فى أبد لا يزول ولا ينفد بصبابة عيش ، وإنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالنغص ، وإن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وإن سر يوما أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متالف فيا عجباً من سفيه فى صورة مكيم ، ومعتوه فى مسلخ عاقل ، أثر الحظ

(١) الغنى: هو الغش والخداع.

الفانى الخسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار بأعطان^(١) ضيقة آخرها الخراب ، والبوار ، وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخذان ، وحورا مقصورات فى الخيام ، بخبيثات مسيات بين الأنام ، وأنهارا من خمر لذة للشاريين ، بشراب نجس مذهب للعقل ، مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم ، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحبوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا له ، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لـ ذيدة حبا لذكرك فليلمنى اللـوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا ، وسبق المجرمون إلى جهنم وردا ، ونادى المنادى على رءوس الأشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرّة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته ، وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم

(١) أعطان: جمع عطن ، وهو مبرك الإبل حول الماء.

أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه^(١) الآفات ، ولا يلحقه الزوال ،
وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال ، فهم فى روضات الجنة يتقلبون
وعلى أسرتهى تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق
يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون ، و ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٧﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا
يُنَزَّفُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيكِهِ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢١﴾
كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة الواقعة: ١٧ - ٢٤] ،
و ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ
الْأَعْيُنُ ۚ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٧١] .

تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد ، فما قلب ولا استام إلا أفراد من
العباد ، فوا عجباً لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها !
وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق
القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف
صبرت عنها أنفوس الموقنين؟ وكيف صدف عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأى
شئ تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

شعر فى وصف الجنة :

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها
 وإن حجبت عنا بكل كريهة
 قلله ما فى حشوها من مسرة
 والله برد العيش بين خيامها
 والله واديهما الذى هو موعد المز
 وما ذاك إلا غيرة أن ينالها
 وإن حجبت عنا بكل كريهة
 قلله ما فى حشوها من مسرة
 والله برد العيش بين خيامها
 والله واديهما الذى هو موعد المزيد
 بذيلك الوادى يهيم صباة
 والله أفراح الخبين عندما
 والله أبصار ترى الله جهرة
 فى نظرة أهدت إلى الوجهة نضرة
 والله كم من خيرة إن تبسمت
 فى لذة الأبصار إن هى أقبلت
 ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت
 فإن كنت ذا قلب عليل بحبها
 ولا سيما فى لثمها عند ضمها
 تراه إذا أبدت له حسن وجهها
 تفكه منها العين عند اجتلائها
 عناقيد من كرم وتفاح جنة
 وللورد ما قد ألبسته حدودها
 تقسم منها الحسن فى جمع واحد
 لها فرق شتى من الحسن أجمعت
 تذكر بالرحمن من هو ناظر
 إذا قابلت جيش المموم بوجهها

سوى كفنها والرب بالخلق أعلم
 بما يؤذى النفوس ويؤلم
 وأصناف لذات بها يتنعم
 وروضاتها والشجر فى الروض يسم
 يد لوفد الحب لو كنت منهم
 سوى ، كفنها والرب بالخلق أعلم
 وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
 وأصناف لذات بها يتنعم
 وروضاتها والشجر فى الروض يسم
 لوفد الحب لو كنت منهم
 محب يرى أن الصباة مغنم
 يخاطبهم من فوقهم ويسلم
 فلا الضيم يغشاه ولا هى تسأم
 أمن بعدها يسلمو الحب المتيم
 أضاء لها نور من الفجر أعظم
 ويا لذة الأسماع حين تكلم
 ويا خجلة الفجرين حين تبسم
 فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
 وقد صار منها تحت جيدك معصم
 يلذ به قبل الوصال ويتنعم
 فواكه شتى طلعتها ليس يعدم
 ورومان أغصان به القلب مغرم
 وللخمر ما قد ضمه الرقيق والفم
 فى عجا من واحد يتقسم
 بجملتها إن السملو محرم
 فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
 تولى على أعقابها الجيش يهزم

فهذا زمان المهر فهو المقدم
تيقن حقا أنه ليس يهرم
فهذا زمان المهر فهو المقدم
فتحظى بها من دونهن وتنعم
مثلك في جنات عدن تأيم
تفوز بعيد الفطر والناس صوم
فما فاز باللذات من ليس يقدم
ولم يك فيها منزل لك يعلم
منازلنا الأولى وفيها المخيم
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وشطت به أوطانه فهو مغرم
لها أضحت الأعداء فينا تحكم
بون ذاك السوق للقوم يعلم
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
زيارة رب العرش فالיום موسم
وتربته من إذفر المسك أعظم
ومن خالص العقيان^(١) لا يتقصم
لمن دون أصحاب المناير يعلم
وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
بأقطارها الجنات لا يتوهم
فيضحك فوق العرش ثم يكلم
بآذانهم تسليمه إذ يسلم
تريدون عندي إننى أنا أرحم
فأنت الذى تولى الجميل وترحم
عليه تعالى الله فالله أكرم
كأنك لاتدرى ، بلى سوف تعلم
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

فيا خاطب الحسنة إن كنت راغبا
ولما جرى ماء الشباب بغصنها
فيا خاطب الحسنة إن كنت راغبا
وكن مبغضا للخائنات لحبها
وكن أيما ممن سواها فإنها
وصم يومك الأدنى لعلك في غد
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها
فحى على جنات عدن فإنها
ولكننا سبى العدو فهل ترى
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وأى اغتراب فوق غربتنا القى
وحى على السوق الذى فيه يلتقى الخـ
فمهما شئت خذ منه بلا ثمن له
وحى على يوم الزيد الذى به
وحى على واد هنالك أفصح
منابر من نور هناك وفضة
وكتبان مسك قد جعلن مقاعدا
فينا همو في عيشهم وسرورهم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له
تجلى لهم رب السماوات جهرة
سلام عليكم يسمعون جميعهم
يقول سلوئى ما اشتهيتم فكل ما
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا
فيعطيههم هذا ويشهد جمعهم
فيا بائعا هذا ببخس معجل
فإن كنت لاتدرى فتلك مصيبة

فصل

فى فضل هذا الكتاب

وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب وحاد للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه ، ومشوق للناظر فيه ، لا يسأله الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائض القلائد على ما لعل المجتهد فى الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب ، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات ، والآثار الموقوفات ، والأسرار المودعة فى كثير من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات والتنبية على أصول من الأسماء والصفات ، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات ، إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات.

وسميته « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » ، فإنه اسم يطابق مسماه ولفظ يوافق معناه ، والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت ، فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة ، بما أعد الله لهم فى الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة ، وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج على سنته فهم أعداؤه وحربه ، لا تأخذهم فى نصرة سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام ، والسنة أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا ، أو بحثا جدليا ، أو

خيالا صوفيا ، أو تناقضا كلاميا ، أو قياسا فلسفيا ، أو حكما سياسيا ، فمن قدم عليها شيئا من ذلك ، فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مسدود.

فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه ، ولك صفوه ، وعليه كدره وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك ، وبنات أفكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان ، وإن كان غيره فالله المستعان ، فما كان من صواب فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله برىء منه ورسوله.

وقد قسمت الكتاب سبعين بابا .

والله - سبحانه - هو المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، مدنيا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم ، وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه ، وأن ينفع به من انتهى إليه ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

فى بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم ، فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات ، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها ، وقالوا: ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ، ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ، ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه ! فحجروا على الرب - تعالى - بقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة ، وشبهوا أفعاله بأفعالهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا ، وبدعوا من خالفهم فيها ، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ؛ ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين »: جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله - تعالى - على عرشه ، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥] ، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] ، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة القمر: ١٤] ، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧] ، وأن أسماء الله - تعالى - لا يقال: إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله علما كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [سورة النساء: ١٦٦] ، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [سورة فاطر: ١١] ، وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [سورة فصلت: ١٥] ، وقالوا: إنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئته الله ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠] ، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقالوا: إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا

أنه لا خالق إلا الله - تعالى - وأن أفعال العباد يخلقها الله - تعالى - وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله - تعالى - وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله - تعالى - يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره ، وخيره وشره ، وحلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم إلى الله ، ويشتون الحاجة إلى الله فى كل وقت ، والفقر إلى الله فى كل حال ، ويقولون: إن القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، والكلام فى الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال: غير مخلوق ، ويقولون: إن الله - تعالى - يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ؛ لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٥] وأن موسى - عليه السلام - سأل الله - سبحانه وتعالى - الرؤية فى الدنيا ، وأن الله - تعالى - تجلّى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة ، ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ، كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر.

والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، كما جاء فى

الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان ، ويقولون بأن الله مقلب القلوب ويقولون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبعذاب القبر ، وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ، والوقوف بين يدي الله - تعالى - حق ، ويقولون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون: أسماء الله هي الله -تعالى- ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله - تعالى - ينزلهم حيث شاء ، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله - تعالى - يخرج قوما من الموحدين من النار ، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى يتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون: كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون: إن الله - تعالى - لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه وأمر بالخير ، ولم يرض بالشرك وإن كان مريدا له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله - تعالى - لصحة نبيه ﷺ ، يأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا - رضى الله عنهم - ويقولون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ : « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر ؟ »^(١)

(١) أخرجه البخارى (٦٣٢١) ، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ».

كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء: ٥٩]. ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله ويقولون أن الله - تعالى - يجرى يوم القيامة كما قال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر: ٢٢] ، وأن الله - تعالى - يقرب من خلقه كيف شاء ، كما قال: ﴿ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق: ١٦] . ويرون العيدين والجمعة ، والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر ، ويشتون المسح على الخفين سنة ، ويرونه فى الحضر والسفر ، ويشتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا فى الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم - عليه السلام - يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج ، والرؤيا فى المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون أن فى الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر كما قال الله - تعالى ^(١) ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا. ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقولون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله ، وكذلك كل من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله - تعالى - يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه

(١) المقصود: قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله - تعالى - بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله - تعالى - عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله - تعالى ، ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله - تعالى - والانتفاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله في العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخور والكبر والازدراء على الناس والعجب ، ويرون مجانية كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب .

فهذه جملة ما يأمرهم به ويستعملونه ، ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير .

والمقصود: حكايته عن جميع أهل السنة والحديث: أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ؛ ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة ، وأن أهل هذه المقالة هم أهلها ، وبالله التوفيق .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۖ ﴾

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿ ١٤ ﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿ ١٥ ﴾ [سورة النجم: ١٣ - ١٥] ،

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى ، كما فى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الإسراء وفى آخره: « ثم انطلق

جبريل حتى انتهى إلى سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا تراها المسك»^(١).

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»^(٢). وفى المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث بطوله - وفيه: فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها...» ، وذكر الحديث^(٣).

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال: فيأتيه ملكان فيقعدهان فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه

(١) البخارى (٣٤٩) ، (٣٣٤٢) ، ومسلم (١٦٣).

(٢) البخارى (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) إسناده حسن أخرجه أحمد [٢٨٧/٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧] ، وأبو داود (٤٧٥٣) ،

(٤٧٥٤) ، والحاكم (٣٧/١) ، (٣٨ ، ٣٩) ، وغيرهم من طرق عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء بن عازب

قلت: والأعمش إن كان يدلس ، فقد رواه الأئمة الحفاظ عن الأعمش منهم شعبة ، وقد

صرح الأعمش بالسماع ، وزاذان عن البراء كما عند أبى داود والحاكم . قال الحاكم : قد

رواه سفيان بن سعيد ، وشعبة بن الحجاج وزائدة بن قدامة ، وهم الأئمة الحفاظ ، عن

الأعمش.

قلت: وقد صححه عدد من أهل العلم منهم الحاكم ، والبيهقى .

عبد الله ورسوله . قال: فيقولان له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة ، قال نبي الله ﷺ : « فيراهما جميعا »^(١). وفي صحيح أبي عوانة الإسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح: « ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله - تعالى - أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي ، فيقال: اسكن »^(٢).

وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال: شهدنا مع النبي ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: « أيها الناس ، إن هذه الأمة تبلى في قبورها ، فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمدا ﷺ ، فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده رسوله فيقولون له: صدقت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون: هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذا آمنت به فهذا منزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة ، ف يريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له: اسكن... » وذكر الحديث^(٣). وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله - تعالى - لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى

(١) البخاري (١٣٣٨) (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) إسناده حسن وقد سبق.

(٣) صحيح لشواهده أخرجه أحمد [المسند] [٣/٣ ، ٤] وغيره من طريق عباد بن راشد عن

داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

وعباد بن راشد فيه ضعف ، وللحديث شواهد ، منها ما أخرجه البخاري (٣٣٨) بنحوه ، والفقرة الأولى من الحديث (أن هذه الأمة تبلى في قبورها) لها شاهد من حديث زيد بن ثابت عند مسلم (٢٨٦٧).

« الصلاة »^(١). وقال رسول الله ﷺ: « رأيت في مقامى هذا كل شيء وعدتم ، حتى لقد رأيتنى آخذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت ».

وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه فقال: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك تكعكت^(٢) ، فقال: « إني رأيت الجنة وتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظرا كالיום قط أفطع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » قالوا: بم يا رسول الله ؟ قال: « بكفرهن » قيل: أيكفرن بالله ؟ قال: « يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط »^(٣).

وفى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبى ﷺ فى صلاة الخسوف قال: « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجتكم بقطاف من قطافها ودنت منى النار حتى قلت: أى رب وأنا معهم ، فإذا امرأة ، حسبت أنه قال: تخدشها هرة ، قلت: ما شأن هذه ؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا ، لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل »^(٤). وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال: « عرض على كل شيء توجلونه ، فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدى عنه وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب فى هرة لها... » وذكر الحديث^(٥).

(١) البخارى (١٠٤٦) ، ومسلم (٩٠١).

(٢) تكعكت: أى أحجمت وتراجعت ، النهاية (٤ / ١٨٠).

(٣) البخارى (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧).

(٤) البخارى (٧٤٥).

(٥) مسلم (٩٠٤).

وفى صحيح مسلم عنه فى هذا الحديث: « ما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه ، لقد جىء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها وحتى رأيته فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجنى ، وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيته فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش^(١) الأرض حتى ماتت جوعا ، ثم جىء بالجنة ، وذلك حين رأيتمونى تقدمت ، حتى قمت فى مقامى ، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتظنوا إليه ، ثم بدا لى أن لا أفعل ، فما من شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه »^(٢).

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة: « والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم » وذكر الحديث^(٣). وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ أقيمت الصلاة فقال: « يا أيها الناس ، إني إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ، ولا ترفعوا رؤوسكم فإني أراكم من أمامى ومن خلفى ، وأيم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، قالوا: وما رأيته يا رسول الله ؟ قال: رأيته الجنة والنار »^(٤).

وفى الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة »^(٥).

(١) خشاش الأرض: أى حشراتنا ، النهاية (٢ / ٣٣) .

(٢) مسلم (٩٠٤) .

(٣) إسناده حسن أخرجه أحمد [١٦٣ / ٣ ، ١٨٨] ، والنسائى فى الصغرى (٣ / ١٤٩) من طريق شعبة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو وعطاء بن السائب إن كان قد اختلط فشعبة روى عنه قبل الاختلاط .

(٤) مسلم (٤٢٦) بلفظ قريب من هذا .

(٥) صحيح أخرجه مالك فى الموطأ (١ / ٢٤٠) ، وأحمد (٣ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) ، والنسائى =

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ، ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبي ﷺ : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة ، أو شجر الجنة » ، رواه أهل السنن وصححه الترمذى^(١).

وسيأتى في آخر هذا الكتاب في الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح الشهداء الجنة قبل يوم القيامة - تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى - وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك.

= (الصغرى) (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) ، وعبد بن حميد (٣٧٦) وابن حبان (٤٦٥٧) وغيرهم من طرق مالك والليث بن سعد ويونس ومعمّر ، كلهم عن الزهرى عن عبد الله بن كعب أن أباه أخبره عن رسول الله به.

(١) صحيح لشواهده ، أخرجه أحمد (٣٨٦/٦) ، شاذ من حديث كعب ، فمدار الحديث على الزهرى فرواه الجماعة منهم (مالك والليث ويونس ومعمّر) كلهم عن الزهرى عن عبد الله بن كعب أن أباه أخبره عن رسول الله ﷺ بلفظ: « إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجرة في الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة » وخالف الجماعة سفيان بن عيينة وعليه خلاف.

أخرجه أحمد بلفظ: « إن أرواح الشهداء » ورواه الحميدى عن سفيان بلفظ إن نسمة المؤمن فلفظة الشهداء شاذة من حديث كعب ولكن لها شاهد من حديث ابن مسعود

روى مسلم (١٨٨٧) عن مسروق قال: سألنا عبد الله (وهو ابن مسعود) عن هذه الآية:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

[آل عمران: ١٦٩] قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: « أرواحهم في جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فأطلع إليهم ربهم اطلاعة . فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: أى شئ نشتهى ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ».

وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لما خلق الله - تعالى - الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر الجنة فحفت بالمكاره ، فقال: فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فقال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال: فنظر إليها فإذا هى يركب بعضها بعضا ، ثم رجع فقال: وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها »^(١). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة: « حجت الجنة بالمكاره ، وحجت النار بالشهوات »^(٢). وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة: يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار: يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون ؟ فقال: أنت رحمتى أصيب بك من أشياء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشياء ولكل واحدة منكما ملؤها »^(٣).

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر ، عن النبى ﷺ أنه قال: « اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين: نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف »^(٤).

(١) إسناده حسن أخرجه أحمد [المسند] [٣٣٢ / ٢ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧٣] ، وأبو داود

(٢٧٤٤) ، والترمذى (٢٥٦٠) ، والنسائى [٣ / ٧ ، ٤] ، وغيرهم من طرق عن محمد بن

عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا.

(٢) البخارى (٦٤٨٧) ، ومسلم (٢٨٢٢) ، (٢٨٢٣).

(٣) البخارى (٧٤٤٩) ، ومسلم (٢٨٤٦).

(٤) البخارى (٣٢٦٠).

وروى الليث بن سعد^(١) عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير ورفع الحديث قال: « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان ، تقول الجنة: يا رب قد طاب ثمرى ، واطردت أثمارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى ، وتقول النار: اشتد حرى ، وبعد قعرى ، وعظم جهرى ، فعجل على بأهلى »^(٢) وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال: « بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافته قباب الدر المجوف ، قال: قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر »^(٣).

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ودارا فقلت: لمن هذا ؟ فقيل: لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل لعمر بن الخطاب ، فلو لا غيرتك يا أبا حفص لدخلته ، قال فبكى عمر ، وقال: أو يغار عليك يا رسول الله ؟ »^(٤) ، وسيأتى حديث بلال وقول النبى ﷺ: « ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك »^(٥) بين يدي^(٦) ، وغير ذلك من الأحاديث التى تأتى إن شاء الله تعالى.

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، أحد الأعلام ، وكان يحسن القرآن والنحو ، توفى سنة ١٧٥ هـ ، انظر: وفيات الأعيان (١ / ٤٣٩) .

(٢) ضعيف ، أخرجه البيهقى فى (البعث) (١٩٢) وعبد الملك بن أبى بشير من الطبقة السادسة فيبينه وبين الرسول مفاوز .

(٣) البخارى (٤٩٦٤) بمعناه .

(٤) مسلم (٢٣٩٤) بمعناه .

(٥) الخشخشة: هى حركة لها صوت كصوت السلاح ، النهاية (٢ / ٣٣) .

(٦) إسناده حسن وله شواهد فى الصحيحين .

أخرجه أحمد (المسند) (٢٥٤ / ٥ ، ٣٦٠) ، والترمذى (٣٦٨٩) وغيرهما من طرق عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه . قلت وهذا إسناده حسن وإن كان فى رواية الحسين بن واقد عن أبيه بعض الكلام فللحديث شواهد فى الصحيحين كما عند البخارى (٣٦٧٩ ، ٣٦٨٠) ومسلم (٢٣٩٤ ، ٢٣٩٥) .

وقال عبد الله بن وهب: أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر ابن حبيش عن أنس بن مالك قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح ، ثم مد يده ثم أخرها ، فلما سلم قيل له: يا رسول الله لقد صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها ، قال: إني رأيت الجنة ، فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبتها كالدباء ، فأردت أن أتناول منها فأوحى إليها أن استأخري ثم رأيت النار بيني وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم ، فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحى إلى أن أقرهم ، فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا ، فلم أر لى عليكم فضلاً إلا بالنبوة»^(١). فإن قيل: فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة ، والاستدلال بها في غاية الظهور. قيل: الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الظهور ، فهو في غاية الغموض لاختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم ، هل كانت جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، أو كانت جنة في الأرض في شرفها ؟

ونحن بذكر من قال بهذا ومن قال بهذا ، وما احتج به كل فريق على قولهم وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته.

(١) إسناده حسن ، رواه الحاكم (المستدرک) (٤/٤٥٦) وابن خزيمة في صحيحه (٨٩٢) ، ومعاوية بن صالح قال الحافظ: صدوق له أوهام.

الباب الثانى

فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم وأهبط منها هل هى جنة الخلد أم جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض

قال منذر بن سعيد فى تفسيره: وأما قوله تعالى لآدم: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥] ، فقالت طائفة: أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وقال آخرون: هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد ، قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به.

وقال أبو الحسن الماوردى فى تفسيره: واختلف الناس فى الجنة التى أسكنها على قولين: الأول: أنها جنة الخلد. الثانى: أنها جنة أعدها الله - تعالى - لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء. ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين: الأول: أنها فى السماء ؛ لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن. الثانى: أنها فى الأرض ؛ لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن جر ، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم - عليه السلام - ، والله أعلم بصواب ذلك ، هذا كلامه.

وقال ابن الخطيب فى تفسيره المشهور: واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كانت فى الأرض أو فى السماء ؟ ويتقدير أنها كانت فى السماء ، فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى ؟ فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصبهاني: هذه الجنة فى الأرض ، وحمل الإيهام على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [سورة البقرة: ٦١] ، واحتجا عليه بوجوه.

القول الأول: وهو قول الجبائى: أن تلك الجنة كانت فى السماء السابعة ،
والقول الثانى: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هى دار الثواب.

وقال أبو القاسم الراغب فى تفسيره: واختلف فى الجنة التى أسكنها آدم ، فقال بعض المتكلمين: كان بستانا جعله الله - تعالى - له امتحانا ولم يكن جنة المأوى ، وذكر بعض الاستدلال على القولين.

ومن ذكر الخلاف أيضا أبو عيسى الرمانى فى تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال: والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولاً ثالثاً فقال:

والقول الثالث: أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع ، قال منذر بن سعيد: والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه قال: وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام ، بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأمانى ، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاذاً مشهوراً ، وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله ، قالوا: إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين ، وإنما قلت هذا ليعلم أنى لا أنصر مذهب أبى حنيفة وإنما أنصر ما قام لى عليه الدليل من القرآن والسنة ، هذا ابن زيد المالكى يقول فى تفسيره: سألت ابن نافع عن الجنة أخلوقة هى؟ فقال: السكوت عن الكلام فى هذا أفضل وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ

فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝﴾ [سورة طه: ١١٨] قال: يعنى فى الأرض ، وابن نافع إمام وابن عيينة إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما. وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لأدم وزوجه ، قال: ثم تركهما ، وقال: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، وتسلطوا على أنوار البحور ، وطير السماء ، والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها ، فأخبر أن فى الأرض خلقه وفيها

أمره ، ثم قال: ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار: سيحون ، وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ثم ذكر الحية فقال: وكانت أعظم دواب البر ، فقالت للمرأة: إنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة. ثم قال بعد كلام: ثم أخرجه من شرق جنة عدن إلى الأرض ، التى منها أخذ ، ثم قال: قال وهب: وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرقى أرض الهند ، قال: واحتمل قاييل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن فى شرقى عدن فكمن فيه ، وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله: ﴿ أَهْبِطُوا ﴾ [سورة البقرة: ٦١] ، هو كما يقول: هبط فلان أرض كذا وكذا.

قال منذر بن سعيد: فهذا وهب بن منبه يحكى أن آدم - عليه السلام - خلق فى الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نصب له الفردوس ، وأنه كان بعدن ، وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت فى الأرض لاختلاف بين المسلمين فى ذلك ، فاعتبروا يا أولى الألباب ، وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ، ولم يقل: من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون: إن الجنة لم تكن فى الأرض ، وإنما كانت فوق السماء السابعة. ثم قال: وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب ؛ لأنه لا شمس فيها ، ثم قال: وأخرجه إلى الأرض التى أخذ منها ، يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى عدن فى شرقى أرض الهند ، وهذه الأخبار التى حكى ابن قتيبة ، إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم - عليه السلام - بعدن ، ثم أكد ذلك بأن قال: التى لأربعة الأنهار ذكرناها منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم.

قال منذر: وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى هريرة قال: واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة ، وهو فى

الأرض ، فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا ، يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد فى الأرض. قال: ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنة الخلد لخلد فيها ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان.

فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين - إن شاء الله تعالى - ونبين ما لهم وما عليهم.



الباب الثالث

فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا: قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه ، وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعا ، قالوا: وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربيعى عن حذيفة قالاً: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم - عليه السلام- فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ ...» وذكر الحديث^(١). قالوا: وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها.

وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى^(٢) ، وقول موسى: أخرجتنا ونفسك من الجنة ، ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ، فلم يخرجوا من الجنة ، وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا. قالوا: وقد قال تعالى - فى سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ [سورة البقرة: ٣٥، ٣٦].

(١) مسلم (١٩٥).

(٢) أخرجه البخارى (٤٧٣٨) ، ومسلم (٢٦٥٢) ، من حديث أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ: « يا آدم : أنت أبونا . خبتنا وأخرجتنا من الجنة ... الحديث .

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

الأول: من لفظة ﴿أَهْبِطُوا﴾ [سورة البقرة: ٦١] ، فإنها نزول من علو إلى سفلى.

الثانى: ﴿وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مَسَاقِفٌ﴾ [سورة البقرة: ٣٦] عقب قوله: ﴿أَهْبِطُوا﴾

[سورة البقرة: ٣٦] ، فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، ثم أكد هذا بقوله

فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

[سورة الأعراف: ٢٥] ، ولو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج

وبعده. قالوا: وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا فى جنة الخلد

فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحٰى

[سورة طه: ١١٨ ، ١١٩] ، وهذا لا يكون فى الدنيا أصلا ، فإن الرجل ولو كان فى

أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شىء من ذلك ، وقابل - سبحانه - بين الجوع

والظمأ والعرى والضحى ، فإن الجوع ذل الباطن ، والعرى ذل الظاهر ، والظمأ

حر الباطن ، والضحى حر الظاهر ، فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر

الظاهر والباطن ، وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى

وهذا شأن ساكن جنة الخلد.

قالوا: وأيضا فلو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب إبليس فى قوله:

﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ، فإن آدم كان

يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، وأن ملكها يبلى. قالوا: وأيضا هذه القضية فى سورة

البقرة ظاهرة جدا فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فإنه - سبحانه - قال:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُ مَقٰٓدِمَ اسْكُنِ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿٣٦﴾ [سورة البقرة: ٣٤ - ٣٧] ، فهذا إهباط آدم وحواء ^{عليهما السلام} وإبليس من الجنة ، فلهذا أتى فيه بضمير الجمع ، وقد قيل: إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جدا ، إذ لا ذكر للحية فى شىء من قصة آدم ، ولا فى السياق ما يدل عليها ، وقيل: الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٨] ، وهما داود وسليمان ، وقيل: لآدم وحواء وذريتهما.

وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول ؛ لأنها بين قول لا دليل عليه ، بين ما يدل اللفظ على خلافه ، فثبت أن إبليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من المهبطين فإذا تقرر هذا ، فقد ذكر - سبحانه - الإهباط ثانيا بقوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٨] ، والظاهر أن هذا الإهباط الثانى فى غير الأول ، وهو إهباط من السماء إلى الأرض والأول إهباط من الجنة ، وحيث فتكون الجنة التى أهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد ، وقد ظن الزمخشري أن قوله: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: ٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذريتهما قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة طه: ١٢٣] ، قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٨ ، ٣٩] ، كفروا وكذبوا بغايبتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿[البقرة: ٣٨ ، ٣٩] ، وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم.

ومعنى قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة طه: ١٢٣] ما عليه الناس من التعادى والتباعد وتضليل بعضهم بعضا ، وهذا الذى اختاره أضعف الأقوال فى الآية ، فإن العداوة التى ذكرها الله - تعالى - إنما هى بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٦] ، وهو - سبحانه - قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو ، وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن إليها ، وجعل بينهما مودة ورحمة ، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعداوة بين الإنسان والشيطان.

وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس وهو ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرتة لطريق الكلام دون جميعه ، مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه ، فلم يصنع الزمخشري شيئا؟ وأما قوله - تعالى - فى سورة طه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة طه: ١٢٣] ، وهذا خطاب لآدم وحواء ، وقد جعل بعضهم لبعض عدوا ، فالضمير فى قوله: ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا﴾ [سورة طه: ١٢٣] ، إما أن يرجع إلى آدم وزوجه أو إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة ؛ لأنها تبع له ، وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين: الأول: أمره - تعالى - لا لآدم وزوجه بالهبوط. والثانى: إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين إبليس ؛ ولهذا أتى الضمير الجمع فى الثانى دون الأول ولا بد أن يكون إبليس داخلا فى حكم هذه العداوة قطعا ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [سورة طه: ١١٧] وقال للذرية: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون الشئ ؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ الشئ ، وتارة بلفظ الأفراد ، كقوله فى سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٣] ، وكذلك فى سورة « ص » وهذا لإبليس وحده ، وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس إذ مدار القصة عليهم ، وحيث ورد بلفظ الشئ ، فإما أن يكون لآدم وزوجه ، إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدا على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وإبليس ، إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الذرية ، فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما ، وقد حكيت القولين فى ذلك.

والذى يوضح أن الضمير فى قوله: ﴿ أَهْبِطًا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [سورة طه: ١٢٣] لآدم وإبليس ، أن الله - سبحانه - لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجته فقال: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ أَجْتَبَا رَبَّهُمَا فَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ ﴾ قَالَ أَهْبِطًا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [سورة طه: ١٢١ - ١٢٣] ، وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعا ، فإن المقصود إخبار الله - تعالى - للثقلين ، بما جرى على أبيهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبيهما أبلغ فى حصول هذا المعنى ، من ذكر أبى الإنس فقط.

وقد أخبر - سبحانه - عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة ، فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم ، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبى الإنس وأهم فتأمله. وبالجمل فقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ [سورة طه: ١٢٣] ظاهر فى الجميع فلا يسوغ حمله على الاثنين فى قوله تعالى: ﴿ أَهْبِطَا ﴾ من غير موجب. قالوا: وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام

التعريف فى جميع المواضع كقوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥] ، ونظائره ولا جنة يعهدا المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، فقد صار هذا الاسم علما عليها بالغلبة ، كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها ، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين ، وأما إن أريد به جنة غيرها فإنها تجىء منكرا أو مقيدة بالإضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض .

فالأول: كقوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ [سورة الكهف: ٣٢] . والثانى: كقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [سورة الكهف: ٣٩] . والثالث: كقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [سورة القلم: ١٧] .

قالوا: ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ، ما روى هودبة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال: إن الله - تعالى - لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شىء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير^(١) .

قالوا: وقد ضمن الله - سبحانه وتعالى - له إن تاب إليه وأناب أن يعيده إليها كما روى المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ٣٧] ، قال: يا رب ألم تخلقنى بيدك! قال: بلى ، قال: أى رب ألم تسكنى جنتك؟ قال: بلى^(٢) ، قال: أى رب ألم تسبق

(١) إسناده حسن . أخرجه الطبرى فى تفسيره (٥٣٧) ، وفى التاريخ (٨٢ / ١) ، وعبد الرزاق فى تفسيره (٤٢) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (٤١٧) ، والبيهقى فى البعث (١٩٨) وغيرهم . من طرق عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى موقوفا
(٢) إسناده حسن إلى ابن عباس أخرجه الحاكم (٥٤٥ / ٢) .

رحمتك غضبك ؟ قال: بلى ، قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال: بلى ، قال: فهو قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة: ٣٧] ، وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها: كأن آدم قال لربه إذ عصاه: رب إن أنا تبت وأصلحت ، فقال له ربه: « إني راجعك إلى الجنة »^(١).

فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ، ونحن نسوق حجج الآخرين.



(١) إسناده ضعيف ، أخرجه الطبرى رقم (٧٧٧).

الباب الرابع

فى سياق حجج الطائفة التى قالت:

ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض

قالوا: هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها ، قالوا: قد أخبر الله - سبحانه - على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، وقد وصفها الله - سبحانه وتعالى - لنا فى كتابه بصفات ، ومحال أن يصف الله - سبحانه وتعالى - شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التى وصفه بها. قالوا: فوجدنا الله - تعالى - وصف الجنة التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم بالجنة التى دخلها ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ، ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان ، وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ، ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها ، ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن ، وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل ، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ، ودار القرار ولم يستقر فيها ، وقال فى داخلها: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٤٨] ، وقد أخرج منها الأبوان وقال: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [سورة الحجر: ٤٨] ، وقد ند فيها آدم هارباً فاراً ، وطفق يخفض ورق الجنة على نفسه ، وهذا النصب بعينه ، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه ، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب ، وقد سمع فيها آدم - عليه السلام - كذب إبليس ، وقد سماها الله - سبحانه وتعالى - مقعد صدق ، وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه ، وقد قال - تعالى - للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] ، ولم

يقول: إني جاعل فى جنة المأوى ، فقالت الملائكة: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] ، ومحال أن يكون هذا فى جنة المأوى .

وقد أخبر - تعالى - عن إبليس أنه قال لآدم: ﴿ هَلْ أَذُكَّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ، فإن كان الله - سبحانه وتعالى - قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذى لا يبلى ، فكيف لم يرد عليه ويقول له: كيف تدلنى على شىء أنا فيه وقد أعطيته ، ولم يكن الله - سبحانه وتعالى - قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ، ولو علم أنها دار الخلد ، لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ، ولكنه لما كان فى غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد. قالوا: ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهى دار القدس التى لا يسكنها إلا طاهر مقدس ، فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم - عليه السلام - ووسوس له ؟ وهذه الوسوسة إما أن تكون فى قلبه ، وإما أن تكون فى أذنه ، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين ، وأيضا فبعد أن قيل له: ﴿ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٣] أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرده بعثوه واستكباره ، وهل هذا يلائم قوله: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٣] ، فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرا فما التكبر بعد هذا؟ فإن قلت: فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو فى الأرض وهما فوق السماء فى عليين ، فهذا غير معقول لغة ولا حسا ولا عرفا ، وإن زعمتم أنه دخل فى بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل ، إذ كيف يرتقى بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو فى بطن الحية؟

وإذا قلت: إنه دخل فى قلوبهما ووسوس إليهما ، فالمحذور قائم ، وأيضا فإن

الله - سبحانه وتعالى - حكى مخاطبته لهما كلاما سمعاه شفاها فقال: ﴿ مَا تَهْنِكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠] ، وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها ، قال الله - تعالى - له: ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢] ، ولم يقل عن هذه الشجرة ، فعندما قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لما أطمعها في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريبا لها وإحضارا لها عندهما ، وربهما - تعالى - قال لهما: ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢] ، ولما أراد إخراجهما منها ، فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة ، كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نها عنها ، وأيضا فإنه - سبحانه - قال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [سورة فاطر: ١٠] ، ووسوسة اللعين من أخبث الكلام فلا تصعد إلى محل القدس. قال منذر: وقد روى عن النبي ﷺ : « آدم - عليه السلام - نام في جنته »^(١) وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين ، فإن النبي ﷺ سئل: أينام أهل الجنة؟ قال: « لا ، النوم أخو الموت »^(٢) ، والنوم وفاة » وقد نطق به القرآن ، والوفاة تقلب حال ، ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت.

(١) لم أقف عليه مرفوعا . وروى موقوفا عن مجاهد ، رواه الطبري (في تاريخه) (٧٠ / ١) من طريق ابن أبي نجيح عنه .

(٢) ضعيف معل بالإرسال . ومدار هذا الحديث على سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر فقد رواه الجماعة منهم ابن المبارك كما في زوائد نعيم على الزهد (٢٧٩) ووكيع كما في الزهد لأحمد ، ص ١٥ ، وقيصة كما في البعث للبيهقي (٤٨٦) وغيرهم كلهم عن سفيان عن محمد بن المنكدر مرسلا وخالف الجماعة الفريابي في وجه عنه من طريق الفضل بن يعقوب عنه عن سفيان عن محمد عن جابر عن رسول الله كما عند البزار (كشف ، ٣٥١٧) ، وقال ولا نعلم أسنده من هذا الطريق إلا الثوري ولا عنه إلا الفريابي . قلت : وقد رجح أبو حاتم الأرسال فقال الصحيح عن ابن المنكدر ليس فيه جابر ، وهناك بعض الطرق عن جابر ولكن كلها واهية .

قلت: الحديث الذى أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم^(١). وقال أسباط عن السدى: أسكن آدم - عليه السلام - الجنة وكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة ، قال: ولم خلقت ! قالت: لتسكن إلى^(٢). وقال ابن إسحاق عن ابن عباس: ألقى الله على آدم - عليه السلام - السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر والأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة يسكن إليها ، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال: لحمى ودمى وروحي فسكن إليها^(٣).

قالوا: ولا نزاع أن الله - سبحانه وتعالى - خلق آدم فى الأرض ولم يذكر فى موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ، ولو كان قد نقله ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر ؛ لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه فإنه كان معراجا بيدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات. قالوا: وكيف ينقله - سبحانه - ويسكنه فوق السماء ، وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الأرض خليفة ؟ وكيف يسكنه دار الخلد التى من دخل فيها لا يخرج منها ؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٤٨] ، قالوا: ولم يكن معنا فى المسألة إلا أن الله - سبحانه - أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم - عليه السلام -

(١) سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف أخرجه ابن أبى حاتم (فى تفسيره) (٣٧٢) (٨٢٧٦) وغيره وفى إسناده أسباط وفيه ضعف.

(٣) ضعيف أخرجه الطبرى فى تفسيره (٧١١) عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق ثم ذكر كلاما وقال فيما بلغنا عن ابن عباس ، وهذا إسناده ضعيف لضعف ابن حميد وللانقطاع بين ابن إسحاق وابن عباس.

وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ، ثم أدخل آدم - عليه السلام - الجنة بعد هذا ، فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل ، فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها ، وأما تلك التقادير التى قدرتموها فتكلفت ظاهرة ، كقول من قال: يجوز أن يصعد إليها صعودا عارضا لا مستقرا ، وقول من قال: أدخلته الحية ، وقول من قال: دخل فى أجوافها ، وقول من قال: يجوز أن تصل وسوسته إليها وهو فى الأرض وهما فوق السماء ، ولا يخفى ما فى ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد ، وهذا بخلاف قولنا ، فإنه - سبحانه - لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم - عليه السلام - أشرب عداوته ، فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره فى إخراجها منها ، والله أعلم. وقالوا: ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التى وعد المتقون أن الله - سبحانه - لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهى إليه ، وأنه لم يخلقه للبقاء ، كما روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم - عليه السلام - ونفخ فيه الروح عطس ، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه ، فقال ربه: يرحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائمتهم جلوس - فقال: السلام عليكم ، قالوا: وعليك السلام ... إلخ ، ثم رجع إلى ربه فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم ، فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت ، فقال: اخترت يمين ربى ، وكلتا يديه يمين مباركة ، ثم بسطه فإذا فيها آدم وذريته ، فقال: يا رب ما هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال: يا رب من هذا ؟ قال: هذا ابنك داود قد كتب له عمرا أربعين سنة ، قال: يا رب زده فى عمره ، قال: ذلك الذى كتبت له ، قال: أى رب ، فإننى قد جعلت له من عمري ستين سنة قال: أنت وذلك ، قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم - عليه السلام - يعد لنفسه ، قال: فأتاه ملك

الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كتبت إلى ألف سنة ، قال: بلى ، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، قال: فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود ^(١) ، قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة.

قالوا: فهذا صريح في أن آدم - عليه السلام - لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها ، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله - تعالى - لها ولسكانها أجلا معلوما ، وفيها أسكن ، فإن قيل: فإذا كان آدم - عليه السلام - قد علم أن له عمرا مقعدرا وأجلا ينتهي إليه ، وأنه ليس من الخالدين ، فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله: ﴿ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ، وقوله: ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠] ؟

فالجواب من وجهين: الأول: أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء ، بل هو المكث الطويل كما سيأتى. الثانى: أن إبليس لما حلف له وغره وأطعمه في الخلود نسى ما قدر له من عمره. قالوا: وأيضا فمن المعلوم الذى لا يناع فيه مسلم أن الله - سبحانه - خلق آدم - عليه السلام - من تربة هذه الأرض ، وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، ف قيل: هو الذى له صلصلة لبسة ، وقيل: هو الذى تغيرت رائحته من قوهم: صل اللحم إذا تغير ، والحمأ: الطين الأسود المتغير ، والمسنون: المصبوب ، وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الأول ، كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نقطة ، ثم من علقه ثم من مضغة ، ولم يخبر - سبحانه وتعالى - أنه رفعه من الأرض إلى فوق

(١) صحيح. قد روى من طرق عن أبي هريرة مرفوعا ، رواه الحارث بن عبد الرحمن بن ذباب عن سعيد المقبرى ويزيد بن هرمز عنه ، أخرجه النسائى [الكبرى] [٦٤٨ / ١٠٠٤٨] وأخرجه الترمذى [٣٣٦٨] ، والحاكم [٦٤ / ١] ، وابن حبان (٦١٦٧) بدون ذكر يزيد بن هرمز. وذكر الخلاف الدارقطنى [العلل] [١٤٨ / ٨] وقال ولعل كلاهما قد أصاب.

السموات لا قبل التخليق ولا بعده ، فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه ، وهذا ما لا دليل لكم عليه ، ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به! وقالوا: من المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد انتن من تغيره ، وإنما محل هذه الأرض التي هي محل المتغيرات الفاسدات ، وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء. قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ

غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [سورة هود: ١٠٨] ، فأخبر - سبحانه - أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ ، قالوا: فإذا جمع ما أخبر به - سبحانه - من أنه خلقه من الأرض ، وجعله خليفة في الأرض ، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه ، بعد أن هبط من السماء بامتناعه من السجود له ، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة ، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف ، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب ، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا يبأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام وأن الله حرمها على الكافرين ، وإبليس رأس الكفر ، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض ، وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل ، فشمّر إليه ورباً بنفسه عن حضيض التقليد ، تبين له الصواب ، والله الموفق. قالوا: ولو لم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف ، وقد كلف الله - سبحانه - الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة ، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد.

فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها ، والله أعلم.

الباب الخامس

فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا: أما قولكم: إن قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة ، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ، ولن تجدوا إلى ذلك سيلا ، وقد أوجدناكم من كلام السلف ما يدل على خلافه ، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها ، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها ، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا ، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ، ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات ، وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وقول آدم: وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ، فإنما يدل على تأخر آدم - عليه السلام - عن الاستقباح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة ، كما فى اللفظ الآخر: إني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها ، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام ، وكذلك قول موسى له: أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فإنه لم يقل له : أخرجتنا من جنة الخلد. وقولكم: إنهم خرجوا من بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض ، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين ، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله ، وهى كالسجن بالنسبة إليها ، واشتراكهما فى كونها فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء ، وأما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا﴾ [سورة البقرة: ٣٦]

عقيب إخراجهم من الجنة ، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر ، فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض.

وقد بينا أن الأمر كان لآدم - عليه السلام - وزوجه وعدوهما ، فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم - عليه السلام - فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها ، وقد تقدمت ، وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَكُم فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [سورة البقرة: ٣٦] ، فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، فإن الأرض اسم جنس ، وكانوا في أعلاها وأطيها وأفضلها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم ، وخروجهم من القبور والجنة التي أسكنها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى والأرض التي أهبطوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره ، وأما قولكم: إنه - سبحانه وتعالى - وصفها بصفات لا تكون في الدنيا ، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي أهبطوا منها ، وأما قولكم: إن آدم - عليه السلام - كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية ، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله: ﴿ هَلْ أَذُكَّ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ، فجوابه من وجهين: الوجه الأول: أن اللفظ إنما يدل على الخلد ، وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له ، فإنه في اللغة: المكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه ، ومنه قولهم: رجل مخلص إذا أسن وكبر ، ومنه قولهم لأثافي^(١) الصخور: خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال ، قال:

(١) الأثافي: هي الحجارة التي يوضع عليها القدر ، النهاية (١ / ٢٣) .

إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقدم عهده وإن كان أول ، كما قال تعالى:
﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [سورة يس: ٣٩] ، ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾
[سورة يوسف: ٩٥] ، ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [سورة الأحقاف: ١١] ، وقد أطلق - تعالى -
الخلود في النار على عذاب بعض العصاة ، كقاتل النفس ، وأطلقه النبي ﷺ على
قاتل نفسه.

الوجه الثانى: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجىء الآخرة إنما يعلم بالوحى ، ولم
يتقدم لآدم - عليه السلام - نبوة يعلم بها ذلك ، وهو وإن نبأه الله - سبحانه وتعالى -
وأوحى إليه وأنزل عليه صحفا كما فى حديث أبى ذر ، لكن هذا بعد إيهامه إلى
الأرض بنص القرآن ، قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى﴾
[سورة طه: ١٢٣] ، وكذلك فى سورة البقرة: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
مِنِّي هُدًى﴾ [سورة البقرة: ٣٨] . وأما قولكم: إن الجنة وردت معرفة باللام التى
للعهد فتصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد
قطعا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ
﴾ [سورة القلم: ١٧] ، وقولكم: إن السياق ههنا دل على أنها جنة فى الأرض.

قلنا: والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم - عليه السلام - فى الأرض ،
فلذلك صرنا إلى موجبها ، إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح ، وأما
استدلالكم بأثر أبى موسى: إن الله أخرج آدم - عليه السلام - من الجنة وزوده
من ثمارها فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن إلا تزوده منها ، وهذا
لا يقتضى أن تكون جنة الخلد.

وقولكم: إن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير ، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم وكان التغير يعرض لثمارها يعرض لهذه الثمار ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: « لولا بنو إسرائيل لم يَختر اللحم »^(١) ، أى: لم ينتن وقد أبقي - سبحانه وتعالى - فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير. وأما قولكم: إن الله - سبحانه وتعالى - ضمن لآدم - عليه السلام - إن تاب أن يعيده إلى الجنة ، فلا ريب أن الأمر كذلك ، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها ، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد ، فقد وفى - سبحانه - بضمانه حق الوفاء ، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها ولا إلى نظيرها ، كما قال شعيب لقومه: ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٩] ، وقد جعل الله - سبحانه - المظاهر عائدا بإرادته الوطء ثانيا أو بنفس الوطء أو بالإمساك ، وكل منها غير الأول لا عينه ، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.



(١) البخارى (٣٣٣٠) (٣٣٩٩) ، ومسلم (١٤٧٠) .

الباب السادس

فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

قالوا: أما قولكم: إن الله - سبحانه - أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ، ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام ، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة. وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين الشهداء فى البرزخ فى الجنة ، وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة ، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة ، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا؟ وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد؟ قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة ، وأنها لم توجد فى جنة آدم - عليه السلام - من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها ، فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام ، ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها ، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها ، وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله - سبحانه وتعالى - من ذلك ، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها ، فلا تنافى بين الأمرين وأما قولكم: إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف ، وقد كلف الله - سبحانه - آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة ، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف ، لا دار خلود ، فجوابه من وجهين:

الوجه الأول: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحيثئذ ينقطع التكليف ، وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه ألبتة ، كيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنست ... » الحديث^(١). وغيره ممتنع أن

(١) البخارى (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع ، فإن من فيها الآن مؤتمر بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفاً أو لم يسم.

الوجه الثانى: أن التكليف لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها ، وإنما كان حجراً عليهما مى شجرة واحدة من جملة أشجارها ، إما واحدة بالعين أو بالنوع ، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها ، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم ، وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم ، فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون ، وأما قبل ذلك فلا. وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء ، فلعممر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله - تعالى - وقدر أسبابه ، وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان ، وقد أخبر الله - سبحانه - عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحى ، وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى: ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [سورة البقرة: ٣٦] ، فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل ، والله أعلم. وأما استدلالكم بأن الله - سبحانه - أعلم آدم - عليه السلام - مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه.

فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة.

وأما إخباره - سبحانه - أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها ، فهذا يوم القيامة . وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب فى ذلك ، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها ، وقد جاء فى بعض الآثار : « أن الله - سبحانه - ألقاه على باب الجنة أربعين صباحا ، فجعل إبليس يطوف به ويقول : لأمر ما خلقت فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك ، فقال : لئن سلطت عليه لأهلكه ، ولئن سلط على لأعصيه »^(١) ، مع أن قوله سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قالوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ خَيْبَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة: ٣١ - ٣٣] ، يدل على أنه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ، ولو كان خلقه قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده - سبحانه - إلى السماء لأمر دبره وقدره ، ثم يعيده إلى الأرض ، فقد أوصد المسيح إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وقد أسرى بيدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات ، فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنزاعهم ، والله أعلم .

(١) أخرجه الطبرى (١/ ٦٤) وفى إسناده أسباط بن نصر وقد روى مسلم (٢٦١١) عن أنس أن رسول الله ﷺ « لما صور الله آدم فى الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به . ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك » .

الباب السابع

في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطرار أن تنفى يوم القيامة ، وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: ٨٨] ، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] ، فتموت الحور العين التي فيها والولدان ، وقد أخبر الله - سبحانه - أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها ، وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ. قالوا: وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» قال: هذا حديث حسن غريب^(١) . وفيه أيضا من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة» قال: هذا حديث حسن صحيح^(٢) . قالوا: فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعانا ولم يكن لهذا الغرس معنى ، قالوا: وقد قال - تعالى - عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم: ١١] ، ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبا أو بنى له بيتا: انسج لى

(١) ضعيف أخرجه الترمذى (٣٤٦٢) ، والطبرانى [الأوسط] (٤١٨٢) و [الصغير] (١٩٦/١) من طرق عن سيار عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود وفى إسناده سيار وهو ضعيف . وللحديث شواهد ولكنها لا تنهض بقوة الحديث.

(٢) أخرجه الترمذى (٣٤٦٢) ، والنسائى (الكبرى) (١٠٦٦٣/٦) وغيرهما من طرق عن حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر وفى إسناده أبى الزبير مدلس وقد عنعن ، وله شواهد كثيرة فى أسانيدهما بعض المقال وقد صححه الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة (٦٤).

ثوبا وابن لى بيتا ، وأصرح من هذا قول النبي ﷺ : « من بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » متفق عليه ^(١).

وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة.

قالوا: وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل ، فإذا فتر الملك عن العمل. قالوا: وقد روى ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا قبض الله ولد العبد ، قال: يا ملك الموت قبضت ولد عبدى ، قبضت قرعة عينه وثمرة فؤاده! قال: نعم ، قال: فما قال: قال: حمدك واسترجع ، قال: ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه: بيت الحمد » ^(٢).

وفى المسند من حديثه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتا فى الجنة » ^(٣).

قالوا: وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم ، فهذا ابن مزين قد ذكره فى تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة ، أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى؟ فقال: السكوت عن هذا أفضل ، والله أعلم.

(١) البخارى (٤٥٠) ، ومسلم (٥٣٣).

(٢) ضعيف ، أخرجه أحمد (٤/٤١٥) ، والترمذى (١٠٢١) (٢٩٤٨) وغيرهما من طريق ، حماد بن سلمة عن أبى سنان عن أبى طلحة الخولانى عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبى موسى به .

قلت : وهذا إسناد ضعيف لضعف أبى سنان ولجهالة أبى طلحة والضحاك . وقد ذكر الشيخ الألبانى للحديث طريق آخر فى الثقفيات (٣/١٥/٢) وفى إسناده عبد الحكم بن ميسرة وهو ضعيف .

(٣) مسلم (٧٢٨) ، وأحمد (٤/٤١٣).

الباب الثامن

في الجواب عما احتججت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية ، فنقول: ما تعنون بقولكم: إن الجنة لم تخلق بعد ، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد ، بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها ، وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً ، أم تريدون أنها لم تخلق بكاملها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها ، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى ، فهذا حق لا يمكن رده.

وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر ، وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه ، وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة ، وأن الذكر ينشئ الله - سبحانه - لقائه منه غراساً في تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة ، والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة ، وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراساً وبنى له بناءً وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به ، فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك ، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: ٨٨] ، فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية ، واحتجاجكم بها على وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهم وخرابهم وموت أهلهم فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم ، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام ، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية.

قال البخارى فى صحيحه: يقال كل شىء هالك إلا وجهه: إلا ملكه ، ويقال: إلا ما أريد به وجهه^(١).

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا ؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب ؛ لأنه سقف الجنة ، والله - سبحانه وتعالى - عليه فلا يهلك ولا يبيد ، وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: ٨٨] فذلك أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: ٢٦] ، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض ، وطمعوا فى البقاء ، فأخبر الله - تعالى - عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: كل شىء هالك - يعنى ميت - إلا وجهه ؛ لأنه حى لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت ، انتهى كلامه.

وقال فى رواية أبى العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الإصطخرى ذكره أبو الحسين فى (كتاب الطبقات)^(٢) قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها والمقتدى بهم فيها ، من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق. وساق أقوالهم إلى أن قال: وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها ، خلقهما الله - عز وجل - وخلق الخلق لهما ، ولا يفنى ولا يفنى ما فيهما أبداً ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ

(١) فتح البارى (٨/ ٣٦٤) كتاب تفسير سورة القصص.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤ - ٢٩).

هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿ [سورة القصص: ٨٨] ، وينحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدا ؛ لأن الله - عز وجل - خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن - عز وجل - فوق الماء ، وأن الله - عز وجل - على العرش والكرسى موضع قدميه ، وهو يعلم ما فى السموات والأرض السبع وما بينهما وما تحت الثرى ، وما فى قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصى والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة ، وما هو أعلم بها ، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿ وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق: ١٦] ، وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [سورة الحديد: ٤] ، وقوله: ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [سورة المجادلة: ٧] ، وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [سورة المجادلة: ٧] ، ونحو هذا من متشابه القرآن فقل: إنما يعنى بذلك العلم ؛ لأن الله - عز وجل - على العرش فوق السماء السابعة العليا ، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان.

وقال فى رواية أبى جعفر الطائى - محمد بن عوف بن سفيان الحمصى - قال: الخلال حافظ أمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة ، كان أحمد ابن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ، ويسأله عن الرجال من أهل بلده.

وقال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء فى الخبر ، قال النبى ﷺ: « دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا »^(١) ، « ورأيت الكوثر »^(٢) ، « واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » ، فمن زعم أنهما لم يخلقا ، فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وقال فى رواية عبدوس ابن مالك العطار ، وذكر رسالة فى السنة قال فيها: الجنة والنار مخلوقتان ، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا » ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا »^(٣) ، فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من القول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب ألبتة ، ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخيم ، والله المستعان وعليه التكلان ، وهو الموفق للصواب.



(١) البخارى (٥٢٢٦) ، ومسلم (٢٣٩٤) .

(٢) البخارى (٤٩٦٤) بلفظ أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل ، قال : هذا الكوثر.

(٣) البخارى (٦٥٤٦) عن عمران ، ومسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ».

الباب التاسع

فى ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، وقال فى صفة النار: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [سورة الزمر: ٧١] بغير واو ، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو ، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين.

وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة ، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية ، وهذا أيضا ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة. وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف وقوله: وفتحت أبوابها عطف على قوله: جاءوها ، وهذا اختيار أبى عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم.

قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم ، قال أبو الفتح بن جنى: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

بقى أن يقال: فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة ، وذكره فى آية أهل النار؟ فيقال: هذا أبلغ فى الموضعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم فيفجؤوهم العذاب بغتة ، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة ، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على

الشرط أن يكون عقيبه ، فإنها دار الإهانة والخزى ، فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنهم من الدخول ، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة ، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله ، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ، فيقول: أنا لها فيأتى إلى تحت العرش ويخبر ساجدا لربه فيدعه ما شاء الله أن يدعه ، ثم يأذن له فى رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه - سبحانه - فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها ، وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه. وإن مثل هذه الدار هى دار ملك الملوك ورب العالمين ، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله - تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه فى فتحها لهم.

وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذى يدخله من يشاء فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، ولهذه الدار فليعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهبى له.

وتأمل ما فى سوق الفريقين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زميرتهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرا ، يلعن بعضهم بعضا ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة ، من أن يساقوا واحدا واحدا فلا تهمل تدبر قوله: ﴿زُمَرًا^{عد}﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، فبدؤوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه ، أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قال لهم: ﴿طِبِّتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، أى: سلامتكم ودخلوها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخل والخلود ، وأما أهل النار ، فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [سورة الزمر: ٧١] ، فاعترفوا وقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٧١] فبشروهم بدخلوها والخلود فيها. وأنها بئس المثوى لهم.

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، وقول خزنة النار لأهلها: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الزمر: ٧٢] ، تجد تحته سرا لطيفا ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل وهو: أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفضع شىء ، وأشدّه حرا وأعظمه غما ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ، ويدنو من الغم والحزن والكرب بدخول الأبواب ، فقيل: ادخلوا أبوابها صغارا لهم وإذلالا وخزيا ، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود فى النار ، وأما الجنة فهى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ هُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ [سورة ص: ٥٠، ٥١]، كيف تجد تحتها معنى بديعا ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى ، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ﴿٨﴾ [سورة الهمزة: ٨] ، أى: مطبقة مغلقة ، ومنه سُمى الباب وصيدا وهى: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ ﴿٩﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ ﴿٨﴾ [سورة الهمزة: ٨ ، ٩] ، قد جعلت العمدة ممسكة للأبواب من خلفها كالخجر العظيم الذى يجعل خلف الباب.

قال مقاتل: يعنى أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. وأيضا ، فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوءهم فى الجنة حيث شاءوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت. وأيضا ، أشار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا. وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة.

فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العين ، أى عينه ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٣٩﴾ [سورة النازعات: ٣٩] ، أى مأواه.

وقال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها ، فحذف الضمير وما اتصل به ، وقال: هذا التقدير فى العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ؛ لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شيء ؛ لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من

اسم ولا ينوب عنه. قالوا: وأيضا لو كانت الألف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون فى ﴿مُفْتَحَةً﴾ [سورة ص: ٥٠] ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد ، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به ، وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول: مررت برجل حسن الوجه ، ولو رفعت الوجه ونونت حسنا لم يجز ، فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا ، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن ، ولا ضمير فى اللفظ ، فهو محذوف تقديره الأبواب منها.

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه ، وإجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك ، وقد قالوا: إن التنوين بدل من الألف واللام ، بمعنى أنهما لا يجتمعان ، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا ، أن معنى البدل معنى المبدل منه ، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر.

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير ، لو قيل أبوابها وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بن الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة ، فلما كان الضمير عائدا على الموصوف نفى توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف ، فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسرة وهذا يعين ما دخل عليه ، وقد قالوا فى زيد نعم الرجل: إن الألف واللام أغنت عن الضمير ، والله أعلم.

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابا اعترض عليه فيه فقال: جنات عدن

معرفة كقوله: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [سورة مريم: ٦١] وانتصاباً على أنها عطف بيان لحسن مأب ، ومفتحة حال ، والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات ، والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب ، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال ، هذا إعرابه ، فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها ، وأما قوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [سورة مريم: ٦١] فبدل لا صفة ، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مأب على قوله ؛ لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به ، فإن القائل قائلان:

الأول: لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين. والثانى: أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة ، كقول الكوفيين وأبى على الفارسى.

وقوله: إن فى مفتحة ضمير الجنات ، فالظاهر خلافه ، وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه. وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال ، فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير ، وإن نازعهم فيه آخرون ، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به ، وأن يكون مقدراً وهنا لم يلفظ به ، فلا بد من تقديره أى الأبواب منها ، فإذا كان التقدير مفتحة لهم هى الأبواب منها ، كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى. وفى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: « فى الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »^(١).

وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « من أنفق زوجين فى شىء من الأشياء فى سبيل الله ، دعى من أبواب الجنة ، يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من

(١) البخارى (٣٢٥٧) ، ومسلم (١١٥٢) .

أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » ، فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها فقال: « نعم ، وأرجو أن تكون منهم »^(١).

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: « ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »^(٢) ، زاد الترمذى بعد التشهد: « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين »^(٣).

زاد أبو داود والإمام أحمد: « ثم رفع نظره إلى السماء »^(٤) فقال: وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات:

(١) البخارى (١٨٩٧) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٢) مسلم (٢٣٤) .

(٣) زيادة « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » شاذة ، رواه الترمذى (٥٥) عن جعفر بن محمد الثعلبى عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن ربيعة عن أبى إدريس الخولانى وأبى عثمان بن عمر به . (قلت) وقد خالف جعفر بن محمد الجماعة فى روايتهم عن زيد بن الحباب بدون الزيادة وتابع زيد جماعة بدون الزيادة فهذه الرواية شاذة - قلت ولهذه الزيادة شاهد من حديث ثوبان كما عند الطبرانى فى الأوسط (٤٨٨٢) فى إسناده أحمد بن سهل فى أحاديثه مناكير وسالم لم يلق ثوبان فهذا إسناده ضعيف جدا ، وأخرجه ابن السنى (فى عمل اليوم والليلة) (٣٢) وفى إسناده أبو سعيد ، وعلى بن يزيد وكلاهما ضعيف .

(٤) وزيادة « ثم رفع نظره إلى السماء » شاذة . أخرجهما أحمد (١٩/١) ، وأبو داود (١٧٠) وغيرهما عن عبد الله بن يزيد عن حيوة عن أبى عقيل عن ابن عمه عن عقبة ابن عامر . وإسناده ضعيف لجهالة ابن عم أبى عقيل . ومخالفته بهذه الزيادة للثقات .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فتح له أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل»^(١) .

وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من مسلم يتوفى له ثلاثا من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»^(٢) ، رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق ابن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة.



(١) صحيح لغيره بدون ذكر ثلاث مرات . أخرجه أحمد (٢٦٥/٣) ، وابن ماجه (٤٦٩) وغيرهما من طريق زيد العمى عن أنس وفي إسناده زيد العمى وهو ضعيف وقد خالف الثقات وللحديث شاهد من حديث عمر السابق بدون ذكر ثلاث مرات أخرجه مسلم (٢٣٤).

(٢) أخرجه أحمد [١٨٣/٤ ، ١٨٤] ، وابن ماجه (١٦٠٤) وغيرهما من طرق عن حريز بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة بن عبد السلمي وشرحبيل ذكره ابن حبان في الثقات . وللحديث طريق عند الطبراني (٢٩٤ / ١٧) من طريق إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عتبة بن عبد مرفوعا . وفي إسناده إسماعيل بن عياش فيه ضعف وللحديث شاهد في البخاري (١٢٤٨) بلفظ « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » .

الباب العاشر فى ذكر سعة أبوابها

عن أبى هريرة قال: وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع - وكان أحب الشاة إليه - فنهس نهشة وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهس أخرى وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه ، قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر ... فذكر حديث الشفاعة بطوله ، وقال فى آخره: فأنطلق فاتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلى ولن يقيمه أحد بعدى ، فأقول: يا رب أمتى أمتى ، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصارع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة ، وفى لفظ: «لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى» ^(١) متفق على صحته ، وفى لفظ خارج الصحيح بإسناده: «إن ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر» .

وعن خالد بن عمير العدوى قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء يصبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما يحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ^(٢) ، فهذا موقوف والذي قبله مرفوع فإن كان رسول الله ﷺ هو الذاكر له ، كان هذا

(١) البخارى (٣٣٤٠) بمعناه ومسلم (١٩٤) ، ولفظ مسلم : «إن بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى» .

(٢) مسلم (٢٩٦٧) .

بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله ﷺ لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم. ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قال: سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ »^(١) ، وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين ، أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه: « ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين »^(٢).

ورويانا في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى ، أنبأنا ابن لهيعة ، أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: « إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة »^(٣) ، وحديث أبي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد [٣/٥] ، وعبد بن حميد (٤١١) وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعا به ، قال الإمام مسلم في كتاب التمييز وحماد : إذا حدث عن غير ثابت كحديثه عن قتادة ، وأيوب والجريري.... فإنه يخطئ في حديثهم كثيرا.

(٢) ضعيف ، أخرجه ابن حبان (٧٣٨٨) ، وابن أبي عاصم (الآحاد والمثنائي) (١٤٧٥) ، وأبو نعيم (الحلية) (٢٠٥/٦) ، وأبو الشيخ (العظمة) (٥٧٧) ، ولكن ورد في الحلية والآحاد والمثنائي بلفظ سبعين بدل من سبع والجريري قد اختلط ولا ندرى هل سمع من خالد قبل الاختلاط أو بعده ، قال الحافظ في مقدمة الفتح (٤٢٥) ورواية خالد الواسطي عن الجريري لم يتحرر أمره إلى الآن هل سمع منه قبل الاختلاط أو بعده وقد تابع خالد ، على بن عاصم كما عند البيهقي في البعث والتشور (٢٦٣) وفي إسناده على بن عاصم وفيه ضعف.

(٣) إسناده ضعيف وله شواهد صحيحة أخرجه أحمد (٢٩/٣) ، وعبد بن حميد (٩٢٤) ، وأبو يعلى (١٢٧٥) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد وإسناده ضعيف ، وله شاهد عند مسلم (٢٩٦٧) ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة.

وروى أبو الشيخ ، أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس ، أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن ، حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجذ ثلثا ، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه أبو نعيم عنه ^(١) ، وهذا مطابق للحديث المتفق: « إن ما بين المصرعين كما بين مكة وبصرى » ^(٢) ، فإن الراكب المجذ غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلا ولا نهارا ، يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه. وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاما ، وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين ، وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاما على طريقة دراج عن أبي الهيثم قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير ، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف وقال النسائي: ليس بالقوى.

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته ، على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ، فيكون كحديث عتبة ابن غزوان.



- (١) منكر ، أخرجه الترمذى (٢٥٤٨) ، والبيهقى فى العبث والنشور (٢٥٩) وابن الجوزى فى (العلل المتناهية) (١٥٠٥) وغيرهم من طرق عن معن بن عيسى عن خالد بن أبي بكر بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر مرفوعا ، وقد ذكر الذهبى فى ترجمة خالد وقال : ومن مناكيره ذكر هذا الحديث . وقال الترمذى هذا الحديث غريب ، قال : سألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه ، وقال : لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله .
- (٢) مسلم (١٩٤) بلفظ « إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى ».

الباب الحادي عشر في صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خلود عن الحسن: ﴿مُفْتَحَةُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [سورة ص: ٥٠] قال: أبواب ترى^(١)، وذكر أيضا عن خلود عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحي انغلقي^(٢)، وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسي ، أنبأنا محمد بن إسحاق ، أنبأنا أحمد بن أبي الخوارى ، أنبأنا عبد الله ابن غياث عن الفزاري قال: « لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب ، فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء »^(٣)، وقد روى سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر »^(٤).

وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها »^(٥)، وهذا صريح

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو نعيم في (صفة الجنة) (١٧٢)، في إسناده خلود بن دعلج وهو ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه أبو نعيم في (صفة الجنة) (١٧٣).

(٣) موقوف على الفزاري.

(٤) إسناده ضعيف وله شواهد صحيحة ، أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٨٢) وفي إسناده زياد ، وهو ضعيف الحديث ويشهد لعناه ما رواه مسلم (١٩٦) عن أنس أن النبي ﷺ قال « أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة . وأنا أول من يقرع باب الجنة » ، ويشهد له أيضاً ما أخرجه مسلم (١٩٧) مرفوعاً : « أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح . فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك ».

(٥) إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٣١٤٨) ، والحميدي (١٢٠٤) ، والدارمي (٢٧/١) وغيرهم ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع ، وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى »^(١) ، ويذكر عن على - رضى الله عنه: من قال: لا إله الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة ، كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة^(٢) .

فصل

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليتها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة ، ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض. وهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ، كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال: « باب أمقى الذى يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثا ، ثم إنهم ليضغظون حتى تكاد مناكبهم تزول »^(٣). وفيه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « أتانى جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذى تدخل منه أمقى » الحديث^(٤) ، وسيأتى بتمامه - إن شاء الله - تعالى.

وقال خلف بن هشام البزار: ثنا أبو شهاب عن عمر بن قيس الملائى عن

-
- (١) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٨٤) من طريق عبد الله بن جعفر عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة وفى إسناده عبد الله بن جعفر وهو ضعيف.
- (٢) ضعيف أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٨٥) ، وابن الجوزى (العلل المتناهية) (١٤٠٢) وغيرهما من طريق إبراهيم بن محمد المخرمى عن الفضل بن غانم عن مالك عن جعفر بن محمد أبيه عن جده. وفى إسناده الفضل بن غانم ضعيف جدا.
- (٣) منكر وقد سبق.

- (٤) ضعيف أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) وغيره من طريق أبى خالد الدالانى عن أبى خالد مولى آل جعدة عن أبى هريرة مرفوعا ، وفى إسناده: أبو خالد مولى آل جعدة : مجهول .

أبى إسحاق عن عاصم بن حمزة عن على بن أبى طالب قال: إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا يترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً ، ثم قرأ ﴿ طِبَّتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاها الولدان فيستبشرون برويتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاناتهم فنقول: أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكى على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ، فلولا أنه خلق له لالتمع بصره فيقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ^ط ﴾ (١) [سورة الأعراف: ٤٣] ، والله أعلم.



(١) إسناده ضعيف أخرجه ابن أبى شيبة (١٣/ ١١٢ ، ١١٣) ، والطبرى فى تفسيره (٣٠٢٥٤) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١٨٤١٣) من طرق عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على وعاصم بن ضمرة إن كان قد يحسن حديثه ولكن فى روايته عن على مقال قال ابن عدى [الكامل] (٥/ ٢٢٥) وعاصم بن ضمرة لم أذكر له حديثاً لكثرة ما يروى عن على مما تفرد به وما لا يتابعه الثقات عليه والذى يرويه عن عاصم قوم ثقات البليه من عاصم ليس ممن يروى عنه.

الباب الثانى عشر

فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا فى معجم الطبرانى: أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى ، قالا: أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام ، حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ، حدثنا دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق ، قال دهم: وحدثنيه أيضا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى الرسول ﷺ قال: قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: « لعمر إلهك ، إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ... » ، وذكر الحديث بطوله ^(١).

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب ؛ لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاما ، ولا يمكن حمله على باب معين ، لقوله: ما منهن بابان ، والله أعلم.



(١) ضعيف ، رواه الحاكم (٤/٥٦٠) ، والبخارى فى (التاريخ الكبير) (٣/٥٢٩) وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٦٨) والطبرانى فى الكبير (١٩/٢١١) ، وفى إسناد هذا الحديث سلسلة مجاهيل.

الباب الثالث عشر

في مكان الجنة وأين هي ؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ آخَرَىٰ مِنْ دُونِ الْأُولَىٰ أَنْ يَضِلَّ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة النجم: ١٣ - ١٥] ، وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء ، وسميت بذلك ؛ لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ مِنْ دُونِ الْأُولَىٰ أَنْ يَضِلَّ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢] ، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو الجنة^(١) ، وكذلك تلقاه الناس عنه: وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضا عن مجاهد قال: هو الجنة والنار ، وهذا يحتاج إلى تفسير ، فإن النار فى أسفل السافلين ليست فى السماء ، ومعنى هذا ما قاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه وقاله أبو صالح عن ابن عباس ، الخير والشر كلاهما يأتى من السماء ، وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله.

وقال الحارث بن أبى أسامة ، حدثنا عبد العزيز بن أبان ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر بن شغاف قال: سمعت عبد الله بن سلام يقول: إن أكرم خليفة الله أبو القاسم عليه السلام ، وإن الجنة فى السماء^(٢) ، رواه أبو نعيم عنه ، قال: ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعا ، ثم ساقه من طريق ابن منيع قال: ثنا عمرو الناقد ، ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعا ، ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ، ثنا

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٣٢١٨٨).

(٢) صحيح إسناده أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٣١) وفى إسناده عبد العزيز بن أبان متروك ولكن تابعه جماعة منهم عفان بن مسلم كما عند الحاكم (٥٦٨/٤ ، ٥٦٩).

قلت: وقد روى مرفوعا ولكن فى إسناده عمرو بن عثمان بن سيار ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة طرف من حديث (١٣١).

محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الأرض السابعة^(١).

وقال ابن منده: ثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال: الجنة فى السماء الرابعة ، فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار فى الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء^(٢).

وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات ، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة^(٣) ، رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيرى عن إسرائيل عن ابن أبى يحيى عن مجاهد. وأما الأثر الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو ، قال: الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر فى كل عام مرة ، وإن أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير

(١) إسناده ضعيف جدا أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٣٢) وفى إسناده محمد بن عبيد الله العزرمى متروك وعطيه العوفى : ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف أخرجه البيهقى فى (البعث والنشور) (٥٠٠) وغيره ولكن بلفظ الجنة فى السماء السابعة ولكن فى إسناده محمد بن عبد الله العزرمى : متروك وأخرجه أبو نعيم فى (صفة الجنة) (١٣٤). ولكن قال (محمد بن عبد الله) بدل محمد بن عبيد الله . قلت : ولعله هو محمد بن عبيد الله .

قلت : وفى إسناده أبو الزعراء وهو عبد الله بن هانى ، قال البخارى : لا يتابع على حديثه ، وأورده ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وثقه العجلى وابن سعد وذكره ابن حبان فى الثقات.

(٣) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٣٥) وفى إسناده أبو يعلى الققات ضعيف.

يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة^(١). فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه ، فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله - سبحانه وتعالى - بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله - تعالى - مذكرا بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه مذكرة بتلك ، وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها. وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض »^(٢)، وهذا يدل على أنها في غاية العلو ، والله أعلم.

والحديث له لفظان هذا أحدهما ، والثاني: « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدّها الله للمجاهدين في سبيله »^(٣). وشيخنا يرجع هذا اللفظ ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح: « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »^(٤) ، أى من جملة أسمائه هذا القدر ، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضوعين. ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد ، والجنة مقببة

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف) (١٠٣ / ١٣) ، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٣٣) ، والبيهقي في البعث (٢٢٨) والجوزقاني (الأباطيل) (٣٠٠) وقال خالد بن معدان لم يسمع من ابن عمرو شيئا.

(٢) البخارى (٢٧٩٠) (٧٤٢٣) وهذا الحديث إن كان انتقده الترمذى بأن عطاء لم يدرك معاذ فللحديث شاهد عند مسلم بمعناه (١٨٨٤).

(٣) البخارى (٢٧٩٠) « ومسلم (١١٦).

(٤) البخارى (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) بلفظ (من حفظها) وعند مسلم في المتابعات (من أحصاها) .

أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: « إذا سألت الله فاسأله الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »^(١). قال شيخنا أبو الحجاج المزني: والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف ، أى وسقفه عرش الرحمن. فإن قيل: فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها ، فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه. قيل: لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش ، كان سقفا له دون ما تحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما « يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »^(٢) ، وهذا يحتمل شيئين: أن تكون منزلته عند آخر حفظه أو أن تكون عند تلاوته المحفوظة ، والله أعلم.



(١) البخاري (٢٧٩٠) .

(٢) صحيح لشواهده وسيأتي.

الباب الرابع عشر

فى مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة: ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»، رواه الإمام أحمد فى مسنده ولفظه: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»^(١).

وذكر البخارى فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح^(٢). وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال: قال أعرابى: يا رسول الله، ما مفتاح الجنة؟ قال: «لا إله إلا الله»^(٣). وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال: إن السيوف مفاتيح الجنة^(٤).

وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك

(١) ضعيف - أخرجه أحمد (٢٤٢/٥) وغيره وفى إسناده شهر بن حوشب وفيه ضعف، وشهر لم يسمع من معاذ ورواية إسماعيل بن عياش ضعيفة عن غير أهل بلده.

(٢) ضعيف. أخرجه البخارى فى صحيحه معلقا بصيغة التمريض فى الفتح (١٣١/٣) ووصله فى تاريخه (٩٥/١)، وأبو نعيم فى الحلية (٦٦/٤) وفى صفة الجنة (١٩١) من طرق عن عبد الملك بن محمد عن محمد بن سعيد بن رمانة عن سعيد بن رمانة عن وهب بن منبه، قلت وهذا إسناده ضعيف فيه محمد بن سعيد بن رمانة، وسعيد بن رمانة لم أجد له ترجمة.

(٣) ضعيف جدا، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٩٠) وفى إسناده أبان وهو متروك.

(٤) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٩٢) من طريق أبى معاوية ثنا الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن شجرة به. ويشهد لمعناه ما رواه مسلم (١٧٤٢) مرفوعا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.

على باب من أبواب الجنة؟» قلت: بلى، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(١)، وقد جعل الله - سبحانه - لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهارة»^(٢)، ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرغبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والتترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعى في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل».

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٢٢٨/٥، ٢٤٢، ٢٤٤)، وعبد بن حميد (١٢٨) والنسائي في الكبرى (١٠٢٨٩/٦) من طرق عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي رزين عن معاذ، وهناك خلاف في رواية حماد عن عطاء، وأكثر العلماء على أنه سماع منه قبل الاختلاط وقد روى البخاري (٨٣٦٤) ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى وفيه أن النبي ﷺ قال له: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: «قل لا حول ولا قوة إلا بالله».

(٢) أخرجه أحمد (١٢٣/١، ١٢٩)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣) وابن ماجه (٢٧٥) وغيرهم، من طرق عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب مرفوعا وللحديث شواهد لا تخلو من مقال.

لا يوفق لمعرفة ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه ، فإن الله - سبحانه وتعالى - جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه ، كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار ، كما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغى مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصى مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.



الباب الخامس عشر

في توقييع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿[سورة المطففين: ١٨ - ٢١] ، فأخبر الله - تعالى - أن كتابهم كتاب مرقوم ؛ تحقيقا لكونه مكتوبا كتابة حقيقية ، وخص -تعالى- كتاب الإبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء الكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار ، وما وقع لهم به وإشهارا له وإظهارا بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله - سبحانه وتعالى - وملائكته على عبده.

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له ، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات» ثم قال: «إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا ، تزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين

حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض » قال : « فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعنى على ملاء من الملائكة - إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله - عز وجل - فيقول الله - عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض فأنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » . قال : « فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة » .

قال : « فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره » قال : « ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعده ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذى يجرىء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » . قال : « وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة تزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجرىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب » قال : « فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده

طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له .»

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠] ، فيقول الله - عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض وتطرح روحه طرحا.

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] ، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري ، فينادى من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له: أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعده ، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث ، فيقول: رب لا تقم الساعة «^(١)» ، رواه أبو داود بنحوه ، فهذا التوقيع والمنشور الأول.

(١) إسناده حسن رواه الطبراني في الكبير (٢٧٢/٦).

فصل

وأما المنشور الثانى

فقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى عن عبد الرزاق عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية »^(١).

وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم ، أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسى ، أنبأنا زاهر الثقفى أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم ، أنبأنا المطهر ابن عبد الواحد البراقى ، حدثنا محمد بن إسحاق بن منده ، أنبأنا محمد بن على البلخى ، حدثنا محمد بن خشام ، حدثنا العباس بن زياد ثقة ، ثنا سعدان ابن سعيد ، ثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سليمان الفارسى أن النبى ﷺ قال: « يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم ، لفلان ابن فلان ، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية »^(٢).

قلت: وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، فالله المستعان.

(١) ضعيف ، أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٧٢/٦) (٦١٩١) وفى الأوسط (٣٠١١) والبيهقى فى البعث (٢٧٣) وغيرهم وفى إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى . ضعيف.

(٢) ضعيف ، أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١٥٤٧) وقال: قال الدارقطنى تفرد به سعدان عن التيمى قال المؤلف : سعدان مجهول وكذا محمد بن خشام..

الباب السادس عشر

فى توحيد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ﷺ ، وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ؛ ولهذا يوحد - سبحانه - سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣] ، وقال: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [سورة النحل: ٩] ، أى: ومن السبل جائر عن القصد وهى سبل الغي وقال: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الحجر: ٤١] .

وقال ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال: « هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره » ثم قال: « هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ ^(١) [سورة الأنعام: ١٥٣] .

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿ [المائدة: ١٥ ، ١٦] قيل: هى سبل تجمع فى سبيل واحد ، وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم ، فهذه هى شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها. وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا.

(١) صحيح أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ ، ٤٦٥) ، والنسائى فى الكبرى (٦/ ١١١٧٤) ، والدارمى (١/ ٦٧ ، ٦٨) ، والحاكم (٢/ ٣١٨) وغيرهم من طرق عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن ابن مسعود به . وأخرجه النسائى فى الكبرى (٦/ ١١١٧٥) والحاكم (٢/ ٢٣٩) من طريق أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله به ..

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال: « جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم ، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقالوا: مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا: أولوها له يفقهها فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة ، والداعى محمد فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس »^(١). ورواه الترمذى عنه ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: « إني رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً ، فقال: اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثلكم اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها »^(٢).

(١) البخارى (٧٢٨١).

(٢) إسناده ضعيف والمتن صحيح بشواهده أخرجه الترمذى (٢٨٦٠) من طريق سعيد بن أبى هلال عن جابر ، وقال: هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبى هلال لم يدرك جابر بن عبد الله. وأخرجه الحاكم (٣٩٣/٤) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن عطاء عن جابر ، وفى إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف ، وأخرجه الحاكم (٢٣٨/٢ ، ٢٣٩) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد عن سعيد عن محمد بن على بن الحسين عن جابر وفى إسناده عبد الله بن صالح وهو ضعيف وله شاهد بنحوه عند البخارى (٧٢٨١).

وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال: صلى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدي حتى خرج بى إلى بطحاء مكة فأجلسنى ثم خط على خطا ثم قال: « لا تبرحن خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك » ، ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد ، فبينما أنا جالس فى خطى ، إذ أتانى رجال كأنهم الزط^(١) أشعارهم وأجسامهم ، لا أرى عورة ولا أرى بشرا وينتهون إلى لا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان آخر الليل ، لكن رسول الله ﷺ قد جاءنى وأنا جالس فقال: « لقد رآنى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى ، فتوسد فخذى فرقد » ، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ ، فبينما أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذى إذا برجال عليهم ثياب بيض ، الله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إلى ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجله ، ثم قالوا: ما رأينا عبدا قد أوتى مثل ما أوتى هذا النبى ، أن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلا ، مثل سيد بنى قصرا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجاب أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبة أو قال عذبه ، ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال: « سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدرى من هم؟ » قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: « هم الملائكة ، فتدرى ما المثل الذى ضربوه؟ » قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: « الرحمن بنى الجنة ، ودعا إليها عباده فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عذبه »^(٢).

(١) الزط: هو جنس من الهنود ، النهاية (٢ / ٣٠٢) .

(٢) إسناده ضعيف وله شواهد بمعناه أخرجه الترمذى (٢٨٦١) من طريق جعفر بن ميمون عن أبى تيممة الهجيمى عن أبى عثمان عن ابن مسعود به ، وأخرجه الدارمى (٧/١) من طريق أبى أسامة عن جعفر بن ميمون عن أبى عثمان النهدي مرفوعا وفى إسنادهما جعفر بن ميمون وفيه مقال ، وأخرجه أحمد (٣٩٩/١) من طريق معتمر قال: قال أبى حدثنى أبو تيممة عن عمرو البكالى عن عبد الله بن مسعود مرفوعا قال البخارى فى التاريخ الصغير (٢٣٤/١) ولا يعرف لعمرى سماع من ابن مسعود ويشهد لمعناه حديث البخارى (٧٢٨١) .

الباب السابع عشر

فى درجات الجنة

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة النساء: ٩٥ ، ٩٦] .

ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه قال: هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمّر سبعين عاما^(١) . وقال ابن المبارك: أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤] ، قال: بعضهم أفضل من بعض ، فىرى الذى قد فضل به فضله ولا يرى الذى هو أسفل منه ، أنه فضل عليه أحد من الناس^(٢) .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة ، ثم أوقعه ثانيا بدرجات ،

(١) صحيح ، أخرجه ابن أبى حاتم (٥٨٥٧) من طريق أسيد بن عاصم عن الحسين بن حفص عن سفيان عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز به وإسناده حسن ، وقد رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١٩٣) من طريق إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة به وإسناده صحيح .

(٢) إسناده صحيح ، أخرجه ابن أبى حاتم (٨٧٩٩) عن سلمة بن نبيط عن الضحاك به ، ونعيم ابن حماد فى زياداته على زهد ابن المبارك (٢٤٦) .

فقل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد ، والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد
وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ ۚ هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٦٣] ،
[سورة آل عمران: ١٦٢ ، ١٦٣] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا ۚ هُمْ دَرَجَتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ٢ - ٤] ،
وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار
عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراوون أهل
الغرف من فوقهم كما يتراوون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو
المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها
غيرهم؟ قال: بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(١) .
ولفظ البخارى فى الأفق وهو أبين ، والغابر هو الذاهب الماضى قد تدلى
للغروب ، وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان ،
الأولى: بعده عن العيون ، والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض
وإن لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ،
والله أعلم .

وفى الصحيحين أيضا من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:
« إن أهل الجنة ليتراوون أهل الغرفة فى الجنة ، كما ترون الكوكب فى أفق
السماء »^(٢) . وقال الإمام أحمد: حدثنا فرات أخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن

(١) البخارى (٣٢٥٦) ، ومسلم (٢٨٣١) .

(٢) البخارى (٦٥٥٥) ، ومسلم (٢٨٣٠) .

على عن عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراوون في الجنة كما تراوون أو ترون الكوكب الدرى الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات ، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: بلى ، والذي نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(١). ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه ، وفى هذا الحديث (الغارب) وفى حديث أبى سعيد الخدرى (الغابر) وقوله: الطالع صفة للكوكب وصفة بكونه غاربا وبكونه طالعا.

وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال بن على ، عن عطاء ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراوون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الأفق فى تفاضل الدرجات ، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال: بلى ، والذي نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(٢) ، وهذا على شرط البخارى أيضا. وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ، فيقال من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل »^(٣). وفى

(١) إسناده ضعيف وله شواهد صحيحة ، أخرجه أحمد (٣٥٥/٢) من طريق فليح عن هلال ابن على عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعا ، وفى إسناده فليح وفيه مقال ، وقد أخرجه البخارى ومسلم كما سبق من طريق صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد.

(٢) صحيح لغيره أخرجه الترمذى (٢٥٥٦) وغيره وفيه العلة التى ذكرناها فى الحديث السابق ويشهد لمعناه ما أخرجه البخارى ، ومسلم وقد سبق تخريجه.

(٣) ضعيف أخرجه أحمد (٨٧/٣) من طريق على بن عياش عن محمد بن مطرف عن أبى حازم عن أبى سعيد به وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه ، وأبو حازم : وهو سلمة بن دينار لم يسمع من أبى سعيد انظر جامع التحصيل (٢٥٥).

المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضا عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة مائة درجة ، ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم »^(١).

وفى المسند عنه أيضا عن النبي ﷺ قال: « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »^(٢). وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة. وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »^(٣) ، فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درجة دونها.

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ ابن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقا على الله أن يغفر له ، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه » ، قلت: يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال: « لا ، ذر الناس يعملون وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض وأعلى درجة منها الفردوس ، وعليها ما يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس »^(٤) ،

(١) ضعيف أخرجه الترمذی (٢٥٣٢) ، وأحمد (٢٩/٣) ، وأبو يعلى (١٣٩٨) وغيرهم من

طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به.

(٢) إسناده حسن ، أخرجه أحمد (١٩٢/٢) ، وأبو داود (١٤٦٤) والترمذی (٢٩١٤) ،

وغيرهم من طرق عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن عمرو به.

(٣) البخاري (٢٧٩٠).

(٤) صحيح لشواهده وقد سبق.

رواه الترمذى هكذا بلفظه. وروى أيضا من حديث عطاء بن عباد بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة» ^(١) ثم ذكر نحو حديث معاذ. وفيه أيضا من حديث عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام» ^(٢)، قال: هذا حديث حسن غريب. وفيه أيضا من حديث أبي سعيد يرفعه: «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم» ^(٣)، رواه أحمد بدون لفظة: «في» كما تقدم، وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة: «فى» وبدونها، وإن كان المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار، والله أعلم.

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريبا للأفهام، ويدل عليه حديث زيد بن حباب، حدثنا عبد الرحمن بن شريح، حدثنى أبو هانئ التجيبى سمعت أبا على التجينى، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو بعد ما بين السماء والأرض» قلت: يا رسول الله لمن؟ قال: «للمجاهدين فى سبيل الله» ^(٤).

(١) صحيح وقد سبق.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩٢)، والترمذى (٢٥٢٩) وغيرهما من طريق شريك بن محمد بن جحاده عن عطاء عن أبي هريرة به، وفى إسناده شريك وهو ضعيف وقد وقع تصحيف فى بعض نسخ الترمذى فذكر إسرائيل بدل شريك وأخرجه أحمد (٥/٣١٦) من طريق يزيد بن هارون عن همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن عباد بن الصامت مرفوعا بلفظ «الجنة مئة درجة، ما بين درجتين مسيرة مئة عام». اللفظ الذى فى الصحيحين الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما فى بين السماء والأرض.

(٣) ضعيف وقد سبق.

(٤) صحيح لشواهده، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٣٠) وروى نحوه مسلم (١٨٨٤).

الباب الثامن عشر

فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم فى صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى »^(١). وقال أحمد: أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إذا صليتم فسلوا الله لى الوسيلة » قيل: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: « أعلى درجة فى الجنة لا يناها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو »^(٢)، هكذا الرواية « أن أكون أنا هو » ، ووجهها أن تكون الجملة خبرا عن اسم كان المستتر فيها ، ولا يكون أنا فصلا ولا توكيدا بل مبتدأ.

وفى الصحيحين من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة^(٣) والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعته مقاما محمودا الذى وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة »^(٤). هكذا لفظ الحديث (مقاما) بالتكثير ليوافق

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) إسناده ضعيف ، أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٥) ، والترمذى (٣٦١٢) وغيرهما من طريق الليث ابن أبى سليم وهو ضعيف ولبعض فقراته شاهد عند مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه به عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » .

(٣) الوسيلة: هى كل ما يتوصل به إلى الشئ ، والمراد هنا القرب إلى الله تعالى ، النهاية (٥ / ١٨٥).

(٤) البخارى (٦١٤) ، (٤٧١٩).

لفظ الآية ؛ ولأنه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة ، فوصف بما توصف به المعارف ، وهذا اللطف من جعل الذى وعدته بدلا ، فتأمله.

وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة ، فسلوا الله لى الوسيلة » ^(١). وذكره ابن أبى الدنيا وقال فيه: « درجة فى الجنة ليس فى الجنة درجة أعلى منها ، فسلوا الله أن يؤتيها على رؤوس الخلائق » ^(٢). وقال أبو نعيم: أنبأنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبد الله بن عمران العابد ، حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلى من نفسى ، وإنك أحب إلى من أهلى ، وأحب إلى من ولدى ، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء: ٦٩] ، قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى: لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأسا.

(١) ضعيف رواه أحمد (٨٣/٣) وفى إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف وموسى بن وردان فيه مقال.

(٢) حسن رواه الطبرانى فى الصغير (٢٦/١) وأبو نعيم فى الحلية (٢٣٩/٤ ، ٢٤٠) وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رواه الطبرانى (٨٦/١٢).

وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة ؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله ، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب: وهي فعيلة من وسل إليه تقرب إليه.

قال لبيد:

بلى كل ذى رأى إلى الله واسل

ومعنى الوسيلة: من الوصلة ؛ ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نورا ، وقال صالح بن عبد الكريم: قال لنا فضيل بن عياض: أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: نور سقف مساكنكم نور عرشه^(١).

وقال بكر عن أشعث عن الحسن: إنما سميت عدن ؛ لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة ، وللحور العذبية الفضل على سائر الحور^(٢) ، والقربى والزلفى واحد ، وإن كان فى الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل. وقال الكلبي: اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة ، وقد كشف - سبحانه - عن هذا المعنى كل الكشف ، بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧] ، فقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧] ، هو تفسير للوسيلة التى يتغياها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون فى القرب منه. ولما كان رسول ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه ، وأعلمهم به ، وأشدهم له خشية ، وأعظمهم له

(١) ضعيف : رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٢) وفى إسناده حفص بن عمر بن ميمون وهو ضعيف.

(٢) ضعيف : رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٣) وفى إسناده أشعث بن سوار وهو ضعيف الحديث.

محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله ، وهي أعلى درجة في الجنة ، وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان. وأيضا ، فإن الله - سبحانه - قدرها له بأسباب ، منها: دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى ، صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: « حلت عليه » يروى « عليه » و« له » ، فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ، ومن رواه بـ« على » فمعناه وقعت عليه شفاعتى ، والله أعلم.



الباب التاسع عشر

فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمانها

الذى طلبه منهم وعقد التبائع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: ١١١] ، فجعل -

سبحانه - ههنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

الأول: إخبارهم - سبحانه وتعالى - بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن.

الثانى: الإخبار بذلك بصيغة الماضى ، الذى قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه -سبحانه- وأنه هو الذى اشترى هذا البيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة « على » التى للوجوب إعلاما لعباده ، بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه فى أفضل كتبه المنزل من السماء وهى التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلانه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه .

التاسع: أنه - سبحانه وتعالى - أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشروا به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر: أنه أخبرهم إخبارا مؤكدا بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله: ﴿بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [سورة التوبة: ١١١] ، أى عاوضتم وثأمتم به .

ثم ذكر - سبحانه - أهل هذا العقد الذى وقع العقد ، وتم لهم دون غيرهم وهم الثابتون مما يكره العابدون له بما يجب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون ، السائحون ، وفسرت السياحة بالصيام ، وفسرت بالسفر فى طلب العلم ، وفسرت بالجهاد ، وفسرت بدوام الطاعة ، والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبهه والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ، ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ؛ ولذلك وصف الله - سبحانه - نساء النبى ﷺ اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهادا ولا سفرا فى طلب علم ولا إدامة صيام وإنما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله - تعالى - وخشيته والإنابة إليه ذكره .

وتأمل كيف جعل الله - سبحانه - التوبة والعبادة قرينتين ، هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يجب ، والحمد والسياحة قرينتين ، هذا الثناء عليه بأوصاف كماله وسياحة اللسان فى أفضل ذكره ، وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره وإجلاله كما جعل - سبحانه - العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الأزواج ، فهذه عبادة البدن ، وهذه عبادة القلب . وجعل الإسلام والإيمان قرينتين فهذا علانية ، وهذا فى القلب كما فى المسند عنه ﷺ: «الإسلام

علانية ، والإيمان فى القلب»^(١) ، وجعل القنوت والتوبة قرينتين ، هذا فعل ما يجب ، وهذا ترك ما يكره. وجعل الثبوبة والبكارة قرينتين ، فهذه قد وطئت وارتاضت وذلك صعوبتها وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد. وجعل الركوع والسجود قرينين ، وجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم ؛ إعلاما بأن أحدهما لا يكفى حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قرينا لحفظ حدوده ، فهذا حفظها فى نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها ، وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها ، فإن السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو ، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى ما جرى على يده عقد التبائع ، فالسلعة النفس ، والله - سبحانه - المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه:

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »^(٢) ، قال: هذا حديث حسن غريب.

(١) ضعيف ، أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤ ، ١٣٥) ، وابن أبى شيبه (١١/ ١١) وأبو يعلى (٢٩٢٣) وابن عدى (٥/ ٢٠٧) ، وفى إسناده على بن مسعدة فيه مقال ، وقال فيه ابن عدى بعد أن ذكر هذا الحديث قال ولعل على بن مسعدة غير ما ذكرت عن قتادة وكلها غير محفوظة.

(٢) أخرجه الحاكم [٤/ ٣٠٧ ، ٣٠٨] ، البيهقى فى الشعب (٧/ ٣٥٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٧٧) من طرق عبد الله بن محمد بن عقیل عن الطفیل ، عن أبى بن كعب ، وفى إسناده عبد الله بن محمد بن عقیل فيه مقال ، وأخرجه الترمذى (٢٤٥٠) ، وعبد بن حميد (١٤٥٨) ، والعقيلي (٤/ ٣٨٣) وغيرهما وفى إسنادهما يزيد بن سنان ضعيف وبكير بن فيروز : مجهول وقد حسنه الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة (٢٣٣٥).

وفى كتاب « صفة الجنة » لأبى نعيم من حديث أبان عن أنس قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: ما ثمن الجنة؟ قال: « لا إله إلا الله »^(١)، وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ، أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول ، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ فقال: « أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال: « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا »^(٢).

وفى صحيح مسلم عن جابر قال: أتى النعمان بن قوئل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة؟ فقال النبى ﷺ: « نعم »^(٣) ، وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »^(٤).

وفى المسند وسنن أبى داود عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »^(٥).

(١) إسناده ضعيف جدا ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٥١) وفى إسناده أبان بن أبى عياش وهو متروك ورواه ابن عدى (٣٤٨/٦) وفى إسناده موسى بن إبراهيم وهو متروك.

(٢) البخارى (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤).

(٣) مسلم (١٥).

(٤) مسلم (٢٦).

(٥) حسن بشواهد ، أخرجه أحمد (٢٣٣/٥) ، وأبو داود (٣١١٦) ، والحاكم (٣٥١/١) وغيرهم من طرق عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى عريب عن كثير بن مرة عن معاذ به وفى إسناده صالح بن أبى عريب روى عنه جمع وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن القطان لا يعرف حاله وللحديث شواهد.

وفى الصحيحين عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «أتانى آت من ربى فأخبرنى ، أو قال: فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»^(١).

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء .» وفى لفظ: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»^(٢).

وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال: «اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة»^(٣).

وقال روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: ثمن الجنة: لا إله إلا الله^(٤) ، وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل أحدا منكم الجنة عمله ، ولا يجيزه من النار ، ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى» ، وإسناده على شرط مسلم ، وأصل الحديث فى الصحيح^(٥).

= شاهد أبى هريرة أخرجه ابن حبان (٣٠٠٤) وغيره بلفظ : «لقتوا موتاكم لا إله إلا الله» وكل رجاله ثقات إلا محمد بن إسماعيل الفارسى - ذكره ابن حبان فى الثقات وقال يغرب.

وشاهد حذيفة ، أخرجه أحمد (٣٩١/٥) من طريق حماد بن سلمة عن عثمان البتي عن نعيم بن أبى هند عن حذيفة مرفوعا «من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم لها بها دخل الجنة ...» ورجالهم ثقات إلا ما يخشى من الانقطاع بين نعيم وحذيفة.

(١) البخارى (١٢٣٧) ، ومسلم (٩٤).

(٢) البخارى (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨).

(٣) مسلم (٣١).

(٤) إسناده صحيح أخرجه ابن أبى شيبة (٥٢٩/١٣) .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٥٢) وله شاهد فى مسلم (٢٨١٧) بلفظ «لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة . ولا يجيزه من النار . ولا أنا إلا برحمة من الله» .

فصل

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو: أن الجنة إنما تدخل برحمة الله - تعالى - وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ؛ ولهذا فثبت الله - تعالى - دخولها بالأعمال فى قوله: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٧٢] ، ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله »^(١) ولا تنافى بين الأمرين لوجهين: الأول: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ، ويدل على هذا حديث أبى هريرة الذى سيأتى - إن شاء الله تعالى ، « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم »^(٢) ، رواه الترمذى. والثانى: أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره ، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله ، وقد جمع النبى ﷺ بين الأمرين بقوله: « سدودوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته »^(٣).

ومن عرف الله - تعالى - وشهد مشهد حقه عليه ، ومشهد تقصيره وذنبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به ، والله - سبحانه وتعالى - المستعان.

(١) مسلم (٢٨١٨).

(٢) ضعيف أخرجه الترمذى (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) وابن حبان (٧٤٣٨) وغيرهم من طريق هشام بن عمار عن عبد الحميد بن أبى العشرين عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة به. قال البخارى عبد الحميد ربما يخالف فى حديثه « وعبد الحميد تفرد عن الأوزاعى بغير حديث لا يرويه غيره وهو ممن يكتب حديثه . ذكره ابن عدى فى الكامل (٣٢٣/٥) وله طرق آخر عن سعيد عن أبى هريرة كلها معلة .

(٣) البخارى (٦٤٦٤ ، ٦٤٦٧) ، ومسلم (٢٨١٨).

الباب العشرون

فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم

وشفاعتها فيهم إلى ربهم - عز وجل -

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٢٢) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٢٣﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣ ، ١٩٤] ، والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على السنة رسلك من دخول الجنة ، وقالت طائفة: معناه: وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس بسهل حذف الاسم والحرف معا ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك ، وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣] ، وهذا صريح فى الإيمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على السنة الرسل ، فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل ، وذلك أيضا يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه ، وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية ، وقيل: المعنى: آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على السنة الرسل ، والأول أهم وأكمل. وتأمل: كيف يتضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم ، فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه.

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده ، مع أنه فاعل

لذلك ولا بد. وأجاب: بأن هذا تعبد محض كقوله: ﴿ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢] ، وقول الملائكة: ﴿ فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ [سورة غافر: ٧] ، وخفى على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط ، منها: الرغبة إليه - سبحانه وتعالى - وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به ، وأن لا يلحقه ما يحبطه ، فإذا سألوه - سبحانه - أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم ، وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التى ينجز لهم وعده ، فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية. وأما قوله: ﴿ رَبِّ أَحْكَمْ ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢] ، فهذا سؤال له - سبحانه وتعالى - أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة. وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين ، وهو من الأسباب التى يوجب بها لهم المغفرة فهو - سبحانه - نصب الأسباب التى يفعل بها ما يريد بأوليائه وأعدائه ، وجعلها أسبابا لإرادته ، كما جعلها أسبابا لوقوع مراده ، فمنه السبب والمسبب ، وإن أشكل عليك ذلك ، فانظر إلى خلقه الأسباب التى توجب محبته وغضبه ، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التى خلقها وشاءها فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائده إلى حكمته وحده ، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلججه إلا العالمون بالله ، ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝ ﴾ [سورة الفرقان: ١٥ ، ١٦] ، يسأله إياه عباده المؤمنون ، ويسأله إياه ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم - سبحانه - بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفى هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم

أسمائه وصفاته واقتضائها لأثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب - تعالى - جواد ، له الجود كله ، يجب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه ، فهو خالق السائل وسؤاله ومستوله . وذلك لمحبة سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسأل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ، وهو يحب الملحين في الدعاء وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه. وفي الحديث: « من لم يسأل الله يغضب عليه »^(١) ، فلا إله إلا هو ، أى جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله !! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا يونس . هو ابن أبى إسحاق ، حدثنا بريد بن أبى مريم قال: قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار: اللهم أجره من النار »^(٢) ، رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن بريد به.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧) ، والترمذى (٣٣٧٣) ، وابن ماجه (٣٨٢٧)

وغيرهم من طريق أبى صالح الخوزى عن أبى صالح عن أبى هريرة وفى إسناده أبو صالح الخوزى ضعفه ابن معين وقال أبو زرعة لا بأس به . وله شاهد ضعيف عند الطبرانى فى الدعاء (٢٤) ، وصححه الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة (٢٦٥٤) ..

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٣/١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٢) ، والترمذى (٢٥٧٢) ، والنسائى

(٨/٢٧٩) وابن ماجه (٤٣٤٠) من طرق عن بريد بن أبى مريم عن أنس مرفوعاً.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن خباب عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا يسألني فأدخلنيه»^(١). وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: إن عبدك فلانا استجار مني فأجره ، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا سألتني فأدخله الجنة»^(٢) وإسناده على شرط الصحيحين.

وقال أبو داود في مسنده: حدثنا شعبة ، حدثني يونس بن خباب ، سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أسأل الله الجنة سبعا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»^(٣). وقال الحسن بن سفيان: حدثنا المقدمي ، حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا مسألة الله الجنة واستعيذُوا به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة: يا رب عبدك

(١) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٦٨) والبراز (في كشف الأستار) (٣١٧٥) بنحوه وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أبو يعلى (٦١٩٢) وفي إسناده يونس بن خباب فيه ضعف وأخرجه البزار (٣١٧٥) كشف الأستار وابن عدى (الكامل) (١٧٤/٧) من طريق يونس عن أبي علقمة عن أبي هريرة به.

(٣) إسناده ضعيف أخرجه الطيالسي (٢٧٠٢) وأبو نعيم في (صفة الجنة) (٦٩) وهذا إسناد ضعيف من أجل يونس بن خباب ، وقد خالفه يعلى بن عطاء وهو ثقة فرواه موقوفا على أبي هريرة.

هذا الذى سألتك فأسكنه إياى ، وتقول النار: يا رب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فأعذه» ^(١).

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون: حسبنا أن يجيرنا من النار ، فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرنى من النار ، أو مثلى يجترئ أن يسألك الجنة؟ ومنهم عطاء السلمى ، كان لا يسأل الجنة ، فقال له صالح المرى: إن أبان حدثنى عن أنس أن النبى ﷺ قال: « يقول الله - عز وجل: انظروا فى ديوان عبدى ، فمن رأيتموه سألتى الجنة أعطيته ، ومن استعاذنى من النار أعدته» ^(٢) ، فقال عطاء: كفانى أن يجيرنى من النار ، وذكرها أبو نعيم.

وقد روى أبو داود فى سننه من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبى ﷺ قال للفتى ، يعنى الذى شكاه: « كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت؟ قال: أقرأ بفاتحة الكتاب ، وأسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار ، وإنى لا أدرى ما دندنتك ودندنة معاذ؟ فقال النبى ﷺ: « إني ومعاذ حولها ندندن » ^(٣).

(١) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٧٠) وفى إسناده عمر بن على المقدمى يدللس تدليسا شديدا ويحيى بن عبيد الله بن أبى مليكة فيه ضعف.

(٢) إسناده ضعيف جدا أخرجه أبو نعيم فى (صفة الجنة) (٧١) وفى إسناده أبان بن أبى عياش وهو متروك وصالح المرى ، وهو منكر الحديث.

(٣) صحيح أخرجه أبو داود (٥٩٩) (٧٩٣) ، وأحمد (٣/٣٠٢) من طرق عن محمد بن عجلان عن عبيد الله بن مقسم عن جابر وأخرجه أبو داود (٧٩٢) وابن ماجه (٩١٠) ، وأحمد (٣/٤٧٤) من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وعند بعضهم عن أبى صالح عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال الدارقطنى [العلل] [١٥٣/١٠] والصحيح قول من رواه عن الأعمش عن أبى صالح عن رجل من أصحاب النبى.

وفى سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة »^(١). رواه عن أحمد بن عمرو العصفري ، حدثنا يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد ، فذكره.

وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبى بشير يرفع الحديث: « ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان ، تقول الجنة: يا رب قد طابت ثمارى واطردت أنهارى ، واشتقت إلى أوليائى ، فعجل إلى بأهلى ... »^(٢) الحديث ، فالجنة تطلب أهلها بالذات ، وتجذبهم إليه جذبا والنار كذلك ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ ألا نزال نذكرهما ولا ننساها. كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده ، حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، حدثنا أيوب بن أبى شبيب الصنعانى قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثنى عبد الله بن بحير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبد الله ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تنسوا العظيمين قلنا: وما العظيمتان يا رسول الله ؟ قال: الجنة والنار »^(٣).

وذكر أبو بكر الشافعى من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اطلبوا الجنة جهدكم ، واهربوا من النار جهدكم ، فإن الجنة لا ينام

(١) ضعيف أخرجه أبو داود (١٦٧١) وغيره وفى إسناده سليمان بن معاذ التميمى قال الذهبى : سليمان بن مرام ويقال سليمان بن معاذ فينسب إلى جده ، فإنه سليمان بن قدم ابن معاذ الكوفى - وفيه ضعف.

(٢) ضعيف وقد سبق تخريجه.

(٣) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٦٦) والدولابى فى الكنى (١٦٤ / ٢) وغيرهما وفى إسناده أيوب بن شبيب ذكره ابن حبان فى الثقات وقال يخطئ .

طالبها ، وإن النار لا ينام هاربها ، وإن الآخرة اليوم مخوفة بالمكارة ، وإن الدنيا مخوفة باللذات والشهوات ، فلا تلهينكم عن الآخرة»^(١).



(١) إسناده ضعيف جدا ، أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٠٠/١٩) ، وفى الأوسط (٣٦٥٦) وابو نعيم فى صفة الجنة (٣٠) ، وفى إسناده يعلى بن الأشدق : متروك.

الباب الحادى والعشرون

فى أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسمماها واحد باعتبار الذات ، فهى مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات ، فهى متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب - سبحانه وتعالى - وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار.

الاسم الأول: الجنة ، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين ، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ، ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ، والجان لاستتاره عن العيون ، والجن لستره ووقايته الوجه ، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ، والجان وهى الحية الصغيرة الرقيقة ، ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

أى لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك ، ومنه سمي البستان جنة ؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع ، والجنة بالضم ، ما يستجن به من ترس أو غيره ، ومنه قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً ﴾ [سورة المجادلة: ١٦] ، أى يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم ، ومنه الجنة - بالكسر - الجن ، كما قال تعالى: ﴿ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [سورة الناس: ٦] .

وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة ، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا ﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] ، قالوا: وهذا النسب قولهم: الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين:

الأول: إن النسب الذى جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجنة وبينه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] ، أى: قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب ، والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وأن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٦] ، وعلى هذا ففى الآية قولان:

القول الأول: قول مجاهد ، قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن^(١) ، وقال الكلبي: قالوا: تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة ، وقال قتادة: قالوا: صاهر الجن.

والقول الثاني: هو قول الحسن ، قال: أشركوا الشياطين فى عبادة الله ، فهو النسب الذى جعلوه ، والصحيح قول مجاهد وغيره ، وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم ، فإنهم لما قالوا: الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبا بهذا الإيلاء ، وجعلوا هذا النسب متولدا بينه وبين الجن ، وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] ، فالضمير يرجع إلى الجنة ، أى قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب ، قال مجاهد: أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٨] ، فجعل - سبحانه وتعالى - عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم بعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى إبطال قولهم من التقدير الأول ، فتأمله ، والمقصود ذكر أسماء الجنة.

(١) إسناده ضعيف أخرجه الطبرى (٢٩٦٥٤) وفى إسناده انقطاع بين مجاهد وأبى بكر .

فصل

الاسم الثانى: دار السلام ، وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله: ﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٧] ، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [سورة يونس: ٢٥] ، وهى أحق بهذا الاسم ، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهى دار الله واسمه - سبحانه وتعالى - السلام الذى سلمها وسلم أهلها: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [سورة يونس: ١٠] ، ﴿ وَالْمَلَكُ يُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [سورة الرعد: ٢٣ ، ٢٤] ، والرب - تعالى - يسلم عليهم من فوقهم ، قال تعالى: ﴿ هُمْ فِيهَا فَكِهِةٌ وَهُمْ مَّا يَدْعُونَ ﴾ ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس: ٥٧ ، ٥٨] ، وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب - تبارك وتعالى - عليهم فى الجنة ، وكلامهم كلهم فيها سلام ، أى لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم: ٦٢] ، وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٠ ، ٩١] ، فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه ، وقالوا أقوالا لا يخفى بعدها عن المقصود.

وإنما معنى الآية والله أعلم: فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين ، أى فسلامه لك كائنا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ، ومن النار وعذابها ، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدمه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة.

فصل

الاسم الثالث: دار الخلد ، وسميت بذلك ؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً
كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [سورة هود: ١٠٨] ، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا
لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [سورة ص: ٥٤] ، وقال: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾
[سورة الرعد: ٣٥] ، وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٨] ،
وسياتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها
- إن شاء الله تعالى.

فصل

الاسم الرابع: دار المقامة ، قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٣٤ ، ٣٥] ، قال مقاتل: أنزلنا دار
الخلود ، أقاموا فيها أبدا لا يموتون ، ولا يتحولون منها أبدا ، قال الفراء
والزجاج: المقامة مثل الإقامة ، يقال: قمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاما.

فصل

الاسم الخامس: جنة المأوى ، قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [سورة
النجم: ١٥] ، والمأوى: مفعول من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه
واستقر به ، وقال عطاء عن ابن عباس: هي الجنة التي يأوى إليها جبريل
والملائكة ، وقال مقاتل والكلبي: هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء ، وقال
كعب: جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء ، وقالت
عائشة - رضى الله عنها - وزر بن حبيش: هي جنة من الجنان.

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات: ٤٠ ، ٤١] ، وقال في النار: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات: ٣٩] ، وقال: ﴿وَمَأْوَلَكُمْ النَّارُ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥] .

فصل

الاسم السادس: جنات عدن ، ف قيل: هي اسم لجنة من الجنات ، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن ، قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴿٦١﴾﴾ [سورة مريم: ٦١] ، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُنْقَلُونَ فِيهَا مِنْ أَصْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة فاطر: ١٢] ، وقال تعالى: ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١٢] والاشتقاق يدل على جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال: عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد: توطنته ، وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه .

قال الجوهري: ومنه جنات عدن ، أي إقامة ، ومنه سمي المعدن - بكسر الدال - ؛ لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ، ومركز كل شيء معدنه ، والعادن: الناقة المقيمة في المرعى .

فصل

الاسم السابع: دار الحيوان ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَلْدَارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٤] ، المراد الجنة عند أهل التفسير ، قالوا: وإن الآخرة يعنى الجنة هي الحيوان هي دار الحياة التي لا موت فيها ، فقال الكلبي:

هى حياة لا موت فيها ، وقال الزجاج: هى دار الحياة الدائمة ، وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة ، قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة الحيوان ، قال أبو عبيدة: الحياة والحيوان والحي - بكسر الحاء - واحد قال أبو على: يعنى أنها مصادر ، فالحياة فعله كالجلبة والحيوان كالنزوان والغليان ، والحي كالعى ، قال العجاج:

كنا بها إذا الحياة حى

أى: إذا الحياة حياة ، أما أبو زيد فخالفهم وقال: الحيوان ما فيه روح ، والموتان والموات ما لا روح فيه.

الصواب: أن الحيوان يقع على ضربين: أحدهما: مصدر ، كما حكاه أبو عبيدة ، والثانى : وصف كما حكاه أبو زيد ، على قول أبى زيد: الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الأول بأن الفعلان بابهما المصدر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات ، فإن بابها فعلان كسكران وغضبان ، وأجاب من رجح القول الثانى بأن فعلان قد جاء فى الصفات أيضا قالوا: رجل ضميان للسريع الخفيف ، وزفيان قال فى الصحاح: ناقة زفيان سريعة ، وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم.

فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

معنيين:

الأول: أن حياة الآخرة هى الحياة ؛ لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ، أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدرا على هذا.

الثانى: أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تنفى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء فى هذه الدنيا ، فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت.

فصل

الاسم الثامن: الفردوس ، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الذين

يَرْتُونِ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ [سورة المؤمنون: ١٠ ، ١١] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٧ ، ١٠٨] ، والفردوس: اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات.

وأصل الفردوس: البستان والفرايس البساتين ، قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب ، وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم ، يقال: كرم مفردس أى معرّش ، وقال الضحاك: هى الجنة الملتفة بالأشجار ، وهو اختيار المبرد ، وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب ، الشجر الملتف والأغلب عليه العنب ، وجمعه الفرايس ، قال: ولهذا سُمى باب الفرايس بالشام ، وأنشد لجرير:

فقلت للركب إذ جد المسير يا بعد نيرين من باب الفرايس

وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية ، واختاره الزجاج فقال: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، قال: وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين ، قال حسان:

وإن ثواب الله كل مخلص جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

الاسم التاسع: جنات النعيم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [سورة لقمان: ٨] ، وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج ، والمساكن الواسعة ، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

فصل

الاسم العاشر: المقام الأمين ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [سورة الدخان: ٥١] والمقام: موضع الإقامة ، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه ، وهو الذى قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والمغص والنكد ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [سورة التين: ٣] ، الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم ، وتأمل كيف ذكر- سبحانه- الأمن فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [سورة الدخان: ٥١] ، وفى قوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [سورة الدخان: ٥٥] ، فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا.

فصل

الاسم الحادى عشر والثانى عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [سورة القمر: ٥٤ ، ٥٥] ، فسمى جنته مقعد صدق ؛ لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه ، وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ، ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصدق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق بالفتح ، الصلب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع: إنه لذو مصدق أى: صادق الجملة.

وهذا مصداق هذا ، أى ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالعة ومنه صدقنى القتال وصدقنى المودة ، منه قدم صدق ولسان صدق ومدخل

صدق ومخرج صدق ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شىء تحته ، وهو لا يتضمن أمرا ثابتا قط ، وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالأعمال التى تنال بها الجنة ، وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك.

والتحقيق: أن الجميع حق ، فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة، أى بالأسباب التى قدرها لهم على يد رسوله ، وادخر لهم جزاءها يوم لقائه ولسان الصدق ، وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقتها للواقع ، وأنه ثناء بحق لا يباطل ، ومدخل الصدق ومخرج الصدق وهو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامنا على الله وهو دخوله وخروجه بالله والله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد ، فإنه لا يزال داخلا فى أمر وخارجا من أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق ، والله المستعان.



الباب الثانى والعشرون فى عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدا ، كما روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك: أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ ، فقالت: يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان فى الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء؟ قال: « يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى »^(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « جنتان من ذهب آيتيهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آيتيهما وحليتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »^(٢)، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٤٦] ، فذكرهما ثم قال: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٦٢] ، فهذه أربع وقد اختلف فى قوله: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا ﴾ [الرحمن: ٦٢] هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين: فقالت طائفة: من دونهما ، أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما تحتهما ، قالوا: وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا ، أى دونه فى المنزلة ، كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك ، وفى الصحاح دون

(١) البخارى (٢٨٠٩) (٣٩٨٢).

(٢) البخارى (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠).

نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ، ثم قال: ويقال هذا دون هذا ، أى أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

الأول: قوله: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٤٨] ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه جمع فنن ، وهو الغصن. **وثانيهما:** أنه جمع فن وهو الصنف ، أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما.

الثانى: قوله: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٠] ، وفى الآخرين: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٦] ، والنضاجة: هى الفؤارة والجارية السارحة ، وهى أحسن من الفؤارة ، فإنهما تتضمنان الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٢] ، وفى الآخرين: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَخَلٌّ وَزُמَانٌ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٨] ، ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل ، واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنف فقالت طائفة: الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس ، وفيه نظر لا يخفى ، وقالت طائفة: الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب ، وقالت طائفة: نوعان ولم تزد ، والظاهر - والله أعلم - أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٤] ، وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها ، وفى الآخرين قال: ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٦] ، وفسر الرفرف بالحباس

والبسط وفسر بالفرش ، وفسر بالحابس فوقها ، وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأولين.

الخامس: أنه قال: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٤] ، أى: قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ، ولم يذكر ذلك فى الآخرين.

السادس: أنه قال: ﴿ فِيمَنْ قَصَصْتُ الظَّرْفِ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] ، أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهم لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الآخرين: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك فى التى بعدها.

الثامن: أنه قال - سبحانه وتعالى- فى الجنتين الأوليين: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠] ، وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزءا لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٢] ، والسياق يدل على أنه نقيض فوق ، كما قال الجوهرى.

فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا ، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما.

فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيها أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ، ورجح القول الثاني بوجهين:

الأول: من جهة النقل. والثاني: من جهة المعنى ، فأما الذى من جهة النقل، فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: « هما بستانان فى رياض الجنة »^(١) ، وأما الذى من جهة المعنى ، فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر ، والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال فى ذكر النساء: ﴿ فَيَهْن ﴾ [سورة الرحمن: ٧٠] فى الموضعين ، ولما ذكر غيرهن قال: ﴿ فِيهِمَا ﴾ [سورة الرحمن: ٥٢] ؟ قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿ فَيَهْنُ خَيْرٌ حَسَانٌ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٠] ، ثم أعاده فى الآخرين بهذا اللفظ ، ليتشاكل اللفظ والمعنى ، والله أعلم.

* * *

الباب الثالث والعشرون

في خلق الرب - تبارك وتعالى - بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب - تعالى - من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده ، فهي سيدة الجنان والله - سبحانه وتعالى - يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ، ومن البشر محمداً ﷺ ومن السموات العليا ، ومن البلاد مكة ، ومن الأشهر الحرم ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليل وسطه ، ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك ، فهو - سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَبُّكَ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَتَحْتَارُ ﴾ [سورة القصص: ٦٨] .

وقال الطبراني في معجمه: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث ، قال الطبراني في معجمه ، وحدثنا أبو الزنباغ روح بن الفرغ ، حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : « يترل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات ييقن من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه ، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون ، وفيها ما لم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرون فأعفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيته؟ ألا داع يدعوني فأستجيب

له؟ حتى يطلع الفجر»^(١) ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٨] ، فيشهده الله - تعالى - وملائكته.

قال الحسن بن سفيان: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ، قال: خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر»^(٢).

وقد ذكر الدارمي والنجار وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال: «الذي يقر السوء في أهله»^(٣). قلت: المحفوظ أنه موقوف.

قال الدارمي: حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ،

(١) منكر أخرجه الطبراني (في الأوسط) (٨٦٣٠) ، وأبو نعيم في صفة الجنة (٨) وفي

إسناده زيادة بن محمد الأنصاري قال البخاري والنسائي : منكر الحديث.

(٢) ضعيف أخرجه البيهقي في (الشعب) (٥٥٩٠) ، وفي البعث والنشور (٢٣٣) وأبو نعيم

في صفة الجنة (٦١) وفي إسناده يحيى بن أيوب الغافقي وداود بن أبي هند لم يسمع أنسا

وضعه الشيخ الألباني في الضعيفة (١٧١٩).

(٣) ضعيف ، أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٦٩٢) ، وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٣)

وغيرهما وفي إسناده البيهقي إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه وفيهما ضعف وفي إسناده أبي

نعيم أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن وهو ضعيف .

حدثنا عبيد بن مهران ، حدثنا مجاهد ، قال: قال عبد الله بن عمر: « خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وآدم - عليه السلام - ثم قال لسائر الخلق: كن فكان »^(١).

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها: تكلمى ، قالت: قد أفلح المؤمنون^(٢).

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا يعقوب القمى حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: خلق الله جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها كل يوم خمس مرات ، فيقول: ازدادى طيبا لأوليائي ، ازدادى حسنا لأوليائي^(٣).

وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: إن الله - تعالى - غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح فى كل سحر ، فينظر الله إليها فتقول: قد أفلح المؤمنون^(٤).

(١) إسناده صحيح إلى ابن عمر أخرجه الحاكم (٣١٩/٢) والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٩٣).

(٢) ضعيف أخرجه الطبرى فى التفسير (٢٥٤١٠) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٢٣٤) وغيرهم بأسقاط أنس وأخرجه الحكم (٣٩٢/٢) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٩١) من طريق على بن عاصم عن حميد الطويل عن أنس وفى إسناده على بن عاصم : ضعيف .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٨١).

(٤) ضعيف أخرجه أبو نعيم (١٨) وفى إسناده ليث بن أبى سليم فيه ضعف والبيهقى فى البعث والنشور (٢٣٧) وفى إسناده جابر الجعفى وهو متروك.

وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري ، حدثنا عدى بن الفضل عن الحريري ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرس عرسها بيده ، وقال لها: تكلمي ، فقالت: قد أفلح المؤمنون ، فقال: طوبى لك منزلة الملوك »^(١).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن أبي المثني البزار ، محمد بن زياد الكلبي حدثنا بشر بن حسن عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ، بلاطها المسك وحصابؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها: انطقي ، قالت: قد أفلح المؤمنون ، فقال الله - عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل »^(٢) ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر: ٩] .

وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفا وإظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتميزه بذلك عن غيره ، وبالله التوفيق ، فهذه الجنة في الجنات كآدم في نوع الحيوان.

وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبي ﷺ قال: « سأل موسى - عليه السلام - ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة فيقال له: أدخل الجنة ، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت رب ، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال

(١) ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة ، والبيهقي في البعث والنشور (٢٣٦)

وغيرهما وفي إسناده عدى بن الفضل : متروك وله طرق أخرى كلها واهية.

(٢) ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٧) مختصرا والحاكم (٣٩٢) وغيرهما ،

وله طرق وكلها ضعيفة انظر الضعيفة (١٢٨٤).

فى الخامسة: رضيت رب ، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر «^(١)»، ومصادقه من كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [سورة السجدة: ١٧] .



الباب الرابع والعشرون

فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] ، والخزنة جمع خازن ومثل حفظة وحافظ ، وهو المؤمن على الشيء الذى قد استحفظه .
وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول: بلى ، أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»^(١).

وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه: «من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى قلهم» ، قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه ، فقال النبى ﷺ: «إني لأرجو أن تكون منهم» ، وفى لفظ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم ، أرجو أن تكون منهم»^(٢).

لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان ، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى فى العمل الذى ينال به ذلك ، فخبّره بحصوله وبشره بأنه من أهله ، وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟

(١) مسلم (١٩٧).

(٢) البخارى (٢٨٤١) ، ومسلم (١٠٢٧).

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس ، قد سمي الله - سبحانه وتعالى -
كبير هذه الخزنة رضوان ، وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى حازن النار
مالكا وهو اسم مشتق من الملك ، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.



الباب الخامس والعشرون فى ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال: « فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك »^(١)؛ وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهارا لمزيتة ورتبته ولا يقوم فى خدمة أحد بعده ، بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته ، وهو كالمملك عليهم وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب.

وقد روى أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: « أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها: مالك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى »^(٢).

وفى الترمذى من حديث ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبا ، إن الله من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر: ما ذلك بأعجب من كلمه موسى كلمه تكليما ، وقال آخر: فعيسى كلمه الله وروحه وقال آخر: آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم فسلم وقال: « سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا

(١) أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٨٣) وفى إسناده محمد بن يونس ضعيف ورواية مسلم تحمل هذه الزيادة بلفظ « أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

(٢) ضعيف أخرجه أبو يعلى (٦٦٥١) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٨٤) وغيرهما وفى إسناده عبد السلام بن عجلان وفيه ضعف.

أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لى فأدخلها ، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»^(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي ، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأهم اللؤلؤ المكنون»^(٢)، رواه الترمذى والبيهقى واللفظ له.

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة»^(٣).



(١) إسناده ضعيف ، أخرجه الترمذى (٣٦١٦) وغيره وفى إسناده زمعة بن صالح : ضعيف.

(٢) ضعيف أخرجه الترمذى (٣٦١٠) وغيره وفى إسناده ليث بن أبى سليم : فيه ضعف .

وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٤٨٤ / ٥) وفى إسناده عبيد الله بن زحر وهو ضعيف.

(٣) مسلم (١٩٦).

الباب السادس والعشرون

فى ذكر أول الأمم دخولا فى الجنة

وفى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»^(١)، أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنى بيد سوى وغير وإلا ونحوها. وفى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه»^(٢).

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»^(٣).

وروى الدارقطنى من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقال عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى»^(٤)، قال الدارقطنى: غريب عن الزهرى ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقال عن الزهرى غير هذا الحديث، ولا رواه إلا عمرو ابن أبى سلمة عن زهير.

(١) البخارى (٢٣٨) (٨٧٦) (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥) بمعناه.

(٢) مسلم (٨٥٥).

(٣) البخارى (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٤) منكر أخرجه ابن عدى (الكامل) (١٢٩/٤) وابن أبى حاتم (العلل) (٢٢٧/٢) وفى إسناده صدقة وهو ضعيف وذكر ابن عدى هذا الحديث فى ترجمة عبد الله بن محمد بن عقال وقال أبو زرعة: هذا حديث منكر.

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش ، وأسبقهم إلى الفضل والقضاء بينهم وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ومحرمه على الأمم حتى تدخلها أمته . وأما أول الأمة دخولا ، فقال أبو داود في سنته : حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد السلام بن حرب عن أبى خالد الدالانى عن أبى خالد مولى آل جعدة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى جبريل فأخذ بيدي فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى » ^(١) .

وقوله : « وددت أنى كنت معك » حرصاً منه على زيادة اليقين ، وأن يصير الخبر عياناً ، كما قال إبراهيم الخليل : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۚ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظْمِنُ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠] .

وأما الحديث الذى رواه ابن ماجه فى سنته : حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحى أنبأنا داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « أول من يضافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » ^(٢) ، فهو حديث منكر جدا ، قال الإمام أحمد : داود بن عطاء ليس بشيء ، وقال البخارى : منكر الحديث .

(١) ضعيف وقد سبق .

(٢) منكر أخرجه ابن ماجه (١٠٤) .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

وفى الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا ييصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة^(١) ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا^(٢) .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على أثرهم كآشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة وأزواجهم الخور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء^(٣) .

وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء^(٤) .

(١) الألوة: هو العود الذى يتبخر به ، النهاية (١ / ٦٣) .

(٢) البخارى (٣٢٤٥) ، ومسلم (٢٨٣٤) .

(٣) البخارى (٣٣٢٧) ، ومسلم (٢٨٣٤) .

(٤) ضعيف أخرجه الطبرانى (فى الكبير) (١٩ / ١٢) وغيره وكل طرقه ضعيفة انظر الضعيفة

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل عن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « عرض على أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله ، وفقير فخور »^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبي عشانة الماعفري أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: « هل تدرون أول من يدخل الجنة » قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: « فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء تقول الملائكة: ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئا تتقى بهم المكاره . يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء . فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٢). ولما ذكر الله - تعالى - أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم ، قسم سعيدهم إلى قسمين: سابقين وأصحاب يمين فقال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٠] واختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه من باب التوكيد اللفظي ، ويكون الخبر قوله: ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١١] . **والثاني:** أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك: زيد زيد ، أي الذي سمعت به هو زيد كما قال:

أنا أبو النجم وشعري شعري

(١) ضعيف أخرجه أحمد (٤٢٥/٢ ، ٤٧٩) والترمذي (١٦٤٢) مختصرا وغيرهما ، وفي إسناده عامر العقيلي وأبوه مجهولان.

(٢) إسناده صحيح أخرجه الحاكم (٧١/٢ ، ٧٢).

وكقول الآخر:

إذ الناس ناس والزمان زمان

قال ابن عطية: وهذا قول سيويه.

والثالث: أن يكون الأول غير الثانى ، ويكون المعنى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان ، وهذا أظهر ، والله أعلم.

فإن قيل: فما تقول فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلال فقال: «يا بلال ، بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى؟ ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامى ، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب ، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل عربى قلت أنا عربى . لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش قلت : أن قريشى قالوا لرجل من أمة محمد ، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب » ، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين ، فقال رسول الله ﷺ : « فبذلك »^(١). قيل: نتلقاه بالقبول والتصديق ، ولا يدل على أن أحدا يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله ﷺ ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

وقد روى فى حديث: أن النبى ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان ، فتقدمه بين يديه كرامة لرسوله ، وإظهارا لشرفه وفضله ، ولا سبقا من بلال له ، بل هذا سبق من جنس سبقه إلى الوضوء ، ودخول المسجد ، ونحوه والله أعلم.

* * *

(١) صحيح وقد سبق تحريجه.

الباب الثامن والعشرون

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام »^(١) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي ، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا »^(٢) . وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء بأربعين خريفا »^(٣) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: أى أخى ماذا حبسك؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك ، فيقول: أى أخى إني حبست بعدك محبسا فظيعا كريها ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكله حمض لصدرت عنه »^(٤) .

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢٩٦/٢ ، ٣٤٣ ، ٤٥١) والترمذي (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) ، وابن ماجه (٤١٢٢) وغيرهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به .

وأخرجه أحمد (٥١٢/٢) وغيره من طريق أبي بكر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به ..

(٢) إسناده ضعيف أخرجه الترمذي (٢٣٥٥) وعبد بن حميد (١١١٥) وغيرهما وفي إسناده عمرو بن جابر الحضرمي وهو ضعيف .

(٣) مسلم (٢٩٧٩) .

(٤) أخرجه أحمد (٣٠٤/١) وفيه دويد غير منسوب .

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلى بن عبد الله الرازي قالا: حدثنا علي بن مهران العطار ، حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن سفیان الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » ، وذكر الحديث بطوله ^(١).

والذى فى الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفا ، فإما أن يكون هو المحفوظ وإما أن يكون كلاهما محفوظا ، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحيدين فى النار بحسب أحوالهم ، والله أعلم.

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه ، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة ، وإن سبقه غيره فى الدخول ، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا ، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله - تعالى - فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة ، والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ، ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. فالمرتبة مزية سبقت ، ومزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان ، فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب مقتضى الأمرين أو لأحدهما وعدمه وبالله التوفيق.

(١) إسناده ضعيف وله شواهد صحيحة أخرجه الطبراني فى الأوسط (٨٨٦٠) وفى إسناده

عدى بن الفضل وهو متروك وله شواهد صحيحة سبقت.

الباب التاسع والعشرون فى ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَالِينَ وَالْعَالِيْنَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٣٥] أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [١٣٦]

[سورة آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]. فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين ، فذكر بذلهم للإحسان فى حالة العسر واليسر ، والشدة والرخاء ، فإن من الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء ، ولا يبذل فى حال العسر والشدة ، ثم ذكر كفاذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعتو ، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم ، وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإضرار ، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِن السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠] ، فأخبر - تعالى - أنه أعدّها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان ، فلا مطعم لمن خرج عن

طريقتهم فيها وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٢ - ٤] . فوصفهم بإقامة حقه باطنا وظاهرا وبإداء حق عبادته ، وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما كان يوم خير أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عبادة » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا ابن الخطاب ، اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » ^(١) ، قال: فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وللبخارى معناه ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالا ينادى في الناس: « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » ^(٢) وفي بعض طرقه: « مؤمنة » ، وفي الحديث قصة.

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومى هذا ، كل مال نخلته عبدا حلال ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب » ، وقال: « إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك ،

(١) مسلم (١١٤).

(٢) البخارى (٣٠٦٢) ، ومسلم (١١١).

وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق قريشا ، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة ، قال: استخرجهم كما أخرجوك ، واغزهم نغزك ، وأنفق فسينفق عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، قال: وأهل الجنة الثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زير له ، الذين هم فيكم تبعاً لا يبينون فيكم أهلاً ولا مالا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلِكَ ومالك ، وذكر البخل ، أو الكذب والشنظير الفحاش ، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد»^(١).

وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبی ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة ، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر»^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق قال: أنبأنا عبد الله ، أنبأنا موسى ابن علي بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار كل جعظري جواظ متكبر ، جماع ، مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»^(٣). وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة: النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة ، ونساؤكم من أهل

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) البخارى (٤٩١٨) ، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٢/٢١٤).

الجنة: الودود الولود التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ثم تقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى»^(١) ، أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقي الحديث على شرطه.

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»^(٢).

وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أكرم قالوا: أنبأنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو هلال الراسبي ، حدثنا عقبة بن أبي ثبيت الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع»^(٣).

(١) أخرجه الطبراني (الكبير) (١٢٤٦٨) وصححه الشيخ الألباني كما في الصحيحة (٢٨٧).

(٢) إسناده صحيح وقد سبق.

(٣) ضعيف أعل بالإرسال ، رواه ابن ماجه (٤٢٢٤) وغيره من طريق مسلم بن إبراهيم عن أبي هلال الراسبي عن عقبة بن أبي ثبيت عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مرفوعا ورواه ابن المبارك في الزهد (٤٥٥) ، وأحمد في الزهد ص ١٩ عن عبد الصمد ، عن أبي هلال عن عقبة عن أبي الجوزاء عن النبي ﷺ مرسلًا. رواه البخاري في التاريخ الكبير (٩٣/٠٢) وغيره من طريق عبد السلام مطهر (أبي المظفر) عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس مرفوعا . وخالفه نعيم كما في زياداته على زهد بن المبارك (٢١٤) فرواه عن سليمان عن ثابت مرسلًا . ورواه الحاكم (٣٧٨/١) وغيره عن ثابت عن أنس مرفوعا ولكن في الطريق إليه عبد الرحمن بن الحسن الأزدي وهو متهم بالكذب ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٩٣/٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي الصديق مرسلًا . قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٣٢/٢) سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه أبو الظفر عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس مرفوعا فذكر الحديث فقالا هذا عندنا خطأ رواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي الصديق الناجي عن رسول الله مرسل وهو الصحيح فمنهم من يحدث عن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ والوهم من أبي الظفر.

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: مر بجنّازة فأتني عليها خيرا ، فقال نبي الله: « وجبت وجبت وجبت » ، ومر بجنّازة فأتني عليها شرا فقال: « وجبت وجبت وجبت » ، فقال عمر: فذاك أبي وأمي ، مر بجنّازة فأتني عليها خيرا ، فقلت: « وجبت وجبت وجبت » ، ومر بجنّازة فأتني عليها شرا ، فقلت: « وجبت وجبت وجبت » ، فقال رسول الله ﷺ: « من أثّبت عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثّبت عليه شرا ، وجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض »^(١).

وفى الحديث الآخر: « يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار » ، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: « بالثناء الحسن وبالثناء السيئ »^(٢).

وبالجملة: فأهل الجنة أربعة أصناف ، ذكرهم الله - سبحانه وتعالى - في قوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء: ٦٩] .

فنسأل الله أن يجعلنا منهم بكمه وكرمه .

(١) البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٤١٦/٣) ، وعبد بن حميد (٤٤١) وابن ماجه (٤٢٢١)

وغيرهم وفى إسناده أمية بن صفوان ، وأبى بكر بن أبى زهير وكلاهما مقبول.

الباب الثلاثون

فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة؟» فكبرنا ثم قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» فكبرنا ، ثم قال: «أنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار إلا كشجرة بيضاء فى ثور أسود أو كشجرة سوداء فى ثور أبيض» ^(١) ، هذا لفظ مسلم ، وعند البخارى: «وكشجرة سوداء فى ثور أبيض» بغير ألف.

وعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفا» ^(٢) ، رواه الإمام أحمد والترمذى وإسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس ^(٣) وفى إسناده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه ، ورواه أيضا من حديث القاسم ابن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: «كيف أنتم وثلثها» قالوا: ذاك أكثر ، قال: «كيف أنتم والشرط لكم» قالوا: ذاك أكثر ، فقال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة

(١) البخارى (٦٥٢٨) ، ومسلم (٢٢١).

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٣٤٧/٥) والترمذى (٢٥٤٦) وله شواهد صحيحة ستأتى.

(٣) إسناده ضعيف ويشهد لمعناه الحديث الذى قبله أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٦٨٢) وغيره وفى إسناده خالد بن يزيد البجلي وهو ضعيف . وقد ذكر ابن عدى هذا الحديث فى ترجمته وقال هو عندى ضعيف.

عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا»^(١) ، قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن إلا الحرث بن حصيرة ، تفرد به عبد الواحد بن زياد.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [سورة الواقعة: ٣٩ ، ٤٠] ، قال رسول الله ﷺ: «أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة»^(٢) ، قال الطبرانى: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى. وقال خثيمة بن سليمان القرشى: حدثنا أبو قلابة - هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفى - حدثنا حماد بن عيسى ، حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا»^(٣).

وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها ، وصح سند بعضها ولا تنافى بينها وبين حديث الشطر ؛ لأنه ﷺ رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله - سبحانه - رجاءه ، وزاد عليه سدسا آخر.

وقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبى الزبير أنه سمع جابرا يقول:

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٤٥٣/١) وغيره وفى إسناده الحارث بن حصيرة وهو صدوق يخطئ وهناك خلاف فى سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه وله شواهد صحيحة وقد سبقت.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩١/٢) بنحوه وغيره وفى إسناده شريك وفيه ضعف..

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٤١٩ / ١٩) وغيره وفى إسناده حماد بن عيسى الجهنى . ضعيف وأخرجه ابن أبى شيبه (المصنف) (٤٧٠ / ٣) بإسناد صحيح عن الشعبى عن رسول الله أى مرسلًا ورجح أبو حاتم عن الشعبى عن رسول الله قاله أبو زرعة وأبو حاتم كما فى العلل (٢١٥ / ٢).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة » ، قال: فكبرنا ، ثم قال: « فأرجو أن تكونوا الشطر »^(١) وإسناده على شرط مسلم.

* * *

(١) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٣/٣٨٣).

الباب الحادى والثلاثون

فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب بن محمد بن سيرين قال: أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة الرجال أم النساء؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما فى الجنة عزب»^(١)، فإن كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر، والظاهر أنهن من الحور العين، لما رواه الإمام أحمد، حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يونس عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: قال: «للرجال من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب»^(٢). فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة قال: فجعلت المرأة تلقى خاتمها، وخرصها والشئ كذلك، فأمر النبى بلالا فجمع ما هناك، قال: «إن منكن فى الجنة ليسير» فقالت امرأة: يا رسول الله، لم؟ قال: «إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»^(٣)، وفى الحديث الآخر: «إن أقل ساكنى الجنة النساء»^(٤)، رواه أحمد ومسلم.

(١) البخارى (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (٣٤٥/٢).

(٣) البخارى (٣٠٤) مسلم (٧٩).

(٤) مسلم (٢٧٣٨).

قيل: هذا يدل على أنهم إنما كن في الجنة أكثر بالحوار العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار. وأما كونهن أكثر أهل النار ، فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت في الجنة ، فرأيت أكثر أهلها الفقراء »^(١).

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »^(٢).

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء »^(٣). وفى المسند أيضا من حديث عبد الله بن عمرو ، قال: قال رسول الله ﷺ: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء »^(٤).

وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار » ، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكن » ، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: « أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الأيام لا

(١) البخارى (٣٢٤١) (٤٤٩).

(٢) مسلم (٢٧٣٧).

(٣) صحيح رواه أحمد (٢/٢٩٧).

(٤) إسناده ضعيف وله شواهد فى الصحيحين دون قوله « الأغنياء » أخرجه أحمد (١٧٣/٢)

وفى إسناده شريك وفيه ضعف.

تصلى وتفطر ، فهذا نقصان الدين»^(١). وأما كونهن أقل أهل الجنة ، ففي أفراد مسلم عن مطرف ابن عبد الله: أنه كانت له امرأتان ، فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة فقال: جئت من عند عمران بن حصين ، فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «إن أقل ساكنى الجنة النساء»^(٢).

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى ، حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه ، فذكر حديثا طويلا وفيه: «فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله - تعالى - وثنيتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله فى الدنيا»^(٣) وذكر الحديث. قيل: هذه قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع ، وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة ، وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث ، وقال ابن عدى: أحاديثه كلها مما فيه نظر ، وأما البخارى فقال فيه ما حكاه الترمذى عنه قال: سمعت محمدا يقول فيه: هو ثقة مقارب الحديث. قلت: ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته ، وأيضا فالرجل الذى روى عنه القرظى لا يدرى من هو؟

(١) مسلم (٧٩).

(٢) مسلم (٢٧٣٨).

(٣) إسناده ضعيف أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده (١٠) والطبرانى فى الكبير (٢٥/٢٦١ ، ٢٧٧) ، والبيهقى فى البعث (٦٦٨) (٦٦٩) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٨٧) والعقلى فى الضعفاء (١٤٧/٤) كلهم من طريق إسماعيل بن رافع وقد اضطرب واختلف عليه اختلافا شديدا . قلت وقد حكم عليه وحكى الاختلاف فيه الحافظ ابن حجر فقال ومداره على إسماعيل بن رافع واضطرب فى سنده مع ضعفه فرواه عن محمد ابن كعب تارة بلا واسطة وتارة بواسطة رجل مبهم ومحمد عن أبى هريرة تارة بلا واسطة وتارة بواسطة رجل من الأنصار مبهم أيضا.

وقد روى عنه أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة فى هودجها قال: فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ فى هذا المكان ، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان »^(١).

والأعصم من الغربان: الذى فى جناحه ريشة بيضاء ، قال الجوهري: ويقال هذا كقولهم: الأبلق العقوق ، وبيض الأنوق ، ولكل شئ يعز وجوده. وفى النهاية: الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين ، وقيل: الأبيض الرجل أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ؛ لأن هذا الوصف فى الغراب قليل عزيز.

وفى حديث آخر: « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم » ، قيل: وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال: « الذى إحدى رجليه بيضاء »^(٢).

وفى حديث آخر: « عائشة فى النساء كالغراب الأعصم فى الغربان »^(٣).



(١) إسناده صحيح أخرجه أحمد (١٩٧/٤ ، ٢٠٥) ، والنسائي فى الكبرى (٩٢٦٨/٥) ، وعبد ابن حميد (٢٩٤) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى عن عمارة ابن خزيمة عن عمرو بن العاص به . قال الهيثم فى مجمع الزوائد (٢٧٤/٤) رواه الطبرانى وأحمد ورجال أحمد ثقات.

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٧٣/٤) رواه الطبرانى وفيه مطرح بن يزيد وهو مجمع على ضعفه.

(٣) لم أقف عليه.

الباب الثانى والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمى زمرة هم سبعون ألفا تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»^(١).

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمى سبعون ألفا بغير حساب أو سبعمئة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»^(٢)، فهذه هى الزمرة الأولى، وهم يدخلونها بغير حساب.

والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشام، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت، قال: فما صنعت قلت: استرقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبى، قال: وما حدثكم الشعبى؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال: لا رقيه إلا من عين أو حمة، فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن

(١) البخارى (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

(٢) البخارى (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).

حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ف قيل لى: هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم ، ف قيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم: لعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ .

وقال بعضهم: فلعلمهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: « ما الذى تخوضون فيه؟ » فأخبروه فقال: « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » ، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال: « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال: « سبقك بها عكاشة »^(١) ، وليس عند البخارى لا يرقون.

قال شيخنا^(٢): وهو الصواب ، وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث ،

(١) صحيح دون قوله: « لا يرقون » فهى شاذة ، رواه مسلم (٢٢٠) من طريق سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا ، وقد خالف سعيد بن منصور جماعة عن هشيم فذكروا الحديث بدون لفظة لا يرقون منهم أسيد بن زيد عن البخارى (٦٥٤١) ، وسريح بن النعمان عند أحمد (٢٧١/١) وغيرهما وقد تابع هشيم بدون ذكر زيادة « لا يرقون » . محمد بن فضيل عند البخارى (٦٥٤١) ، وحصين بن نمير عند البخارى (٥٧٥٢) ، وشعبة كما عند البخارى (٦٤٧٢) وغيرهم . وللحديث شواهد عن عمران بن حصين وابن مسعود وأبى هريرة بدون ذكر هذه الزيادة .

(٢) يعنى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله .

وهى غلط من بعض الرواة ، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب ، وهو تحقيق التوحيد وتجريده ، فلا يسألون غيرهم أن يرقيههم ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، والطيرة نوع من الشرك ، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره ، وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما فى الحديث: « الطيرة شرك »^(١).

قال ابن مسعود: وما منا إلا تطير ، ولكن الله يذهب بالتوكل^(٢) ، فالتوكل ينافى التطير ، وأما رقية العين ، فهى إحسان من الراقى ، قد رقى رسول الله ﷺ جبريل وأذن فى الرقى وقال: « لا بأس بما لم يكن فيها شرك »^(٣) ، واستأذنوه فيها فقال: « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه »^(٤) وهذا يدل على أنها نفع وإحسان ، وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله ، فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير ، والتوكل ينافى ذلك ، فإن قيل: فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ ، وجبريل قد رقاها ، أجل ، ولكن هو لم يسترق ، وهو ﷺ لم يقل: ولا يرقيههم راق ، وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيههم ، وفى امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثانى سد لباب الطلب ، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فرجما طلبه من ليس من أهله ، والله أعلم.

(١) إسناده صحيح ، أخرجه أحمد (٣٨٩/١) ، وأبو داود (٣٩١٠) ، والترمذى (١٦١٤) ، وابن ماجه (٣٥٣٨) وغيرهم من طرق عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود عن النبي ﷺ .

(٢) هذه اللفظة (وما منا إلا تطير ، ولكن الله يذهب بالتوكل) هذه وردت مرفوعة وهى مدرجة والصحيح فيها الوقف قال الترمذى سألت البخارى عن حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال « الطيرة شرك وما منا ، ولكن الله يذهب بالتوكل » ، فقال : كان سليمان بن حرب ينكر هذا الحديث أن يكون للنبي ﷺ لهذا الحرف (وما منا) وكان يقول هذا كانه عن عبد الله بن مسعود قوله ، قال الحافظ (وما منا) كلام ابن مسعود أدرج فى الخبر .

(٣) مسلم (٢٢٠٠).

(٤) مسلم (٢١٩٩).

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب» قيل: ومن هم؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(١).

وفى صحيحه أيضا من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يذكر حديثا طويلا ، وفيه: «فتنجدوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ، ثم الذين يلوفهم كأضواء نجم في السماء ثم كذلك»^(٢) ، وذكر تمام الحديث ، وقال أحمد بن منيع فى مسنده: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على الأمم بالموسم فتراءيت على أمتى ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم ، وهياقم قد ملأوا السهل والجبل ، فقال: إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» ، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم» ، فقام رجل آخر فقال: «سبقك بها عكاشة»^(٣) ، وإسناده على شرط مسلم.



(١) مسلم (٢١٨).

(٢) مسلم (١٩١).

(٣) إسناده حسن أخرجه أحمد (٤٠٣/١ ، ٤١٧ ، ٤٥٤) من عاصم بن بهدلة عن زر بن

حيش عن ابن مسعود.

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا أمامة الباهلى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدى ربى أن يدخل الجنة من أمى سبعين ألفا بغير حساب ، مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى»^(١). قلت: وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه ، فأما تدليسه ، فقد قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى بن إسحاق التستري قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال: سمعت أبا أمامة فذكره ، وأما ضعفه فإنما هو فى غير حديث الشاميين ، وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضا فقد جاء من غير طريقه.

قال أبو بكر بن أبى عاصم: حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة ، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمى سبعين ألفا بغير حساب» ، قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر فى الذباب ، قال رسول الله ﷺ: «فإن الله وعدنى سبعين

(١) إسناده حسن ، وله شواهد أخرجه ابن أبى شيبة (٤٧١/١١) ، وأحمد (٢٦٨/٥) ، والترمذى (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦) وغيرهم من طرق عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد عن أبى أمامة مرفوعا به. وإسماعيل بن عياش صدوق فى روايته عن أهل بلده ، ومحمد بن زياد حمصى كما أن إسماعيل حمصى فهذا إسناده حسن وقد تابعه بقية كما فى الطبرانى (٧٥٢١) ولكنه مدلس وللحديث شواهد ستأتى.

ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزاد في ثلاث حثيات»^(١). قال أبو عبد الله المقدسى: أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ، ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضى شيخ البخارى ، ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزنى ، وما علمت فيه جرحا.

قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن خليف ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عامر بن يزيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي - عز وجل - وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفا ، ثم يحثى ربي - تبارك وتعالى - بكفيه ثلاث حثيات » ، فكبر عمر وقال: «إن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر»^(٢) ، قال الحافظ أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد: لا أعلم لهذا الإسناد علة.

قال الطبرانى: وحدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عبد الله بن عامر بن قيس الكندى أن أبا سعيد الأنصارى حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي - عز وجل - وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ويشفع لكل ألف سبعين ألفا ، ثم يحثى ربي ثلاث حثيات بكفيه » ، قال ابن قيس: فقلت لأبى سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: «نعم بأذنى ووعاه قلبي» ،

(١) حسن، أخرجه ابن أبى عاصم (فى الأحاد والمثنائى (١٢٤٧) ، وأحمد (٢٥٠/٥) قال حدثنا عصام بن خالد ، حدثنى صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الخبائرى وأبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة مرفوعا به.

(٢) إسناده ضعيف أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٢٦/١٧) وابن حبان (٧٢٤٧) وغيرهما وفى إسناده عامر بن زيد البكالى مجهول.

قال أبو سعيد: فقال رسول الله ﷺ: «وذلك - إن شاء الله - يستوعب مهاجرى أمتى ، ويوفى الله - عز وجل - بقيته من أعرابنا» ^(١) ، قال الطبرانى: لم يرو هذا الحديث عن أبى سعيد الأنمارى إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية بن سلام ، وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف وتسعمائة ألف ، فقال رسول الله ﷺ: «إن ذلك يستوعب - إن شاء الله - مهاجرى أمتى» ^(٢) .

قال الطبرانى: حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسى ، ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهانى قالوا: أخبرنا أبو حفص عمرو بن على ، حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى ، عن قتادة عن أبى بكر بن أنس ، عن أبى بكر بن عمير عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلاثمائة ألف الجنة» ، فقال عمير: يا رسول الله زدنا فقال: هكذا بيده ، فقال عمير: يا رسول الله زدنا ، فقال عمر: حسبك يا عمير ، فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب ، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة ، فقال عمر: إن الله - عز وجل - إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة ، فقال نبى الله ﷺ: «صدق عمر» ^(٣) ، قال محمد بن عبد الواحد: لا أعرف لعمير حديثا غيره. وفى الحلية من حديث سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال: «وعدى ربى - عز وجل - أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف» ، فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا ، قال: «وهكذا» ، وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣٠٤/٢٢ ، ٣٠٥) فى هذا الحديث خلاف شديد وقد ذكر الاختلاف فيه الحافظ ابن حجر كما فى الإصابة فى ترجمة أبو سعيد الأنمارى ، وقد ضعفه الشيخ الألبانى كما فى السنة لابن أبى عاصم (٨/٤).

(٢) ضعيف وقد سبق.

(٣) إسناده ضعيف أخرجه الطبرانى فى الكبير (٦٤/١٧) والبيهقى فى (الأسماء والصفات)

قال: يا رسول الله زدنا ، قال عمر: إنه قادر أن يدخل الناس الجنة بجفنة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ: « صدق عمر »^(١) ، رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي ، وفيه ضعف ، تفرد به أبو هلال الراسبي بصرى واسمه محمد ابن سليمان.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي أربعمئة ألف » قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله قال: « وهكذا » وجمع بين يديه ، قال: زدنا يا رسول الله قال: « وهكذا » ، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر ، فقال أبو بكر: دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا !! فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد ، فقال النبي ﷺ: « صدق عمر » تفرد به عبد الرزاق^(٢).

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمى ، حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا » قالوا: زدنا يا رسول الله ، قال: « لكل رجل سبعون ألفا » قالوا: زدنا يا رسول الله ، وكان على كتيب فحشا بيده قالوا: زدنا يا رسول الله ، فقال: « هكذا » وحتى بيده ، قالوا: يا نبي الله ، أبعد الله من دخل النار بعد هذا^(٣) ، قال محمد بن عبد الواحد: لا أعلمه روى عن أنس

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه أحمد (١٩٣/٣) وغيره وفي إسناده محمد بن سليم أبو هلال

الراسبي ، وإن كان يحسن حديثه إلا أن في حديثه عن قتادة مقال . قال أحمد : يحتمل في حديثه إلا أنه يخالف في قتادة وهو مضطرب بالحديث .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٥٦) وأحمد (١٦٥/٣) ، والبغوى في شرح السنة

(٤٣٣٥) وغيرهم ومدار هذه الطرق عن معمر عن قتادة وهناك خلاف كبير على قتادة ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف والله أعلم .

(٣) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو يعلى (٣٧٨٣) وفي إسناده عبد القاهر بن السري السلمى قال

الحافظ مقبول أى لين الحديث .

بهذا الطريق ، وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال: صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا فى قبضته الأولى - سبحانه - يوم القبضتين ، فإن قيل: فكيف كانوا أولا قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور؟ قيل: الرب - سبحانه وتعالى - أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم ، وقد روى أنهم كانوا كالذر ، وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقه وأكمل أجساما ، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين ، والله أعلم.



الباب الرابع والثلاثون فى ذكر تربة الجنة وطينتها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالوا: أنبأنا زهير ، حدثنا سعيد الطائى ، حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: قلنا: يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد ، قال: « لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر الله لهم » قال: قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: « لبنة ذهب ، ولبنة فضة ، وملاطها المسك ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتراها الزعفران ، ومن يدخلها ينعم لا يياس ويخلد لا يموت ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين »^(١).

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة فقال: « من يدخل الجنة يحيا ولا يموت وينعم ولا يياس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » ، قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: « لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها مسك أذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت

(١) إسناده ضعيف ولبعض فقراته شواهد صحيحة: أخرجه أحمد (٣٠٤/٢ ، ٣٠٥) بمعناه وغيره وفى إسناده أبو مدله وهو مجهول ولكن له شواهد منها ما أخرجه البخارى (٤٦٧٤) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله: آتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة الحديث ، وفى آخره قال لى هذه جنة عدن..

وتراها الزعفران»^(١)، هكذا جاء في هذه الأحاديث أن تراها الزعفران. وكذلك روى عن يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة وتراها الزعفران وطينها المسك »^(٢).

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله قال: « أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا تراها المسك »^(٣) ، وهو قطعة من حديث المعراج.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة فقال: درمكة بيضاء ، مسك خالص ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق » ، ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة عن الجريري ، عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: « درمكة بيضاء ، مسك خالص »^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٥/١٣) ، وأبو نعيم في صفة الجنة (٩٦ ، ١٣٩ ، ٢٩١) وغيرهما من طريق علي بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر ، وفي إسناده عمر بن ربيعة فيه مقال وفي سماع الحسن من ابن عمر خلاف ، ولجزء منه شواهد عند مسلم (٢٨٣٦) بلفظ « من يدخل الجنة ينعم فيها ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ».

(٢) أخرجه البيهقي في (البعث) (٢٨٣) وأبو نعيم في (صفة الجنة) (١٦٠) وغيرهما . وفي الإسناد قتادة وقد عنعن وأخرجه أحمد (٣٦٢/٢) وغيره من طريق عمران القطان عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة مرفوعا ، وعمران القطان متكلم فيه ، وورد من طرق كلها فيها قتادة وفي السند إليه ضعف ، ولكن يشهد لئن الحديث ما سبق.

(٣) البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣).

(٤) مسلم (٢٩٢٨).

وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد قد غلب أصحابك اليوم ، قال: « وبأى شيء غلبوا؟ » قال: سألهم اليهود كم عدد خزنة النار؟ فقالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا ، فقال رسول الله ﷺ: « أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟ ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة ، على بأعداء الله فإنى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة » ، فلما أن جاءوه قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار؟ فقال رسول الله ﷺ: بيديه كليهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أى تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله ﷺ: « ما تربة الجنة؟ » فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خبزة يا أبا القاسم . فقال النبي ﷺ: « الخبزة من الدرمة »^(١) ، فهذه ثلاث صفات فى تربتها ولا تعارض بينها ، فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين: المسك والزعفران^(٢) ، قال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا محمد بن أبى عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال مغيث بن سمي: الجنة ترابها المسك والزعفران ، ويحتمل معنيين آخرين.

المعنى الأول: أن يكون التراب من زعفران ، فإذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين ترابا ، ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر: ملاطها المسك ، والملاط الطين ، ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد: « تراها الزعفران وطينها المسك » ، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا.

(١) إسناده ضعيف رواه أحمد (٣/ ٣٦١) والترمذى (٣٣٢٧) وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٥٩) وفى الإسناد: مجالد وهو ضعيف ، وروى البخارى (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢) بلفظ ، تكون الأرض يوم القيامة خبزة الحديد.

(٢) رواه ابن أبى شيبة (١٣/ ١٢٣ ، ١٢٤) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٦٢) وغيرهما وفى إسناده الأعمش وهو مدلس وقد عنعن.

المعنى الثانى: أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ، مسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شىء يكون ، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك وكذلك تشبهها بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا ، أرض الجنة من فضة وترابها المسك ، فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك ، وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى سبرة ، عن عمر بن عطاء بن وراز ، عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثران الرمل ، فيها أنهار مطردة ، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون ، فيبعث الله ريح الرحمة فتهدج عليهم ريح المسك ، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول: لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة ، وأنا بك الآن أشد إعجابا »^(١). وقال ابن أبى شيبة: حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا على بن صالح عن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال: قيل: يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال: « لبننة من فضة ، ولبننة من ذهب ، وملاطها مسك أذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتراها الزعفران »^(٢).

وقال أبو الشيخ: حدثنا الوليد بن أبان ، حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا الحوضى ، حدثنا عدى بن الفضل ، حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: قال رسول ﷺ: « إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبنائها لبننة من ذهب ولبننة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وتراها الزعفران

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (٩٥/١٣) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٦١) من طريق سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ورواية ابن أبى نجيح عن مجاهد صححها عدد من أهل العلم فى التفسير وهم الأكثر وضعفها آخرون والله أعلم.

وحصباؤها اللؤلؤ ، ثم قال لها: تكلمى ، فقالت: قد أفلح المؤمنون ، فقالت: الملائكة طوبى لك منزل الملوك»^(١).

وقال أبو الشيخ: حدثنا عمرو بن الحسين ، حدثنا ابن علاثة ، حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : « قلت ليلة أسرى بي: يا جبريل إهم سيسألونى عن الجنة؟ قال: فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان»^(٢)، والعقيان الذهب ، فإن كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنتين الذهبيتين ، فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما ، والله أعلم.



(١) ضعيف وقد سبق ، ولبعض فقراته شواهد سبقت.

(٢) إسناده ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٥١) ، وفى إسناده عمرو بن

الحصين العقيلي : متروك.

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي: أنبأنا كثير بن هشام ، حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الزى إلى الله البياض فليلبسه أحياءكم ، وكفنوا فيه موتاكم » ، ثم أمر برعاء الشاة فجمعت ، فقال: « من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء » ، فجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله ، إنى اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو ، قال: « عفرى »^(١) ، وقوله: « عفرى » ، أى يبيض. وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد ، حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: « إن الله خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياءكم وكفنوا به موتاكم »^(٢).

وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « عليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء ، فليلبسه أحياءكم ، وكفنوا فيه موتاكم »^(٣).

ورويانا من طريق البخارى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث

(١) إسناده ضعيف جدا أخرجه ابن عدى (١٠٧/٧) وفى إسناده هشام بن زياد : متروك.

(٢) إسناده ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٢٩) وفى إسناده هشام بن زياد : متروك.

(٣) إسناده ضعيف جدا ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٣٠) وفى إسناده حمزة بن أبى حمزة الجعفى وهو متروك.

أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره ، فقال: يا ابن عباس ، ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة ، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس؟ فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير^(١) ، وذكر الحديث ، وسيأتى إن شاء الله تعالى.

وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبي ﷺ ، وذكر فى الحديث ، وقال: « وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحدا » ، قال: قلت: يا رسول الله فيم نبصر؟ قال: « مثل بصرك فى ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال »^(٢).

وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافى ، عن سليمان بن موسى ، حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ : « ألا هل مشمر للجنة ، فإن الجنة لا خطر لها وهى ورب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، وفهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبيرة ونعمة فى محلة عالية بهية » قالوا: نعم يا رسول الله ونحن المشمرون لها قال: « قولوا إن شاء الله »^(٣) ، قال القوم: إن شاء الله.



(١) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢١١) وغيره وفى إسناده عبد ربه بن بارق وهو ضعيف وزميل بن السماك وفيه جهالة.

(٢) ضعيف وقد سبق.

(٣) إسناده ضعيف ، أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢) ، وابن حبان (٧٣٨١) وغيرهما وفى كل طرقة الوليد بن مسلم وهو مدلس تدليس تسوية ، ولم يصرح بالتحديث إلى نهاية السند.

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

قال الله تعالى: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبِيَّةٌ ﴾ [سورة الزمر: ٢٠] فأخبر أنها غرف فوق غرف ، وأنها مبنية بناء حقيقة لثلاثتهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء ، بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عيانا ، ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية ، أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها ، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ تَجْرُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [سورة الفرقان: ٧٥] والغرفة جنس كالجنة ، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله ، وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سورة سبأ: ٣٧] ، وقال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ [سورة الصف: ١٢] ، وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [سورة التحريم: ١١] .

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان ابن سعد ، عن على قال: قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » ، فقام أعرابى فقال: يا رسول الله لمن هى؟

قال: « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »^(١) قال الترمذى: هذا حديث غريب ، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق. وقال الطبرانى: حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام ، عن أبي سلام قال: حدثني أبو معانق الأشعرى ، حدثني أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »^(٢).

وقال ابن وهب: حدثنا حيى عن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ﷺ قال: « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام »^(٣). قال محمد بن عبد الواحد ، وهو عندى إسناده حسن ، وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته ؛ لأن أبا مالك قد

(١) أخرجه الترمذى (١٩٨٤) ، (٢٥٢٧) وابن أبى شيبة (١٣/١٠١) وفى إسناده عبد الرحمن ابن إسحاق ضعيف ، والنعمان بن مسعد : مقبول وللحديث شواهد ستأتى وقد حسنه الشيخ الألبانى.

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٣/٥) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٨٣) ، وابن خزيمة (٢١٣٧) ، والطبرانى فى الكبير (٣٤٦٦) (٣٤٦٧) وفى إسناده عبد الله بن معانق وثقه العجلى وقال الدارقطنى مجهول - وفى سماعه من أبى مالك خلاف ، قال ابن حبان : يروى عن أبى مالك وما أراه مشافهة. وله شواهد.

(٣) إسناده ضعيف وللمتن شواهد صحيحة رواه أحمد (١٧٣/٢) وغيره وفى إسناده حيى بن عبد الله وفيه ضعف وله شواهد من حديث عبد الله بن سلام مرفوعا « أيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ، أخرجه أحمد (٤٥١/٥) وعبد بن حيد (٤٩٥) وابن ماجه (١٣٣٤) (٣٢٥١) من طريق عوف بن أبى جميلة عن زرارة بن أبى أوفى عن عبد الله بن سلام وسنده صحيح.

رواه وإسناده أيضا حسن ، وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق »^(١).

وفى الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طوها ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا »^(٢) ، وقد تقدم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة »^(٣) ، وقوله في حديث أبي موسى: يقول الله - عز وجل - لمن حمد واسترجع عند موت ولده: « ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد »^(٤) ، رواه الترمذي.

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة: أن جبريل قال للنبي ﷺ: « هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب »^(٥) ، والقصب ههنا: قصب اللؤلؤ المجوف. وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هارون ، عن حماد ابن سلمة بن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة لقصرا من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن ، أعده الله - عز وجل - لخليله إبراهيم »^(٦).

وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش ،

(١) صحيح سبق.

(٢) البخاري (٣٢٤٣) ، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) ضعيف وقد تقدم.

(٥) البخاري (٣٨٢٠) ، ومسلم (٢٤٣٢).

(٦) إسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٧٤) والبزار في كشف الأستار

(٢٣٤٦) وهو من رواية سماك عن عكرمة وهي مضطربة.

فظننت أنى أنا هو ، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب ، وهو فيهما من حديث جابر ، ولفظه: « فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب »^(١) ، وقد تقدم.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا شجاع بن الأشرس قال: سمعت عبد العزيز ابن أبى سلمة الماجشون ، عن حميد ، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: « دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال: قلت: لجبريل لمن هذا القصر؟ قال: لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت: لأى قريش؟ قال: لعمر بن الخطاب ، وهذا إن كان محفوظا فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه »^(٢) ، والله أعلم.

وقال الحسن: قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته^(٣) ، وقال الأعمش عن مالك بن الحارث ، عن مغيث ابن سمى قال: إن فى الجنة قصورا من ذهب ، وقصورا من فضة ، وقصورا من لؤلؤ ، وقصورا من ياقوت ، وقصورا من زبرجد^(٤) ، وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير: قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها^(٥). وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر ، حدثنا ابن قيس الملائى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن فى الجنة لغرفا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها » قيل: لمن هى يا رسول الله؟ قال: « لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس

(١) ورد عن جابر بنحوه كما فى البخارى (٧٠٢٤) ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (١٠٧/٣ ، ١٧٩ ، ٢٦٣) ، والترمذى (٣٦٨٨) ، والنسائى

فى الكبرى (٨١٢٧) من طرق عن حميد عن أنس.

(٣) إسناده صحيح . رواه الطبرى فى تفسيره (١٦٩٦٨ ، ١٦٩٦٩).

(٤) إسناده ضعيف وقد سبق.

(٥) إسناده صحيح ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٧٤/٣).

نيام» ، قال: وما طيب الكلام؟ قال: «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومنجيات ومعقبات» ، قيل: وما وصال الصيام؟ قال: «من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه» ، قيل: وما إطعام الطعام؟ قال: «من قات عياله وأطعمهم» ، قيل: وما إفشاء السلام؟ ! قال: «مصافحة أخيك وتحيته» ، قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: «صلاة العشاء الآخرة»^(١) ، قال حفص بن عمر: هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب فيما أعلم. قلت: هذا يلقب بالكفرة - بفتح الكاف وسكون الفاء - وقد روى عنه محمد ابن غالب ، وعلي بن حرب وهما ثقتان ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد ، والله أعلم.

وفى فوائد ابن السماك: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا أبى حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن ، قال: سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال: قال: النبي ﷺ: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟» ، قال: قلنا: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ، قال: «إن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر ، كله يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت» ، قال: قلنا: يا رسول الله ، لمن هذه الغرف؟ قال: «لمن أفشى السلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» ، قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «أمتي تطبيق ذلك ، وسأخبركم عن ذلك: من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ،

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه البيهقي في البعث (٢٨٠) ، وابن عدى فى الكامل (٣٨٨/٢) وفى إسناده حفص بن عمر قال البيهقي : مجهول. قال ابن عدى: وهذه الأحاديث بهذا الإسناد مناكير . وذكر هذا الإسناد.

ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم ، فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام ، فقد أدام الصيام ، ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة في جماعة ، فقد صلى الليل والناس نيام - واليهود والنصارى والمجوس»^(١) وهذا إسناد وإن كان لا يحتج به وحده ، فإذا انضم إليه ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روى بإسنادين آخرين.



(١) إسناده ضعيف ، أخرجه البيهقي في البعث (٢٧٩) ، وأبو نعيم في الحلية (١٣٥٦/٢) وفي إسناده إنقطاع فالحسن لم يسمع من جابر.

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (سورة محمد: ٤ - ٦) ، قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون ، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلوا عليها أحدا^(١). وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ، وقال محمد بن كعب: يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة ، هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم: أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتية أقصى منزل هو له فيعرفه كل شىء أعطاه الله فى الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه. وقال سلمة بن كهيل: طرقها لهم ومعنى هذا: أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها ، وقال الحسن: وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع فى الدنيا ، ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم وعلى القول الأول يكون التعريف واقعا فى الآخرة ، هذا كله إذا قيل أنه من التعريف ، وفيها قول آخر: أنه من العرف وهو الرائحة الطيبة ، وهذا اختيار الزجاج أى طيبها ، ومنه طعام معرف أى مطيب ، وقيل: هو من العرف ، وهو التسابع ، أى تابع لهم طيباتها وملاذها ، والقول هو الأول ، وأنه

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٣١٣٦٢).

- سبحانه - أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره^(١).

وفى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزلة فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا »^(٢) وفى سند آخر من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة وبأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة »^(٣).



(١) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٨٩) وفى إسناده أحمد بن أبان مجهول.

(٢) البخارى (٢٤٤٠).

(٣) سيأتى.

الباب الثامن والثلاثون

في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

قد تقدم قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۝ ﴾ [الزمر: ٧٣] ، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ ﴾ [مريم: ٨٥] .

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلى ، حدثنا يحيى ابن سليم الطائفي ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله المكي ، حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث ، عن علي أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ ﴾ [مريم: ٨٥] . قال: قلت: يا رسول الله ، ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب ، شرك نعالهم نور يتلأأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم ، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا فيضربون الحلقة بالصفحة ، فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب ، فلو أن الله - عز وجل - عرفه نفسه لخر له ساجدا مما يرى من النور والبهاء ، فيقول: أنا قيمك الذي وكلت بأمرك ، فيتبعه فيقفو أثره فيأتي زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول: أنت حبي وأنا حبك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبدا وأنا الناعمة فلا أبأس أبدا ، والخالدة فلا أظعن أبدا ، فيدخل بيتا من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبني على جندل اللؤلؤ

والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقة تشاكل صاحبها ، فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشا عليها سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن في مقدار ليلة ، تجرى من تحتهم أنهار مطردة ، أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر وأنهار من غسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من حمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاءوا ، ثم تطير فتذهب فيها ثمار متدلية ، إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم فيأكلون من أى الثمار شاءوا إن شاء قائما وإن شاء متكئا ، وذلك قوله - عز وجل: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ» ^(١) ، هذا حديث غريب ، وفى رفعه نظر ، والمعروف أنه موقوف على على. قال ابن أبى الدنيا: حدثنا محمد بن عمر بن سليمان ، حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد فى هذه الآية: ﴿ يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [سورة مريم: ٨٥] ، قال: « والله لا يخسر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها وعليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة» ^(٢).

(١) إسناده ضعيف جدا أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٧) وفى إسناده الحارث كذاب وقد ورد موقوفا كما عند الطبرى فى تفسيره (٣٠٢٥٥) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٨١).
 (٢) إسناده ضعيف جدا أخرجه الحاكم (٣٧٧/٢) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٨١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على موقوفا وفى إسناده عبد الرحمن بن إسحاق وهو ضعيف ، والنعمان بن مسعود . مجهول.

وقال على بن الجعد فى الجعديات: أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على قال: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها ، فأذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلن تغيرا أبصارهم أو تغير بعدها أبدا ، ولن تشعت أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، قال: ثم تلقاها الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة. كذا قال: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته ، وهو ذا بأثرى ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه ، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه ، فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لألم أن يذهب بصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه . وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة . فنظروا إلى تلك النعمة ، ثم اتكأوا ، وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ثم ينادى مناد: تقيمون فلا تموتون أبدا . وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا^(١).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم

وحلى عليهم وأرى أزواجه وخدمه ، ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه ، فيقال له: أرايت سوار فرحتك هذه ، فإنها قائمة لك أبدا^(١) .

قال ابن المبارك: وأخبرنا رشدين بن سعد: أنبأنا زهرة بن معقد القرشى عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ^(٢) .

قال ابن المبارك: وأنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثنى عبيد الله بن زحر ، عن محمد بن أبى أيوب المخزومى ، عن أبى الرحمن المعافى قال: إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سمطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه^(٣) .

وقال أبو نعيم: أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها ، فيقول له انظر ما ترى؟ قال: أرى أكثر قصورا رأيتها من ذهب وفضة ، وأكثر أنيس ، فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك . حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ، ومن كل مكان يقولون: نحن لك ، ثم يقول: امش فيقول: ماذا ترى؟ فيقول: أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس؟ قال: فإن هذا أجمع لك ، فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا: نحن لك نحن لك^(٤) .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:

(١) إسناده صحيح ، أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٨٥) وغيره .

(٢) إسناده ضعيف ، رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٥) ، وابن المبارك فى الزهد زوائد

نعيم (٤٢٧) وفى إسناده رشدين بن سعد : ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف أخرجه ابن المبارك فى الزهد زوائد نعيم (٤١٥) وفى إسناده يحيى بن أيوب

العافى : ضعيف .

(٤) إسناده صحيح رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٧) .

« ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »^(١).



الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله - عز وجل - آدم على صورته طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر - وهو نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال: فذهب فقال: السلام عليكم ، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله ، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا ، فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن » ، متفق على صحته^(١). وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد ابن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع»^(٢) ، قيل: تفرد به حماد عن على بن زيد ، وفى جامع الترمذى من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين»^(٣) ، قال: هذا حديث حسن غريب.

(١) البخارى (٣٣٢٦) ، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٥/٢) وابن أبى شيبه (١١٤/١٣) ، والبيهقى فى البعث (٤٦٣ ، ٤٦٤) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٥٥) وغيرهم وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وله شواهد ستأتى.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٣/٥) والترمذى (٢٥٤٥) والطبرانى فى الكبير (٦٤/٢٠) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٥٧) ، وقد روى موقوفا على معاذ ، أخرجه البيهقى فى البعث (٤٦٧) ، وفى السند إليه شهر بن حوشب فمدار هذا الحديث على شهر بن حوشب وشهر بن حوشب مختلف فيه وفيه ضعف.

وقال أبو بكر بن أبى داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال: حدثنا عمر عن الأوزاعى عن هارون بن رثاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»^(١). وقال الترمذى: حدثنا سويد بن نصر ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار»^(٢)، فإن كان هذا محفوظا لم يناقض ما قبله ، فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه ، وهذا معروف فى كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هشام ، حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرد مرد مكحلون»^(٣)، وقال ابن وهب:

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/ ١٤٠) ، وأبو نعيم فى (صفة الجنة) (٢٥٥) ، والبيهقى فى

(البعث) (٤٦٢) وهناك خلاف فى سماع هارون من أنس قال فى جامع التحصيل ،

هارون بن رثاب روى عن أنس فقيل: إن ذلك مرسل.

(٢) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٢٥٦٢) من طريق أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد

ورواية أبى السمع من أبى الهيثم عن أبى سعيد: ضعيفة.

(٣) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٤٢٠) ، وفى إسناده رواد بن الجراح

ضعيف . وللحديث شاهد عن المقدم بن معد كرب رواه البيهقى فى البعث (٤٦٥) ،

(٤٦٦) وغيره.

حدثنا معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا على ذلك قطعت سرهم»^(١).

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة. وأما الأخلاق ، فقد قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾^(٢) [سورة الحجر: ٤٧] ، فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وفي الصحيحين: «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم - عليه السلام- ستون ذراعا في السماء»^(٣) ، والرواية على خلق - بفتح الخاء وسكون اللام- والأخلاق كما تكون جمعا للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح والمراد: تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمل ؛ ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم - عليه السلام- ستون ذراعا في السماء ، وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أول زمرة تلج الجنة»^(٣) الحديث ، وقد تقدم ، وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباعض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية ، وكذلك وصف الله - سبحانه وتعالى- نساءهم بأنهم أتراب ، أى في سن واحد ليس فيهن العجائز والشواب ، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات ؛ لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة

(١) إسناده حسن ، رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢٤٨).

(٢) البخارى (٣٣٢٧) ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) صحيح وقد سبق.

وقوتها ، بحيث يصل فى اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى التناسب الذى بين هذا الطول والعرض ، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأت الاعتدال وتناسب الخلقة ، يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم.



الباب الأربعون

فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم

أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْيَسَنَّتِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله: موسى ، ورفع بعضهم درجات ، هو محمد ﷺ ، وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «رب لم أظن أن ترفع على أحدا»^(١) ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى.

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٢).

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ: «إن موسى سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة ، فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ، فيقول: رضيت رب ، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة: رضيت رب ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهيت نفسك ولدت عينك ،

(١) البخارى (٧٥١٧) .

(٢) مسلم (٣٨٤) .

فيقول: رضيت رب ، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليهم قلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»^(١).

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد ، أنبأنا شعبة عن إسرائيل عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢ ، ٢٣] »^(٢). قال: وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل ، عن ثوير ، عن ابن عمر غير مرفوع ، قال: ورواه عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر موقوفاً ورواه عبد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر نحوه ، ولم يرفعه. قلت: ورواه الطبراني في مجموعه من حديث أبي معاوية: عن عبد الملك ابن أبجر عن ثوير ، عن ابن عمر مرفوعاً: « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه... » الحديث^(٣) ، ورواه أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال إسرائيل: لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبي ﷺ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن - هو ابن موسى - حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا أبو الأشعث الضريير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة

(١) مسلم (١٨٩).

(٢) إسناده ضعيف رواه الترمذي (٢٥٥٣) وأحمد (١٣/٢ ، ٦٤) ، وابن أبي شيبة (١١١/١٣)

ومدار هذه الطرق على ثوير ، وهو ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف في إسناده ثوير ، وهو ضعيف .

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وأن له ثلاثمائة خادم » ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صفحة ولا أعلمه إلا قال: من ذهب في كل صفحة لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وعن الأشربة بثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة ، وسقيتهم لم ينقص مما عندى شيء ، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض»^(١). قلت: سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي ، وشهر بن حوشب ضعفه مشهور ، والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة ، فإن طول ستين ذراعا لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض ، والذي في الصحيحين ، فى أول زمرة تلج الجنة ، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور فيكيف يكون لأدناهم اثنتان وسبعون من الحور العين؟ وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا ، فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن؟ وأيضا ، فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضييتين؟ فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين؟

قال الدولابى: شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس ، وقال ابن عون: شهر بن حوشب تركوه ، وقال النسائي وابن عدى: ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم: لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعد ، وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلمه ، وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه ، فلا ريب أنه انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل ، والله أعلم.

* * *

(١) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٥٣٧/٢) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٢٢٩ ، ٤٥٠) وفى إسناده شهر بن حوشب فيه ضعف .

الباب الحادى والأربعون فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال: لم تدفعنى؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمى محمدا الذى سماني به أهلى» ، فقال اليهودى: جئت أسألك فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك بشيء إن حدثتك؟» ، فقال: أسمع بأذنى فنكت رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال: «سل» فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: «فى الظلمة دون الجسر» قال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال: «فقراء المهاجرين» قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون» ، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» ، قال: فما شرابهم؟ قال: «من عين تسمى سلسيلا» ، قال: صدقت ، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان ، قال: «أينفعك إن حدثتك؟» قال: أسمعك بأذنى ، قال: جئت أسألك عن الولد ، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله - تعالى - وإن علا منى المرأة منى الرجل آثنا بإذن الله تعالى» ، قال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألتنى عنه ومالى علم بشيء منه ، حتى آتاني الله عز وجل به»^(١).

وفى صحيح البخارى عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهو فى أرض يخترق ، فأتى النبى ﷺ ، فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرنى بهن جبريل آنفا»، قال جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]

«وأما أول أشراط الساعة: فنادى تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود فقال: «أى رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال: «أفرايتم إن أسلم عبد الله؟» قالوا: أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله^(١).

وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده - كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر - نزلا لأهل الجنة»، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى»، قال: تكون الأرض خبزة واحدة ، كما قال النبى ﷺ

فنظر النبى ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال: ألا أخبرك

بإدامهم؟ قال: «إدامهم بالام ونون»، قال: وما هذا؟ قال: «ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا»^(١).

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعبا يقول: إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة: ادخلوها إن لكل ضيف جزورا، وإنى أجزر لكم اليوم فأتى بثور وحت فيجزر لأهل الجنة^(٢).



(١) البخارى (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن المبارك فى الزهد - زيادات نعيم (٤٣٢).

الباب الثانى والأربعون

فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبرانى: حدثنى موسى بن حازم الأصبهانى ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن الحسن بن عمرو ، عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ﷺ قال: «من قتل قتيلًا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام»^(١) ، ورواه البخارى فى الصحيح ، عن قيس بن حفص ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحسن بن عمرو الفقىمى ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، ولم يذكر بينهما جنادة ، وقال: «ليوجد من مسيرة أربعين عاما»^(٢).

وقال الترمذى: حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا معدى بن سليمان هو البصرى عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله ، فلا يراح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»^(٣).

قال: وفى الباب عن أبى بكرة وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح ، قال محمد بن عبد الواحد: وإسناده عندى على شرط الصحيح. قلت: وقد رواه الطبرانى من حديث عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابى عن محمد ابن سيرين ، عن أبى هريرة يرفعه: «من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ریح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام»^(٤).

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ

(٢) البخارى (٣١٦٦).

(٣) إسناده حسن ، رواه الترمذى (١٤٠٣) ، وابن ماجه (٢٦٨٧) ويشهد له ما رواه أحمد

(٢٣٧/٤) بإسناد صحيح بمعناه عن القاسم بن مخيمرة.

(٤) إسناده صحيح ، رواه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٢٤٩١ ، ٢٤٩٢).

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن قتادة عن الحسن أو غيره ، عن أبى بكره قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام »^(١) ، وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه.

وقد أخرجنا فى الصحيحين من حديث أنس قال: لم يشهد عمى مع رسول الله ﷺ بدرا قال: فشق عليه ، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه فإن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع ، قال: فهاب أن يقول غيرها ، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: أين؟ فقال: واهل لريح الجنة أجده دون أحد ، قال: فقاتلهم حتى قتل ، قال: فوجد فى جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر: فما عرفت أخى إلا ببنانه ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] .

قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه^(٢).

وريح الجنة نوعان: ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانا لا تدركه العباد. وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة فى إدراكه فى الآخرة من قرب وبعد ، وأما فى الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذى وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول ، والله أعلم .

(١) إسناده ضعيف، أخرجه البغوى فى شرح السنة (١٠ / ١٥١ ، ١٥٢) والبيهقى فى الكبرى (٨ / ١٣٣) وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٩٣) ، وفى إسناده قتادة قد عنعن ، وكذلك الحسن .

(٢) البخارى (٢٨٠٥ ، ٤٠٤٨) ، ومسلم (١٩٠٣).

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا محمد بن أحمد المؤذن ، حدثنا عبد الواحد بن غياث ، أنبأنا الربيع بن بدر ، حدثنا هارون بن رثاب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام»^(١).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن أحمد ابن محمد بن طريف ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم»^(٢).

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»^(٣) ، وقد أشهد الله - سبحانه - عباده في هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات والمشتهاة ، والمناظر البهية ، والفاكهة الحسنة ، والنعيم والسرور وقررة العين.

وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله - عز وجل - للجنة: طيبى لأهل فترداد طيبا ، فلذلك

(١) إسناده ضعيف جدا ، أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٤٥ ، ١٤٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (١٩٤) وفي إسناده الربيع بن بدر : متروك .

(٢) إسناده ضعيف جدا ، رواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٩٥) وفي إسناده جابر الجعفي ومحمد بن كثير وكلاهما ضعيف .

(٣) إسناده صحيح ، رواه الطيالسي (٢٣٨٨) ، وأحمد ٢٢/ ١٧١ ، ١٩٤) وأبو نعيم في صفة الجنة (١٩٦) .

البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك» ، كما جعل - سبحانه - نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة ، قال تعالى فى هذه النار: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ [سورة الواقعة: ٧٣] ، وأخبر النبى ﷺ أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم^(١) ، فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها ، والله المستعان.

* * *

(١) إسناده ضعيف جدا ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٠) (١٩٩) ، والطبرانى فى الصغير (١/ ٣٢) ، وفى إسناده عمرو بن عبد الغفار: متروك .

الباب الثالث والأربعون

فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد: وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»^(١)، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣] .

قال عثمان بن أبى شيبة: حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبى إسحاق ، عن الأغر ، عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى ﷺ ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣] قال: «نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبدا ، واخلدوا فلا تموتوا أبدا ، وانعموا فلا تبأسوا أبدا»^(٢).

وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن صهيب أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد: يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا ، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فوالله ما أعطاهم شيئا من أحب إليهم من النظر إليه»^(٣).

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٩٠) وفى إسناده أبو إسحاق مدلس وقد عنعن ، ولكن يشهد له حديث مسلم السابق .

(٣) مسلم (١٨١).

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا أبو بكر الألهانى ، أخبرنى أبو تميم الهيجينى قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله - عز وجل - يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول: يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار ، والأزواج المطهرة فيقولون: نعم ، قد أنجزنا ما وعدنا ، قالوا ذلك ثلاث مرات ، فينظرون فلا يفتقدون مما وعدوا فيقولون: نعم ، فيقول: قد بقى شىء ، إن الله يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله^(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك ، فيقول: أن أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا: ربنا وأى شىء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا»^(٢) ، ومن تراجع البخارى عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة ، وسيأتى فى هذا أحاديث نذكرها فى باب معقود لذلك - إن شاء الله.

وفى الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ، قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل

(١) إسناده ضعيف جدا ، رواه ابن المبارك فى زيادات نعيم بن حماد (٤١٩) والطبرى فى تفسيره (١٧٦٣١ ، ١٧٦٣٢) والبيهقى فى البعث (٤٩٢) وفى إسناده أبو بكر الهذلى : متروك.

(٢) البخارى (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩).

الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه»^(١). هذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار ، فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم - تبارك وتعالى - يرسل إليه ملكا ، فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة إليهم ، وذلك فى مقدار يوم الجمعة ، كما سيأتى مبينا فى باب زيارتهم الرب - عز وجل ، والله أعلم.



(١) البخارى (٦٥٤٤) ، ومسلم (٢٨٥٠).

الباب الرابع والأربعون في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [٢٧] في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿ ٢٨ ﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿ ٢٩ ﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿ ٣٠ ﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿ ٣١ ﴾ وَفِيكِهِ كَثِيرَةٌ ﴿ ٣٢ ﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿ ٣٣ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧ - ٣٣] ، قال تعالى: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ﴿ ٣٤ ﴾ [سورة الرحمن: ٤٨] ، وهو جمع فنن ، وهو الغصن ، وقال: ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٨] .

والمخضود: الذي قد خضد شوكه ، أى نزع وقطع ، فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة.

واحتج هؤلاء بحجتين:

الحجة الأولى: أن الخضد فى اللغة: القطع ، وكل رطب قبضته فقد خضدته وخضدت الشجر: إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، ومنه الخضد على مثال الثمر ، وهو كل ما قطع عن عود رطب خضد ، بمعنى مخضود كقبض وسلب ، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه.

الحجة الثانية: قال ابن أبى داود: حدثنا محمد بن مصفى ، حدثنا محمد ابن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنا ثور بن يزيد ، حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن السلمي قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابى فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها - يعنى الطلح - فقال رسول الله ﷺ : « إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود ، فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر » (١) .

(١) إسناده صحيح أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٧/ ١٣٠) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٤٧) .

الملبود: الذى اجتمع شعره بعضه على بعض ، وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن شاء الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، وأقبل أعرابى يوما ، فقال: يا رسول الله ، ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية ، وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال رسول الله ﷺ : « وما هى ؟ » قال: السدر فإن له شوكة مؤذيا . قال: « أليس الله يقول: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ » [سورة الواقعة: ٢٨] ! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة »^(١) .

وقالت طائفة: المخضود هو: الموقر حملا ، وأنكر عليهم هذا القول وقالوا: لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل ، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله - سبحانه وتعالى - لما خضد شوكه وأذهبه ، وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل ، والحديثان المذكوران يجمعان القولين ، وكذلك قول من قال: المخضود الذى لا يعقر اليد ، ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه ، فسر به بلازم المعنى ، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة ، وفردا من أفرادها تارة ، ومثالا من أمثله فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ، ولا اختلاف بينها.

وأما الطلح ، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز ، قال مجاهد: أعجبهم طلع وج وحسنه ، فقيل لهم: ﴿ وَطَلَحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٩] . وهذا قول على بن أبى طالب وابن عباس ، وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى .

(١) إسناده ضعيف | رواه ابن المبارك فى الزهد فى زيادات نعيم بن حماد (٢٦٣) وهذا مرسل وأخرجه الحاكم (٤٧٦/٢) والبيهقى فى البعث (٣٠٢) بإسناده صحيح إلى سليم بن عامر عن أبى أمامة .

وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال ، وهو شجر البوادی الكثير الشوك عند العرب ، قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالوا

غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل ، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك ، وقال ابن قتيبة: هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره ، فليس له ساق بارز ، وقال مسروق: ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها ، وأنهارها تجرى من غير أخدود.

وقال الليث: الطلح: شجر أم غيلان ، له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عودا وأجوده صنعا ، قال أبو إسحاق: يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان ؛ لأن له نورا طيب الرائحة جدا ، فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا ، فإنه ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسمى ، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز ، إنما أراد التمثيل به لحسن نضده ، وإلا فالطلح فى اللغة: هو الشجر العظام من البوادی ، والله أعلم.

وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها فأقرعوا إن شئتم: ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٠]». وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها»^(١) ،

قال أبو حازم: فحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال: حدثنى أبوسعيد الخدرى عن النبى ﷺ: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة ، هى شجر جنة الخلد»^(٢).

وقال وكيع: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى بنى مخزوم ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه: إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، اقرءوا إن شئتم: ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٠] فبلغ ذلك كعبا فقال: صدق ، والذى أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد ﷺ ، لو أن رجلا ركب جذعة أو جذعا ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرما ، وإن الله غرسها بيده ونفخ فيها ، وإن أصلها من وراء سور الجنة ، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة^(٣).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن

(١) البخارى (٦٥٥٢) ، ومسلم (٢٨٢٨) .

(٢) صحيح غيره دون لفظة هى شجر جنة الخلد ، أخرجه أحمد (٤٦٢/٢) وعبد بن حميد (١٤٥٥) وغيرهما وفى إسناده أبو الضحاك وهو مجهول . ولكن يشهد الأحاديث التى فى الصحيحين السابقة .

(٣) إسناده ضعيف وللجزء الأول منه شواهد فى الصحيحين أخرجه الطبرى فى تفسيره (٣٣٣٦٧ ، ٣٣٣٦٨) وفى إسناده زياد مولى بنى مخزوم : ضعيف .

عباس: الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها . قال: فيشتهي بعضهم ويذكر هو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو كان فى الدنيا ^(١) . وفى جامع الترمذى من حديث أبى حامد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » ، قال: هذا حديث حسن ^(٢) .

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « يقول الله: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٧] ، وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَظِلٌّ مَّمْدُودٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٠] ، وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] ، ^(٣) رواه بهذا اللفظ والسياق

(١) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٠٤) وابن أبى حاتم فى تفسيره (١٨٧٨١) وفى إسناده زمعة بن صالح ضعيف وفى روايته عن سلمه مقال .

(٢) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٢٥٢٥) ، وابن حبان (إحسان) (٧٤١٠) وغيرهم وفى إسناده زياد بن الحسن بن الفرات قال أبو حاتم منكر الحديث . وذكره ابن حبان فى الثقات روى له الترمذى حديثا واحدا وهو هذا الحديث وقال الدارقطنى . لا بأس به ولا يحتج به .

(٣) إسناده حسن رواه الترمذى (٣٠١٣ ، ٣٢٩٢) والنسائى فى الكبرى (١١٠٨٢) وأحمد (٤٣٨/٢) وغيرهم من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمه عن أبى هريرة وصدر هذا الحديث لها شواهد فى الصحيحين .

الترمذى والنسائى وابن ماجه وصدره فى الصحيحين ، وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها وإن شئتم فاقرؤوا ﴿وَطِّلْ سُودٌ﴾ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴿﴾ [سورة الواقعة: ٣٠ - ٣١] ^(١) .

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رجل: يا رسول الله ، ما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» ، وقد رواه عنه حرمله بزيادة ، وقال: أخبرنى ابن وهب ، وأخبرنى عمر ، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا قال: يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال: «طوبى لمن رآنى وآمن بى ، ثم طوبى ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرى» ، فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» ^(٢) .

قلت: وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه: «طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرى سبع مرات» ^(٣) ، وقال ابن المبارك: حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرفها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ،

(١) البخارى (٣٢٥٢) .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧١/٣) وغيره من رواية دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد وهذه الرواية ضعيفة .

(٣) إسناده ضعيف ، وانظر الذى سبق .

وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ،
والأين من الزبد ، ليس فيها عجم ^(١) .

وقال الإمام أحمد بن علي: حدثنا بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، حدثنا
معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد الكاللي أنه سمع عتبة بن عبد
السلمي يقول: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فسأله عن الخوض وذكر الجنة ، ثم
قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: « نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى » ، فذكر شيئا
لا أدري ما هو ! فقال: « أى شجرة أرضنا تشبهه؟ » ، قال: ليست تشبه شيئا
من شجر أرضك فقال النبي ﷺ : « أتيت الشام؟ » قال: لا ، قال: « تشبه
شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها » ، قال: ما
أعظم أصلها؟ قال: « لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى
تنكسر ترقوقهم هرما » ، قال: فيها عنب ، قال: « نعم » ، قال: ما عظم
العنقود؟ قال: « مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر » ، قال: فما عظم الحبة؟
قال: « هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما؟ » قال: نعم ، قال: « فسلخ
إهابه فأعطاه أمك وقال لها: اتخذى لنا منه دلو؟ » ، قال: نعم ، قال الأعرابي:
فإن تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي ، قال: « نعم وعامة عشيرتك » ^(٢) .

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا

(١) إسناده حسن ، رواه ابن المبارك في الزهد (١٤٨٨) ، في زيادات المروزي من قول سعيد ،
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٥٨) ، والبعوى في شرح السنة (٤٣٨٤) ،
وابن أبي شيبة (٩٧/١٣) مختصرا إلى ابن عباس .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (١٨٣/٤) ، (١٨٤) والطبراني في الكبير (١٢٦/١٧) ، (١٢٧)
وفي الأوسط (٤٠٤) وفي إسناده عامر بن زيد البكاللي وفيه جهالة .

يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدره المنتهى فقال: «يسير في ظل الفتن منها الراكب مائة سنة»، أو قال: «يستظل في الفتن منها مائة راكب ، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال»^(١) رواه الترمذى وقال: شك يحيى وهو حديث حسن غريب .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق ، وترابها مسك ، وأصول أشجارها ذهب وورق أفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائما لم يؤذه ، ومن أكل جالسا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعا لم يؤذه ، وذلت قطوفها تذليلا^(٢) .

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: نزلنا الصفاح ، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله ، قال: فانطلق فأظله . فلما استيقظ إذا هو سليمان فأتيته أسلم عليه ، فقال: يا جرير ، تواضع لله ، فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة ، يا جرير ، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى ، قال: ظلم الناس بينهم ، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين أصبعيه ، فقال: يا جرير ، إذا طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت: يا عبد الله ، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر^(٣) .

(١) إسناده حسن أخرجه الترمذى (٢٥٤١) وهناد فى الزهد (١١٥) وغيرهما ومحمد بن إسحاق صرح بالتحدث كما فى الزهد .

(٢) أخرجه ابن المبارك فى زيادات نعيم بن حماد (٢٢٩) ، وابن أبى شيبة (٩٥/١٣) وغيرهما .

(٣) إسناده صحيح أخرجه ابن أبى شيبة (٣٣٣/١٣) ، وهناد فى الزهد (٩٨) ، والبيهقى فى البعث (٣١٦) وفى إسناده الأعمش إن كان مدلسا قد روى عنه الأئمة الثقات منهم محمد ابن خازم الضرير .

الباب الخامس والأربعون في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى:

﴿ وَشَرِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥] .

وقولهم: ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥]

أى شبيهه ونظيره لا عينه ، وهل المراد هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من
الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة؟ قيل: فيه قولان:
ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح ، عن ابن عباس وعن مرة عن
ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: هذا الذى رزقناه من
قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذى رزقنا من
قبل فى الدنيا ^(١) ، قال مجاهد: ما أشبهه به ^(٢) .

وقال ابن زيد: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وأتوا به متشابهها
يعرفونه ^(٣) ، وقال آخرون: هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل
هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا فى اللون والطعم.

(١) إسناده ضعيف أخرجه الطبرى فى تفسيره (٥١٢)

(٢) أخرجه الطبرى (٥١٤) .

(٣) إسناده صحيح أخرجه الطبرى فى تفسيره (٥١٦) .

واحتج أصحاب هذا القول بحجج:

الحجة الأولى: إن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم قال: ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان ، حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي ، حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة ، وقال: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى^(١).

الحجة الثالثة: قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مَّتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم: هذا الذى رزقنا من قبل.

الحجة الرابعة: إن المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا ، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها.

ورجحت طائفة منها ابن جرير وغيره القول الآخر ، واحتجت بوجوه ، قال ابن جرير: والذى يحقق صحة قول القائلين: أن معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله جل ثناؤه قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، يقولون: هذا الذى رزقنا من قبل ، ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض ، فإذا كان قد أخبر - جل ذكره - عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة ، فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة

(١) إسناده صحيح رواه الطبرى فى تفسيره (٥١٧) .

واستقرارهم فيها ، والذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة ، فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه ، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة ، وكيف يجوز أن يقولوا الأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا من قبل ، إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول: رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب ، دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة ، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا. قلت: أصحاب القول الأول يخصصون هذا العام بما عدا الرزق الأول ، لدلالة العقل والسياق عليه ، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصصه ولا بد بأنواع من التخصيصات:

الأول: أن كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا ، لا يقال فيها ذلك.

الثانى: أن كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الأباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقنا فى الدنيا ، ويستمرون على هذا الكلام دائما إلى غير نهاية ، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ، ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم ، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب ، ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره

ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمارها ۝ وغير ذلك ، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا. فهذا وجه قولهم ، ولا يلتزم مخالفة ما نصه الله - سبحانه وتعالى - ولأن نسبه أهل الجنة إلى الكذب بوجه ، والذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه ، والله أعلم.

وأما قوله - عز وجل: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، قال الحسن: خيار كله لا رذل ^(١) ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه ، وأن ذلك ليس فيه رذل؟ وقال قتادة: خيار لا رذل فيه ^(٢) ، فإن ثمر الدنيا ينقى منها ويرذل منها ، وكذلك قال ابن جريج ^(٣) وجماعة ، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: متشابهها في اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم ^(٤) ، قال مجاهد: متشابهها لونه مختلفا طعمه ^(٥) ، وكذلك قال الربيع بن أنس ، وقال يحيى بن أبى كثير: عشب الجنة الزعفران ، وكتبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها ، فيقولون: هذا الذى جئتمونا به أنفا . فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم ^(٦) مختلف ، فهو قوله

(١) صحيح رواه الطبرى (٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١) من طرق عن الحسن به .

(٢) صحيح رواه الطبرى فى تفسيره (٥٢٢) .

(٣) إسناده ضعيف رواه الطبرى فى تفسيره (٥٢٣)

(٤) رواه الطبرى (٥٢٤) .

(٥) رواه الطبرى (٥٢٦) .

(٦) رواه ابن أبى حاتم (٢٦١) .

عز وجل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

وقالت طائفة وناس معنى الآية: أن يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب ، قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماء كلما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا فى الجنة: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم^(١) ، واختار ابن جرير هذا القول قال: ودليلنا على فساد قول من قال: إن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل ، أى فى الجنة ، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، أنه - سبحانه وتعالى - أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥] . قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ مَفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: ٥٠ ، ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٥٥]. وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها ، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٢ ، ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢ ، ٣٣] ، أى لا تكون فى وقت دون وقت ، ولا تمنع ممن أرادها

وقال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحاقة: ٢١ - ٢٣].

والقطوف: جمع قطف وهو ما يقطف ، والقطف - بالفتح - الفعل ، أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم ، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس: إذا هم يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره: قريب إليهم مذلة كيف شاءوا فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين ، فيكون كقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحاقة: ٢٣].

ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله ، وأهل المدينة يقولون: ذلل النخل ، أى سوى عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها ، وفى نصب دانية وجهان:

أحدهما: أنه على حال عطفاً على قوله متكئين.

وثانيهما: أنه صفة الجنة ، وقال تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الرحمن: ٢٣].

وفى الجنتين الآخرين: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٢].

وخص النخل والرمّان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها ، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الرحمن: ٦٨].

وقال الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا ريجان بن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى سماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»^(١).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنى عقبه بن مكرم العمى حدثنا ربيع ابن إبراهيم بن عليه ، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أهبط الله آدم - عليه السلام - من الجنة ، وعلمه صنعة كل شىء ، وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تتغير»^(٢). وقد تقدم أن سدره المنتهى نبقها مثل القلال.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته»، وفى لفظ: «فتناولت منها قطفا فقصرت عنه يدى»^(٣).

وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: بينما نحن فى صلاة الظهر إذا تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب: يا رسول الله ، صنعت اليوم فى صلاتك شيئا ما كنت تصنعه؟ قال:

(١) إسناده ضعيف رواه الطبرانى فى الكبير (١٤٤٩) (١٠٢/٢) والبزار (٣٥٣٠) كشف الأستار وغيرهما ، وفى إسناده عباد بن منصور : وهو ضعيف ، ورواه البزار (٣٥٣١) (فى كشف الأستار) وفى إسناده إسحاق بن إدريس وهو ضعيف .

(٢) ضعيف وقد سبق .

(٣) مسلم (٩٠٤) .

«إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ، ولو آتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» ^(١) .

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل وألين من الزبد ، ليس فيه عجم ^(٢) ، وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك عن أبي إسحاق البراء بن عازب قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين على أى حال شاءوا ^(٣) .

وقال البزار فى مسنده: حدثنا أحمد بن الفرغ الحمصى ، حدثنا عثمان ابن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى ، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى قال: حدثنا كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهمز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى دار سليمة ، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ،

(١) صحيح لشواهده . رواه أحمد (٣/ ٣٥٢ ، ٣٥٣) وعبد بن حميد (١٠٣٤) وفى إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه وإذا كان للضعف أقرب ولكن يشهد له حديث مسلم السابق . والبخارى (١٠٥٢) من حديث ابن عباس .

(٢) سبق .

(٣) صحيح رواه ابن المبارك فى الزهد فى زيادات نعيم بن حماد (٢٣٠) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٥١) والبيهقى فى البعث (٣١٣) وفى إسناده شريك سيع الحفظ ولكن تابعة إسرائيل كما عند البيهقى فى البعث (٣١٢) وغيره .

قال: «قولوا إن شاء الله»، قال القوم: إن شاء الله^(١)، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقا عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن المهاجر.

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره قلت: يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة؟ قال: «على أنهار من غسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة»^(٢)، قال الحسن وأبو داود العالية: هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

* * *

(١) إسناده ضعيف، وقد سبق.

(٢) إسناده ضعيف، وقد سبق.

الباب السادس والأربعون فى زرع الجنة

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]

وعن أبى هريرة: أن النبى ﷺ كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «إن الرجل من أهل الجنة استأذن ربه - عز وجل - فى الزرع ، فقال له: أو لست فيما اشتيت؟ فقال: بلى ، ولكنى أحب أن أزرع ، فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، وتكويره أمثال الجبال فيقول الله - عز وجل: دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء » ، فقال الأعرابى: «يا رسول الله ، لا تجد هذا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله ﷺ» ^(١) ، رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب - تعالى - مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضا ، وهذا يدل على أن الجنة زرها وذلك البذر منه ، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع. فإن قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فأخبره أنه فى غنية عنه؟ قيل: لعله استأذنه فى زرع يباشره ويزرعه بيده ، وقد كان فى غنية عنه ، وقد كفى مؤونته ، ولا أعلم ذكر الزرع فى الجنة إلا فى هذا الحديث ، والله أعلم.

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينما رجل فى الجنة فقال فى نفسه: لو أن الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون: سلام عليكم ، يقول لك ربك: تمنيت فى نفسك شيئا فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول: ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه: كل يا ابن آدم ، فإن ابن آدم لا يشبع ، والله أعلم.

الباب السابع والأربعون فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، وفى موضع: ﴿تَجْرَى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وفى موضع: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣].

وهذا يدل على أمور:

الأول: وجود الأنهر فيها حقيقة.

الثانى: أنهار جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا ، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاءوا ، وكأن الذى حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير أخطود ، فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، على أنها تجرى بأمرهم ، إذ لا يكون فوق المكان تحته ، وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم فإن أنهار الجنة - وإن جرت فى غير أخطود- فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار ، وهو - سبحانه- لم يقل: من تحت أرضها ، وقد أخبر - سبحانه- عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا

﴿الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ [سورة الأنعام: ٦]

فهذا على ما هو المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون:

﴿ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ۖ ﴾ [سورة الزخرف: ٥١]

وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٦]

قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يمان عن أشعب عن جعفر عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه^(١) ، وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة ، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا^(٢) ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين^(٣) .

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [سورة محمد: ٥١].

فذكر - سبحانه - هذه الأجناس الأربعة ، ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافى للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب - تعالى - أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة فى

(١) إسناده فيه ضعف ، أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٣/١٣)

(٢) إسناده ضعيف جدا ، رواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (٧٢) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٠٢) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (٧٣) ، وفى إسناده أبو إسحاق مدلس وقد عنعن .

الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أ حدود ، وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها ، كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداق والنول واللغو والإنزاف وعدم اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها . بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو ، وتنزف فى نفسها وتنزف المال ، وتصدع الرأس ، وهى كريهة المذاق . وهى رفس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا ، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم ، وتذهب الغيرة ، وتورث الحزى والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخرة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله الله قياما له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار ، وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم . وتخرج من القلب تعظيم المحارم ، ومدمنها كعابد وثن .

وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة وكم فرقت بين رجل وزوجه فذهبت بقلبه وراحت بلبه وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة ، وكم أغلقت فى وجه شاربها بابا من أبواب الخير وفتحت له بابا من أبواب الشر ، وكم أوقعت فى بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ، جرت عليه من سفلة فهى جماع الإثم ، ومفتاح الشر ، وسلاية النعم ، وجالبة النقم ، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبد ، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة إلا أن يتوب » ^(١) لكفى .

وقال أبو خيثمة: حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه

قرأ هذه الآية [الكوثر: ١] ، فقال رسول الله :

« أعطيت الكوثر فإذا هو يجرى ولم يشق شقا ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصاؤه اللؤلؤ »^(١)

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيد عن مسروق في قوله

تعالى : [الواقعة: ٣١] ، قال: أنهار تجري في غير أخدود

قال: [الشعراء: ١٤٨] ، قال: من أصلها إلى فرعها

أو كلمة نحوها .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة »^(٢) . وقال عثمان بن

سعيد الدارمي: حدثنا سعيد بن سابق ، حدثنا مسلمة ابن علي عن مقاتل بن

حبان عن عكرمة ، عن ابن عباس عن النبي قال: « أنزل الله من الجنة خمسة

أنهار: سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات ، وهما

نهران العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عين الجنة ، من

أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل ، فاستودعها الجبال وأجراها في

الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم ، فذلك قوله :

[سورة المؤمنون: ١٨] ، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع

من الأرض القرآن ، والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٣/ ١٥٢)

(٢) مسلم (٢٨٣٩).

وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال: أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رفعت إلى سدره المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة ، ويخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت: يا جبريل: ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات»^(١).

وفى صحيحه أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب اللؤلؤ الجوف ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، قال: فضرب الملك يده فإذا طينه مسك أذفر»^(٢).

وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربي - عز وجل»^(٣) ، وقال محمد ابن عبد الله الأنصارى: حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا بنهر يجرى حافته خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر ، فقلت: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل»^(٤).

قال الترمذى: حدثنا هناد ، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب

(١) البخارى (٥٦١٠).

(٢) البخارى (٦٥٨١).

(٣) مسلم فى الصلاة (٤٠٠).

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١٠٣/٣ ، ١١٥) وابن أبى شيبة (١٤٧/١٣) وغيرهما عن حميد عن

أنس ورواه البخارى بنحوه (٦٥٨١) .

عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»، قال: هذا حديث حسن صحيح^(١).

قال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر - هو الرازي - حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قال: الخير الكثير. وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة، وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعية في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر^(٢)، وهذا معناه والله أعلم. أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعية في أذنيه.

وفي جامع الترمذى من حديث الحريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد»^(٣)، قال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قره: عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسقيه الله - عز وجل - من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا، ومن سره أن يكسبه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك، ولو كان أدنى أهل الجنة

(١) إسناده حسن رواه الترمذى (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (١١٢/٢، ١٥٨) وغيرهم وعند أحمد من رواية حماد بن زيد عن عطاء بن السائب وحماد روى عنه قبل الاختلاط.

(٢) أخرجه الطبرى (٣٨١٣٩، ٣٨١٤٢، ٣٨١٦٠)

(٣) أخرجه الترمذى (٢٥٧١) وأحمد (٥/٥) وغيرهما من طريق يزيد بن هارون عن الحريرى به وفى إسناده الحريرى وقد اختلط.

بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف ، والإيثار ، والصبر ، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها ، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها ، وهو ما أوجبه الله عليهم ؛ ولهذا قال: [سورة الإنسان: ١٢] ، فإن

في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة وجمع لهم بين النضرة والسرور ، وهذا جمال ظواهرهم ، وهذا حال بواطنهم ، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام ، وبواطنهم بحقائق الإيمان ، ونظير قوله في آخر السورة:

[سورة الإنسان: ٢١] ، فهذه زينة الظاهر ثم قال:

[سورة الإنسان: ٢١] ، فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل

أذى ونقص. ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم - عليه السلام:

[طه: ١١٨ ، ١١٩] ،

فضمن له ألا يصيبه ذل الباطن بالجوع ، ولا ذل الظاهر بالعرى ، وألا يناله حر الباطن بالظما ولا حر الظاهر بالضحي.

ونظير هذا عليه السلام عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سواتهم ويزين ظواهرهم ، ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى ، وأخبر أنه خير اللباسين ، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، فزين ظاهرها بالنجوم ، وباطنها بالحراسة ، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى ، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف صحيح موقوف يوسف: [سورة يوسف: ٣٢] ، فأرتهن حسنه يوسف: إسناده ضعيف

[سورة يوسف: ٣٢]

وجاله ، ثم قالت:

فأخبرت عن جمال باطنه وزينته بالعفة ، وهذا كثير في القرآن لتأمله.

وَأَفَاتِ الْخَمْرِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرْنَا ، وَكُلُّهَا مُتَّفِقَةٌ عَنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ.

فإن قيل: فقد وُصفَ بِكَ الْكَوْثَرُ ^{سبحانه} الأنهار بأنها جارية ، ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن ، فما فائدة قوله: غير آسن؟ قيل: الماء الجارى وإن كان لا يأسن ، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال. وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ^{وَمَاءٌ قَسِيْرٌ} وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذتهم ^{وَسَعْوَرُهُمْ} ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم ، والله أعلم.

وأنهار الجنة تنفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعددها الله - عز وجل- للمجاهدين فى سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة» ^(١).

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والعرش ، فإن سألتهم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»^(٢) . ﴿وَأَن لَّنَا

مِنْ وَأَمَّا الْمَعْجَمُ بِالطَّرِيقِ فَأَمَّا كَيْفُ فِي الْجَلْدِ خِلَافِ الْحَوَائِجِ عَلَى ذَهَابِ قِيَالِ الْفَقِيرِ الْوَرَقِ سُبْحَانَ اللَّهِ : « الفردوس ربوة الجنة وأعلامها وأوسطها ، ومنها تفجر أنهار الجنة » (٣) .

(۱) البخاری (۲۷۹۰).

(۲) سبق تخریجہ .

(٣) إسناده صحيح رواه الطبراني في الكبير (٦٨٨٦)، والطبري في تفسيره (٢٣٤١٥)، وأبو

نعيم في صفة الجنة (١١) ، وفي إسناده سعيد بن بشر ضعيف .

وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨]

فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ، فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة» ^(١) . ورواه أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة ، هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة ، وبالجمله فهو من الضعفاء ، قال البخارى: منكر الحديث وقال النسائى: متروك ، وقال أبو حاتم: لا تشتغل به ، وقال عبد الله بن وهب: حدثنا سعيد بن أبى أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: إن فى الجنة نهرا يقال له: اليبده ، عليه قباب من ياقوت تحته جوار ، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى اليبده فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه ^(٢) .

فصل

وأما العيون ، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [سورة الذاريات: ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿١﴾ [سورة الإنسان: ٥ ، ٦]

وقال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم ، وقد اختلف فى قوله: يشرب بها ، فقال الكوفيون: الباء بمعنى من ، أى يشرب منها ، وقال آخرون: بل الفعل مضمن ، ومعنى يشرب بها ، أى يروى بها

(١) إسناده ضعيف جدا أخرجه ابن عدى (٣١٥/٦) وحكم عليه بالنكارة وفى إسناده مسلمة ابن على الحشنى : متروك .

(٢) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٢٤) .

فلما ضمنه معناه عداه تعديته ، وهذا أصح والطف وأبلغ ، وقالت طائفة: الباء للظرفية ، والعين اسم للمكان كما تقول: كنا بمكان كذا وكذا.

ونظير هذا التضمن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ، ضمن معنى يهيم فعدى تعديته ، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ ﴿[الإنسان: ١٧، ١٨]

فأخبر- سبحانه- عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الأبرار يمزج منها ؛ لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿[سورة المطففين: ٢٢- ٢٨] ، فأخبر- سبحانه- عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرايين ومجىء أحدهما على أثر الآخر حالة أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما ألفت موقع ذكر الكافور فى أول السورة ، والزنجبيل فى آخرها ، فإن شرابهم مزج أولا بالكافور ، وفيه من البرد ما يجىء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنهما نوعان للذيان من الشراب:

الأول: مزج بكافور.

والثانى: مزج بزنجبيل أيضا ، فإنه- سبحانه- أخبر عن مزج شرابهم

حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا» ^(١).

وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تفجر من جبال مسك» ^(٢)، وهذا موقوف صحيح. وذكر ابن مردويه في مسنده: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عبيد، حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله: «هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهار» ^(٣)، وحلوا أساور من فضة. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن عبيدة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الحريري عن معاوية بن قره عن أنس بن مالك قال: أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض؟ لا، والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينها المسك الأذخر، قلت: ألا تجوع في الآخرة؟ قال: لا، وألكم لا تظلموا، فورا ولا ابن ماجة في تفسيره عن محمد ابن أحمد، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا مهدي بن حكيم، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الحريري عن معاوية بن قره عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: فذكره هكذا رواه مرفوعا.

(١) رواه ابن حبان إحصان (٧٤٠٨)، والبيهقي في البعث (٢٩٢) وأبو نعيم في

صفة الجنة (٣١٣) وغيرهم، وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت قال الحافظ صدوق يخطئ وعبد الله بن ضمرة روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه العجلي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦/١٣)

(٣) فذلك الذي لمتني فيه. أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣١٤) وفي إسناده الحارث بن عبيد

ضعيف. «وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ»

(٤) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣١٦) وفي إسناده الحريري وهو مختلط.

بال الطعام؟ قال: « جشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد »^(١).

وفى المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عتبة عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ ، فقال: يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: « نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة » ، قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى ، قال: « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمربدنه »^(٢) ، ورواه الحاكم فى صحيحه ولفظه: أتى النبى ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم ، ألتستزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ويقول لأصحابه: إن أقرلى بهذا خصمته - فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفس محمد بيده ، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع » ، فقال له اليهودى: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، فقال له رسول الله ﷺ: « حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك ، فإذا البطن قد ضمربدنه »^(٣).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتيه فيخر بين يديك مشويا »^(٤) ، وقد تقدم حديث

(١) مسلم (٢٨٣٥).

(٢) رجاله ثقات ، أخرجه أحمد (٣٦٧/٤ ، ٣٧١) والنسائي فى الكبرى (١١٤٨).

(٣) رجاله ثقات ، أخرجه البيهقى فى البعث (٣٥٢).

(٤) إسناده ضعيف رواه الهيثم بن كليب فى مسنده (٨٥٨) والبيهقى فى البعث (٣٥٣)

وغيرهما وفى إسناده حميد الأعرج ضعيف ، والحارث لم يسمع من ابن مسعود .

أنس فى قصة عبد الله بن سلام: فى أول ما يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره ، حديث أبى سعيد الخدرى: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفوها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة » ^(١) .

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم ، حدثنا إبراهيم بن منقذ ، حدثنا إدريس بن يحيى حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال: قال رسول ﷺ: « إن فى الجنة طيرا أمثال البخاتى » فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله ، قال: « أنعم منها من يأكلها أنت ممن يأكلها يا أبا بكر » ^(٢) .

قال الحاكم: وأنبأنا الأصم ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، أنبأنا عبد الوهاب ابن عطاء ، أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ٢١] .

قال: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله ، إنى لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون ، قال: « من يأكلها أنعم منها ، وأنها أمثال البخاتى لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » ، وبهذا الإسناد عن قتادة عن أبى أيوب - رجل من أهل البصرة - عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [سورة الزخرف: ٧١] .

قال: يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة منها فيها لون ليس فى الأخرى .

(١) صحيح وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه البيهقى فى البعث (٣٥٤) ، وابن عدى (١٥/٦) وفى إسناده الفضل بن المختار : ضعيف .

﴿ خَتَمُهُ مِسْكٌ ﴾

وقال زيد بن معاوية:

﴿ خَتَمُهُ مِسْكٌ ﴾

[سورة المرسلات: ٤١ - ٤٣]

وقال تعالى:

وذكر سعيد بن منصور:

﴿ وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾

[سورة الحاقة: ١٩ - ٢٤] ، وقال تعالى:

[سورة الرعد: ٣٥] .

وقال تعالى:

[سورة الطور: ٢٢ ، ٢٣] .

﴿ خَتَمُهُ مِسْكٌ ﴾

وقال تعالى:

[سورة المطففين: ٢٥ ، ٢٦]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ ، طَعَامُهُمْ ذَلَالِكُ جِشَاءِ كَرِيحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ» (١) .

ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر ، وفيه: قالوا: فما

من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها^(١) ، قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: التسنيم : اسم العين التى يمزج بها الخمر^(٢) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَكَاَسًا دِهَاقًا﴾ [سورة النبأ: ٣٤] .

قال: هى المتابعة الممتلئة . قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وادهق لنا . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦٥﴾ [سورة الإنسان: ٦٥] .

وعلى قوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا رَٰحِيًّا﴾ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً ﴿٦٨﴾ [سورة الإنسان: ١٧ ، ١٨] ، فقالت فرقة: سلسيلا جملة مركبة من فعل وفاعل ، سل وسبيلا منصوب على المفعول ، أى سل سبيلا إليها وليس هذا بشىء ، وإنما السلسيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة ، فقال قتادة: سلسلة فهم يصرفونها حيث شاءوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر ، وقال مجاهد: سلسلة السيل حديدة الجرية ، وقال أبو العالية: والمقابلان تسيل عليهم فى الطرق ، وفى منازلهم ، وهذا سلاستها وحدة جريتها ، وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق ، وقال أبو إسحاق: سلسيل صفة لما كان فى غاية السلاسة ،

(١) إسناده ضعيف جدا رواه البيهقى فى البعث (٣٦٥) ونعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٢٧٦) والطبرى فى تفسيره (٣٦٦٨٨) وفى إسناده جابر الجعفى وهو متروك .
(٢) صحيح رواه البيهقى فى البعث (٣٦٦) .

فسميت العين بذلك وقال ابن الأنبارى: الصواب فى سلسيل: أنه صفة للماء ، وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين: الأولى: أن سلسيلا مصرف ، ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية . الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلا لا .

قلت: ولا حجة له فى واحدة منهما ، أما الصرف فالإقتضاء رءوس الآى له كظائره ، وأما قول ابن عباس ، فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة ، فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر ، وليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر. فإن قيل: فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ(كن) ، وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة ، ثم يؤتى به إليهم.

والصواب: أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام ، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا ، وقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «مجارهم الألوة» ، والمجار: جمع مجمر ، وهو البخور الذى يتبخر بإحراقه.

والألوة: العود الطرى ، فأخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون بإحراقه ، لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر- سبحانه- أن فى الجنة ظلالا ، والظلال لا بد أن تفىء مما يقابلها

فقال: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [سورة يس: ٥٦]

وقال: ﴿ إِنَّ الْمُسْتَقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴾ [سورة المرسلات: ٤١]

﴿ وَنَدَّ حُلَّتُهُمْ خِلَافَ ابْنِ أَبِي شِهَابٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ فِي الْكُوْثَرِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هُوَ فَرُّ أَعْطَانِيهِ رَبِّي أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزْرِ» ^(١)، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنِّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِنَاعِمَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا» ^(٢)، تَابِعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ وَقَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَدَلَ عُمَرَ.

حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: [سورة الواقعة: ١٨].

يقول: الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع، وفي قوله تعالى: [سورة الصافات: ٤٧].

يقول: لا تذهب عقولهم، وقوله تعالى: [سورة النبأ: ٣٤]

يقول ممتلئة، وقوله: [سورة المطففين: ٢٥].

يقول: الخمر ختم بالمسك، وقال علقمة عن ابن مسعود: [سورة المطففين: ٢٦].

قال: خلطه وليس بخاتم ثم يختم ^(٣)، قلت: يريد - والله أعلم - أن آخره مسك يخالطه، فهو من الخاتمة وليس من الخاتم.

-
- (١) للانقطاع بين قتاده وأبي بكر أخرجه البيهقي في البعث (٣٥٥).
- (٢) أخرجه أحمد (٢٣٦/٣، ٢٣٧)، والترمذي (٢٥٤٢)، وقد اختلف في إسناده هذا الحديث هل الراوى عن أنس هل هو محمد بن عبد الله بن شهاب الزهري، أو محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري والأحاديث السابقة الصحيحة تشهد له.
- (٣) أخرجه الطبري (٣٦٦٨٢)، والبيهقي في البعث (٣٥٧)، وفي إسناده عبد الله بن صالح: ضعيف والانقطاع بين علي بن طلحة وابن عباس.

جنة عدن» ^(١) ، وفيهما أيضا من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله :
« إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على
أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يولون ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون ولا
يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم
الخور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم - عليه
السلام- ستون ذراعا فى السماء » ^(٢) .

وفى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى قال: « لا
تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما ، فإنها لهم فى الدنيا ولكم
فى الآخرة » ^(٣) ، وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده: حدثنا ثوبان ، حدثنا
سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت قال: قال أنس: كان رسول الله يعجبه
الرؤيا ، فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أثنى عليه
معروف كان أعجب لرؤياه إليه فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنى
أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة
فنظرت ، فإذا فلان ابن فلان وفلان ابن فلان ، فسمت اثنى عشر رجلا ، كان
رسول الله قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم ، عليهم ثياب طلس
تشخب أوداجهم فقبل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدج ، فغمسوا فيه
فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر ،
فأكلوا من ذلك السر ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما
أرادوا وأكلت معهم ، فجاء البشير من تلك السرية فقال: أصيب فلان ابن

(١) وقد سبق .

(٢) وقد سبق .

(٣) البخارى (٥٤٢٦) ومسلم (٢٠٦٧) .

الباب التاسع والأربعون في ذكر أنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون واجناسها وصفاتها

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

فالصحاف: جمع صحفة ، قال الكلبي: بقصاع من ذهب ، وقال الليث: الصحفة: قصعة مسطحة عريضة ، الجمع صحاف ، قال الأعشى:

والمكايك والصحاف من الفضـة والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد العدي:

متكئا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد: الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها ، قال أبو إسحاق: واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس: هي الأباريق التي ليست لها آذان ، وقال مقاتل: هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى.

وقال البخاري في صحيحه: الأكواب والأباريق التي لها خراطيم وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٧ ، ١٨] ، الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب ، وإبريق إفعال من البريق ، وهو الصفاء ، فهو الذي يبرق لونه من صفائه ، ثم سمي كل ما كان على شكله إبريقا وإن لم يكن صافيا ، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها ، والعرب تسمى السيف إبريقا لبريق لونه . ومنه قول ابن أحر:

تعلقت إبريقا وعلقت جفنه ليهلك حيا ذا زهاء وخامل

الخطاب وأنس بن مالك ، وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف: إنه لا يلبس الحرير فى الجنة ، ويلبس غيره من الملابس قالوا: وأما قوله تعالى:

[سورة الحج: ٢٣]

قال القراء: المخصوص ، وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التى تدل على أن الفعل مقتضى لهذا الحكم ، وقد يختلف عنه لما منع. وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ، ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين ، وشفاعة من يأذن الله له فى الشفاعة فيه ، وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة »^(١) ، وقال تعالى:

[سورة الإنسان: ١٢] .

وقال: [سورة الإنسان: ٢١] ،

وتأمل ما دلت عليه لفظة [سورة الإنسان: ٢١] من كون ذلك اللباس ظاهرا بارزا يجمع ظواهرهم ، ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

وقد اختلف القراء السبعة فى نصب [سورة الإنسان: ٢١]

ورفعه على قراءتين ، واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال ، على قولين واختلف المفسرون: هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم ، فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق ، أو للسادات

القرز ، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمرة والصفرة أحكم بناء ، أعجب
من إخراجها من أكمام تشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها ، ولعل
جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من
جريانها في الجنة في غير أخذود.

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكير فيها وجعلها آيات
دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيتته وحكمته وملكه ، وعلى توحيده
بالربوبية والإلهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار
تجد هذه أدل شيء على تلك ، شاهدة لها ، وتجدهما من مشكاة واحدة ورب
واحد وخالق واحد ومالك واحد ، فبعدا لقوم لا يؤمنون.

صلى الله
على محمد
وآله

صلى الله
على محمد
وآله

صحيح

صحيح

فلان حتى عد اثني عشر رجلا ، فدعا رسول الله المرأة فقال: « قصي رؤياك » ،
 فقصتها وجعلت تقول: جىء بفلان وفلان كما قال ، رواه الإمام أحمد فى
 مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم^(١) .



(١) إسناده صحيح رواه أحمد (٣/ ١٣٥ ، ٢٥٧) وغيره .

الباب الخمسون

فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم
وبسطهم ووسائدهم ونمازقهم وزيابيههم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الدخان: ٥١ - ٥٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ أَنْهَارٌ يَخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الكهف: ٣٠، ٣١]

قال جماعة من المفسرين: السندس: ما رق من الديباج ، والإستبرق: ما غلظ منه ، وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ ، ولكن المراد به الصفيق.

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به ، وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهَا مِنْ حَرِيرٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحج: ٢٣]

وهنا مسألة وهذا موضع ذكرها ، وهى أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر أن لباس أهل الجنة حرير ، وصح عن النبى ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» متفق على صحته^(١) ، من حديث عمر بن

(١) البخارى (٥٨٣٢) ، ومسلم (٢٠٧٣).


ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ من لذة الشارب ، فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامه من الباقي ، هذا قول جماعة من المفسرين **﴿وَلْيَأْسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾**

قدروا الكأس على قدر رى أحدهم ، لا فضل فيه ولا عجز عن ريه وهو ألد الشراب. وقال الزجاج: جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه. وقال أبو عبيد: يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها ثم يسقون يعنى: أن الضمير فى قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فطلبت النفس الزيادة ، كما تقدم ، وقالت طائفة: الضمير يعود على الشاربين ، أى قدروا فى أنهم شيئاً فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه ، وقول الجمهور أحسن وأبلغ ، وهو **﴿وَجَزَّيْنَهُمَا بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾** مستلزم لهذا القول ، والله أعلم.

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه ، وقال أبو إسحاق: الكأس: الإناء **﴿إِنَّمَا كَانَ تَحِيُّبُهُمْ فُتُوحَةً لِّلْأُولَىٰ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِمْ﴾** مع شربه ، والمفسرون فسروا الكأس بالخمير ، وهو **﴿لَقَدْ عَظَّمُوا كَلْبِي وَمَقَاتِلَ﴾** حتى قال الضحاك: كل كأس فى القرآن فإنما عنى به الخمر. وهذا نظر منهم إلى المعنى والمقصود ، فإن المقصود ما فى الكأس لا الإناء نفسه ، وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس ، فإن النهر اسم للماء ولحله معا ، ولكل منهما على انفراده ، **﴿وَكَذَلِكَ الْكُأْسُ وَالْقُرْآنُ﴾** ولهذا يحىء لفظ القرية مرادا به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معا.

وقد أخرجنا فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى: أن رسول الله قال: « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى


تنسج نسجا؟ قال: فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله : « تضحكون من جاهل يسأل علما » فسكت النبي ساعة ثم قال: « أين السائل عن ثياب أهل الجنة » ، فقال: ها هو ذا يا رسول الله ، قال: « لا ، بل يشقق عنها ثمر الجنة » ثلاث مرات ^(١).

: « وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلَوَانِي ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَسَوِي قَالَا: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلِيمَانَ حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: « أَوَّلُ زِمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَن وَجُوهُهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالزَّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دَرَى فِي السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حَلَّةً يَرَى مِنْهُنَّ سَوْقَهَا مِنْ وَرَاءِ حُلُمِهَا وَحُلُلِهَا ، كَمَا يَرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزُّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ » ^(٢) ، وَهَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ .
 ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾  حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا الْخَزْرَجِيُّ بْنُ عَثْمَانَ السَّعْدِيُّ

(١) الأول: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٤ ، ٢٢٥) ، والنسائي في الكبرى (٥٨٧٢) وغيرهما

وفي إسناده العلاء بن عبد الله وحنان بن خارجة وكلاهما مجهول
 (٢) الثاني: ويلبسون ثياباً خضراً ﴿

وإرواه الطبراني في الكبير (١٠٣٢١) وفي الأوسط (٩١٩) ، وابن حبان (٣٥٣٧٦) وغيرهم وفي إسناده فضيل بن مرزوق وفيه مقال قال الحافظ صدوق يهم وقد خالفه معمر فرواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود موقوفا . رواه عبد الرزاق (١١/ ٤١٤) والطبراني في الكبير (٨٨٦٤) . وتابع معمر على رواية الوقف عطاء فرواه عنه (ابن علية وجريير وابن فضيل) عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود موقوفا كما عند الترمذي (٢٦٥٤) ، والطبري (٣٣١٢٤ ، ٣٣١٢٦) ، وهناد في الزهد (١٠) ﴿ وَالَّذِي أَتَى لِكَيْهِ ﴾ (١٣/ ١٠٧) مع ، وخالف هذا الجمع عن عطاء بن السائب عبيده بن حميد فرواه عن عطاء عن عمرو عن عبد الله مرفوعا كما عند الترمذي (٢٥٣٣) وغيره ، وقد أعل هذا الطريق الترمذي .

وقال الموقوف أصح ، وله طرق آخر يحملها لا تحمل من مقال .
 ﴿ كَلِمَاتٌ أَحْجَارٌ حُلٌّ مِنْقَعٌ ﴾  وللبعض فقراته شواهد ، فالفقرة الأولى يشهد لها ما رواه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤) .

فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع ، فأفراد صفة الواحد ، وإن كان فى معنى الجمع أولى.

وفى إستبرق قراءتان: الرفع عطفًا على ثياب ، والجر عطفًا على سندس .
وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى ، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً ، فجعل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالأساور ، والأبدان بثياب الحرير .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُتْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٢٣].

واختلفوا فى جر لؤلؤ ونصبه ، فمن نصبه ففيه وجهان:

الأول: أنه عطف على موضع قوله: من أساور.

والثانى: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول ، أى ويحلون لؤلؤاً ومن جره ، فهو عطف على الذهب ، ثم يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا: الذهب المرصع باللؤلؤ ، والله أعلم بما أَرَادَ.

قال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن رزق ، حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنى عتبة بن سعد قاضى الرى عن جعفر بن المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: إن لله - عز وجل - ملكاً منذ يوم خلق الجنة يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة ، لو أن قلباً من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس: فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري ، حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: الحلبي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء ^(١) . حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدأ سواره لطمس ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم» ^(٢) ، وقال ابن وهب: حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن بن أبي هريرة قال: إن أبا أمامة حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلبي أهل الجنة فقال: «مسورون بالذهب والفضة مكملون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، شباب مرد مكحلون» ^(٣) . وقد أخرجنا في الصحيحين - والسياق لمسلم - عن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه فقلت: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ، فقال: يا بني ، فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» ^(٤) .

وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان ، والحديث لا يدل على الإطالة ، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف . وأما قوله: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» ^(٥) ، فهذه

(١) إسناده ضعيف رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٢٥) .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (١٦٩/١ ، ١٧١) ، الترمذي (٢٥٣٨) ، وغيرهما وفي إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف .

(٣) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢٦٧) وفي إسناده ابن لهيعة .

(٤) رواه البخاري (١٣٦) ومسلم (٢٥٠) .

(٥) مسلم (٢٤٦) .

أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر ابن كعب أو غيره قال: ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم ^(١) .

أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه ، فقال رسول الله : « تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » ^(٢) .

ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا ، فإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين ، واهتز لموته العرش ﷺ وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم وختم الله له بالشهادة وأثر رضا الله ورسوله ، على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سموات ونعاه جبريل إلى النبى يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك.

ذكر الشيخ **قال الإمام أحمد** من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب ، أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة عن النبى قال: « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل وأطراف النهار ، ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حججا ، فقال: يا رب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا ، إلا فلانا كان يقوم فى آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول: يا رب ، فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب

(١) رواه نعيم بن حماد فى زياداته على زهد ابن المبارك (٢٥٤)

(٢) البخارى (٣٢٤٩) ، ومسلم (٢٤٦٨).

الذين يطوف عليهم الولدان ، فيطوفون على ساداتهم ، وعلى السادات هذه الثياب؟ وليس الحال ههنا بالبين ولا تحت ذلك المعنى البديع الرائع.

أنه منصوب على الظرف ، فإن عاليا لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه ، قال أبو علي: وهذا الوجه أبين وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفا كما وقال الطبراني في معجمه: كان قوله: [سورة الأنفال: ٤٢]

كذلك وكما قالوا: هو ناحية من الدار ، وأما من رفع عاليهم ، فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ، ولا يمنع من هذا أفراد عال ، وجمع الثياب ؛ لأن فاعلان قد يراد به الكثرة كما قال:

ألا إن جيرانى العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومناوح

[سورة المؤمنون: ٦٧] ،

وقال تعالى: وقال الإمام أحمد:

ومن رفع خضرا أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه:

إسناده المطابقة بينهما فى الجمع.

إسناده ضعيف فتنو البغضله تعالى شواهد صحيحة . [سورة الكهف: ٣١] .

فخلصه من وصف المفرد بالجمع ، ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض.

وترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضا ، وهو: أن العرب تجيء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد ، فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى:

[سورة يس: ٨٠]

[سورة القمر: ٢٠]

وكقوله:

حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها» قال: قلت: يا رسول الله وما النصيف؟ قال: «الخمارة»^(١).

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكى في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة ، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه ، فيرد السلام ، ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا المزيدي ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوبا أدناها مثل النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وأن عليها التيجان ، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب»^(٢) ، وروى الترمذى ذكر التيجان: وأن أدنى لؤلؤة ، عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو به.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس الحنظلى ، حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكامها فيأخذ من أى

(١) صحيح لغيره ، رواه أحمد (٤٨٣/٢) ، وفى إسناده الخرج فيه ضعف ولكن له شواهد كما فى البخارى (٦٥٦٨) (٢٧٩٦) ومسلم (١٨٨٠).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧٥/٣) ، والترمذى (٢٥٦٢) وغيرهما ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة .

ذلك شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» ^(١) .

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفى عن خالد الزميل أنه سمع أباہ قال: قلت لابن عباس: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد ولى الله كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت. قال: وحدثنا عبد الله بن أبى خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنى دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال له: يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال: « طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرى » ، فقال له رجل: وما طوبى؟ قال: « شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » ^(٢) .

قال: وحدثنى يعقوب بن عبيد ، حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبى المهزم قال: قال أبو هريرة: دار المؤمن فى الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه - وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة منمنقة باللؤلؤ والمرجان ^(٣) . قال: وحدثنا حمزة بن العباس ، حدثنا عبد الله ابن عثمان ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم ^(٤) .

(١) إسناده ضعيف : رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١٤٩) وفى إسناده سعيد بن يوسف ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧١ / ٣)

(٣) إسناده ضعيف جدا رواه نعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٢٦٢) ، وفى إسناده أبو المهزم وهو متروك .

(٤) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا صفة الجنة (١٥٢) وشريح لم يدرك كعب الأخبار .

الزواني **عبد الجنة بنى البلاء** بث من كلام أبى هريرة ، لا من كلام النبى ، بين ذلك غير واحد من الحفاظ .

وفى مسند الإمام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم: فلا أدرى قوله من **وفى الصحيحين أيضا** **عن حذيفة بن اليمان** قال: من كلام النبى أو شىء قاله أبو هريرة من عنده وكان شيخنا يقول **عليه السلام** هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام النبى ، فإن الغرة لا تكون فى اليد ، لا تكون إلا فى الوجه ، وإطالته غير ممكنة إذ دخل فى الرأس فلا تسمى تلك غرة.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى قال: « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، وفى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »^(١). وقوله: لا تبلى ثيابه: الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل أن يراد به الجنس ، بل لا يزال عليه الثياب الجدد ، كما أنها لا ينقطع أكلها فى جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر ، والله أعلم.

حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا محمد بن أبى الوضاح حدثنا العلاء بن عبد الله بن رافع ، حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر وقال: جاء أعرابى جرمى فقال: يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة إليك أينما كنت أم لقوم خاصة؟ أم إلى أرض معلومة ، إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله يسيرا ثم قال: أين السائل فقال: ها هو ذا يا رسول الله ، قال: « الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر » فقام آخر فقال: يا رسول الله ، أخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم

أرغب له في أفضل من هذا ، فيعطيه الله الملك يمينه والخلد بشماله ثم يقول له: هل رضيت؟ فيقول: نعم يا رب» ^(١) .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبى بريدة عن أبيه يرفعه: «تعلموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة ، وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف ، والقرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك فيقول القرآن: أنا الذى أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حليتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هدا كان أو ترتيلا» ^(٢) . البطلة: السحرة ، والغاية : ما أظل الإنسان فوقه.

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ ، تلا قوله عز وجل: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ [سورة فاطر: ٣٣]

(١) إسناده ضعيف فى إسناده إسماعيل بن رافع ، وهو ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف وللبعض فقراته شواهد صحيحة أخرجه أحمد (٣٤٨/٥) وابن ماجه (٣٧٨١) مختصرا ، وغيرهما وفى إسناده بشير بن المهاجر وفيه ضعف وله شواهد روى مسلم (٨٠٤) مرفوعا « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » .

فقال: «إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب»^(١). وأما الفرش ، فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [سورة الرحمن: ٥٤]

وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [سورة الواقعة: ٣٤]

فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق ، وهذا يدل على أمرين:

الأول: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ؛ لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة ، قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن هبيرة ابن يريم عن عبد الله في قوله: بطائنها من إستبرق ، قال: هذه البطائن قد خبرتم بها ، فكيف بالظهائر؟!^(٢) .

الثانى: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، وقد روى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة ، فالمراد ارتفاع محلها.

كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله:

﴿وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [سورة الواقعة: ٣٤]

قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»^(٣) ، قال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قيل: ومعناه أن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها ، قلت:

(١) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف رواه الطبرى فى تفسيره (٣٣١٠٦) والحاكم (٤٧٥ / ٢) وغيرهما . وفى إسناده هبيرة بن يريم وفيه ضعف .

(٣) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧٥ / ٣) والترمذى (٢٥٤٠) (٣٢٩٤) ورواية دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد ضعيفة .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا معاذ بن هشام قال: وجدت فى كتاب
أبى عن القاسم عن أبى إمامة فى قوله - عز وجل: ﴿ وَفُرشٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٤]

قال: « لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا »^(١) . وأما البسط
والزرابى فقد قال تعالى: ﴿ مُتَكِينٌ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٦] ، وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [سورة الغاشية: ١٣ - ١٦] .
وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ [سورة الغاشية: ١٣ - ١٦] .

وذكر هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال: الرفرف رياض الجنة
والعبرى عتاق الزرابى^(٢) ، وذكر إسماعيل بن عليه عن أبى رجاء عن
الحسن فى قوله تعالى: ﴿ مُتَكِينٌ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٦]

قال: هى البسط قال: وأهل المدينة يقولون: هى البسط^(٣) ، وأما النمارق
فقال الواحدى: هى الوسائد فى قول الجميع ، واحدها: نمرقة ، بضم النون
وحكى الفراء^(٤) نمرقة بكسرهما ، وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونماقه

قال الكلبى: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض ، وقال مقاتل: هى الوسائد

(١) إسناده حسن رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١٦١) .

(٢) صحيح أخرجه الطبرى (فى تفسيره) (٣٣٢٢١) (٣٣٢٣٧) ، ونعيم فى زيادات الزهد (٢٧٠) وغيرهما .

(٣) إسناده صحيح أخرجه الطبرى فى تفسيره (٣٣٢٢٦) .

(٤) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمى ، توفى سنة (٢٠٧ هـ) ، وفيات الأعيان

مصنوفة على الطنافس ، وزرابى: بمعنى البسط ، والطنافس واحدها زريبة: فى قول جميع أهل اللغة ، والتعبير ، ومبثوثة: مبسوطة منشورة.

وأما الرفرف ، فقال الليث: ضرب من الثياب خضر تبسط ، الواحد: رفرقة وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط ، وأنشد لابن مقبل:

وإنا لثرالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف ههنا رياض الجنة ، وقالوا: الرفرف الوسائد وقالوا: الرفرف المحابس ، وقالوا: فضول المحابس للفرش ، وقال المبرد: هو فضول الثياب التى تتخذ للملوك فى الفرش وغيره ، وقال الواحدى: وكان الأقرب هذا ؛ لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقه التى تحاط فى أسفل الخباء: رفرفا ، ومنه الحديث فى وفاة النبى ﷺ: «رفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة»^(١) ، قال ابن الأعرابى: الرفرف ههنا طرف البساط ، فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفا. قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب ، فمنه الرفرف فى الحائط ، ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرقة ومنه رفرق الطير إذا حرك جناحه حول الشئ يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس ، والواحدة رفرقة ، وكل ما فضل من شئ فثنى وعطف فهو رفرق.

وفى حديث ابن مسعود فى قوله - عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [سورة النجم: ١٨] ، قال: رأى رفرفا أخضر سد الأفق ، وهو فى الصحيحين^(٢). وأما العبرى ، فقال أبو عبيدة: كل شئ من البسط عبرى ،

(١) روى نحوه البخارى (٦٨٠) ، ومسلم (٤١٩).

(٢) البخارى (٣٢٣٣).

قال: ويرون أنها أرض توشى فيها ، وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن ، يقال: كأنهم جن عبقر ، قال أبو عبيدة فى حديث النبى ﷺ ذكر عمر: « فلم أر عبقرىا يفرى فريه »^(١) ، وإنما أصل هذا فيما يقال: إنه نسب إلى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوباً إلى شىء رفيع ، وأنشد لزهير:

نحال عليها جبة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدى: وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى ؛ وذلك أن العرب إذا بالغت فى وصف شىء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جن النداء رواسيا أقدامها

وقال آخر يصف امرأة:

جنية ولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة ، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا إلى كل شىء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل ، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ فى صفته ، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير ، فإنه نسب الجن إلى عبقر ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب ، كقوله فى صفة عمر عبقرىا ، وروى سلمة عن الفراء قال: العبقرى: السيد من الرجال ، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر ، فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى ، لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا ، كما نسب إليها كل ما بولغ فى وصفه.

قال ابن عباس: ﴿وَعَبْقَرِيَّ﴾ [سورة الرحمن: ٧٦] ، يريد البسط والطنافس^(١) .

وقال الكلبى: هي الطنافس الجملة. وقال قتادة: هي عتاق الزرابى^(٢) .
وقال مجاهد: الديباج الغليظ^(٣) ، وعبقري جمع واحده عبقرية ؛ ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله - سبحانه وتعالى - الفرش بأنها مرفوعة ، والزرابى بأنها مبثوثة ، والنمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، ووصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائما ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت ، والله أعلم.



(١) رواه الطبرى فى التفسير (٣٣٢٢٥) بنحوه بإسناد ضعيف .

(٢) رواه الطبرى (٣٣٢٣٩) .

(٣) إسناده حسن رواه الطبرى فى تفسيره (٣٣٢٤٢) .

الباب الحادى والخمسون

فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]، وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجُوفَةٍ طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا ، فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» ^(١)، وفى لفظ لهما: «فِي الْجَنَّةِ خِيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مَجُوفَةٍ عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرُونَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ» ^(٢).

وفى لفظ آخر أيضا: «الْخِيْمَةُ دَرَّةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُونَ مِيلًا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ» ^(٣)، وللبخارى وحده لفظ: «طُولُهَا ثَلَاثُونَ مِيلًا» ^(٤)، وهذه الخيم غير الغرف والقصور ، بل خيام فى البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان قال: ينشأ خلق الحور العين إنشاءً ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام ، وقال بعضهم: لما كن أبكارا وعادة البكر أن تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها ، أنشأ الله - تعالى - الحور وقصرهن فى خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائهن فى الجنة ^(٥).

(١) البخارى (٣٢٤٣) ، مسلم (٢٨٣٨).

(٢) البخارى (٤٨٧٩) ، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) البخارى (٤٨٧٩) بنحوه.

(٤) البخارى (٣٢٤٣).

(٥) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣١٨) وفى إسناده الحسين بن عبد

الرحمن قال أبو حاتم : مجهول .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون^(١).

حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢]

قال: در مجوف^(٢). وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خليلد العصري عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة^(٣). قال ابن المبارك أخبرنا همام عن قتاده عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال «الخيمة ضرة مجوفة فرسخ في فرسخ له أربعة آلاف مصارع من ذهب». وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]

قال: قال في خيام اللؤلؤ، والخيمة لؤلؤة واحدة^(٤).

حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور، حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]

(١) إسناده ضعيف جدا رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣٢٠) وفي إسناده جابر الجعفي ضعيف جدا.

(٢) إسناده صحيح رواه الطبري في تفسيره (٣٣١٩٥، ٣٣١٩٦)

(٣) رواه الطبري (٣٣٢٠٣)، ونعيم في زيادته على زهد ابن المبارك (٢٥٠) وفي بعض الروايات موقوفا على خليل وفي إسناده قتادة مدلس وقد نعنن.

(٤) رواه الطبري (٣٣٢١٣).

قال: الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا ، يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله - عز وجل - وذلك قوله: ﴿وَالْمَلَيْكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢] ، والله أعلم .

وأما السرر ، فقال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [سورة الطور: ٢٠]

وقال تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣] وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ [سورة الواقعة: ١٣ - ١٦]

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [سورة الغاشية: ١٣] ، فأخبر - تعالى - عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدا من بعض ، وأخبر أنها موضونة ، والوضن في اللغة: النضيد والنسيج المضاعف ، يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون ، وقال الليث: الوضن: نسج السرير وأشباهه ، ويقال: درع موضونة مقارنة النسيج ، وقال رجل من العرب لامرأته: ضنى متاع البيت أى قاربى بعضه من بعض .

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضع حلق الدرع ، ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها في بعض ، وأنشدوا للأعمش:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فعيلا

قالوا: موضونة: منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قال هشيم: أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: مرمولة

بالذهب^(١) ، وقال مجاهد: موصولة بالذهب ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس موضونة: مصفوفة. فأخبر - سبحانه - أنها مرفوعة ، قال عطاء عن ابن عباس قال: سرر من ذهب مكلفة بالزبرجد والدر والياقوت ، والسريير مثل ما بين مكة وأيلة^(٢) .

وقال الكلبي: طول السريير في السماء مائة ذراع ، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه ، فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

وأما الأرائك ، فهي جمع أريكة ، قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [سورة الكهف: ٣١] ، قال: لا تكون أريكة حتى يكون السريير في الحجلة ، فإذا كان سريرا بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سريير لم تكن أريكة ، ولا تكون أريكة إلا والسريير في الحجلة ، فإذا اجتمعا كانت أريكة^(٣) .

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال^(٤) ، قال الليث: الأريكة سريير حجلة فالحجلة والسريير أريكة وجمعها أرائك ، وقال أبو إسحاق: الأرائك: الفرش في الحجال . قلت: هاهنا ثلاثة أشياء الأول: السريير ، والثاني: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه ، والثالث: الفراش الذي على السريير ، ولا يسمى السريير أريكة ، حتى يجمع ذلك كله.

(١) إسناده صحيح رواه الطبري في تفسيره (٣٣٢٨١) والبيهقي في البعث (٣٣٧) وهناد في الزهد (٧٧) .

(٢) إسناده ضعيف رواه الطبري في تفسيره (٣٣٢٩٢) والبيهقي في البعث (٣٣٨ ، ٣٤٧) وفي إسناده عبد الله بن صالح فيه ضعف وعلى بن طلحة لم يسمع من ابن عباس .

(٣) إسناده ضعيف ، رواه البيهقي في البعث (٣٣٤) وفي إسناده على بن عاصم ضعيف .

(٤) إسناده صحيح رواه ابن أبي شيبة (١٤١/١٣) .

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير ، فهو حجلة والجمع الأرائك .

وفي الحديث: إن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة^(١) ، وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها ، والله أعلم.

(١) البخاري (١٩٠) ، ومسلم (٢٣٤٥).

الباب الثانى والخمسون فى ذكر خدمهم وغلماهم

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإنسان: ١٩] ، قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون ، قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد ، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد ، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون ، أى فى آذانهم القرطة ، وفى أيديهم الأساور ، وهذا اختيار ابن الأعرابى قال: مخلدون مقرطون بالمخلدة وجمعها خلد وهى القرطة. وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته: إذا حلاها بالمخلد وهى القرطة ، وخلد: إذا أسن ولم يشب ، وكذلك قال سعيد بن جبيرة: مقرطون ، واحتج هؤلاء بحجتين:

الحجة الأولى: أن الخلود عام لكل من دخل الجنة ، فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة.

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين^(١) كأنما أعجازهن رواكد الكشبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء ، قال ابن عباس: غلمان لا يموتون ، وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف- وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل- قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القراطة فمن قال مقرطون أراد

(١) أى متزينات بالفضة.

هذا المعنى ، أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنشور لما فيه من البياض وحسن الخلقة ، وفي كونه منشورا فائدتان:

الأولى: الدلالة على أنهم غير معطلين ؛ بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم.

والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منشورا ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا فى مكان واحد. وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة إنشاء؟ على قولين: فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم ؛ إذ الجنة لا ولادة فيها.

قال الحاكم: ثنا عبد الرحمن بن الحسن ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله: ﴿ وَلَدَانِ مُخْلَدُونَ ﴾ ^(١) [الإنسان: ١٩] قال: لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال: هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدما لأهل الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم ، قال المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى ﷺ قال: « سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم فهم خدم أهل الجنة » ^(٢) يعنى الأطفال.

(١) إسناده ضعيف رواه البيهقى فى البعث (٤١٠) وفى إسناده مبارك بن فضالة صدوق يدللس وقد عنعن.

(٢) إسناده ضعيف

رواه أبو يعلى فى مسنده (٤١٠١ ، ٤١٠٢) وغيره وفى إسناده يزيد الرقاشى: ضعيف ، ورواه أبو يعلى فى مسنده (٣٦٣٦) وغيره ، وفى إسناده عمرو بن مالك الراسبى وهو ضعيف ، ورواه الضياء فى المختارة ، وفى إسناده الوليد بن مسلم وصفوان بن صالح وهم يد لسان تدليس التسوية .

قال الدارقطني: ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن النبي ﷺ انتهى ، ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس. وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه ، وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة: واللاهون من هيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت. وأصحاب القول الأول لا يقولون: أن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها ، وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله في الجنة كما أنشأ الحور العين. قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار »^(١)، رواه الترمذي. والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلمانا كما قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [سورة الطور: ٢٤] ، وهؤلاء غير أولادهم ، فإن من تمام كرامة الله - تعالى - لهم أن يجعل أولادهم مخدمين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم.

وقد تقدم في حديث أنس عن النبي ﷺ: « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا... وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون »^(٢) ، والمكنون: المستور المصون الذي لم تبذله الأيادي ، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ ﴾ [سورة الطور: ٢٤] ، وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفا ، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله - تعالى - في الجنة خدما لأهلها ، والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق .

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن
وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥] ، فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع - سبحانه - في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنان وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

والأزواج: جمع زوج ، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح ، وهو لغة قريش ، وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٥] ، ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر ، لا يكادون يقولونه ، وأما المطهرة ، فإن جرت صفة على الواحد فيجوز صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى: ﴿ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ ﴾ [التوبة: ٧٢] ، ﴿ فَرَى ظَهْرَهُ ﴾ [سورة سبأ: ١٨] ، ونظائره ، والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ ، قال عبد الله بن

المبارك: ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [سورة النساء: ٥٧] ، قال: « من الحيض والغائط والنخامة والبصاق »^(١) ، وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ [سورة النساء: ٥٧] لا يحضن ولا يحدثن ولا تتخمن^(٢) . وقال ابن عباس أيضا: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ [سورة النساء: ٥٧] من القذر والأذى^(٣) .

وقال مجاهد: لا يبلن ولا يتغوطن ، ولا يمذين ، ولا يمنين ، ولا يحضن ، ولا يبصقن ، ولا يتخمن ، ولا يلدن^(٤) . وقال قتادة: مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم^(٥) ، وقال عبد الرحمن بن زيد: المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال: وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله: إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة^(٦) .

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٦٣) وغيره وقال ابن حبان في المجروحين في ترجمة عبد الرزاق بن عمر الزيعي كان يقلب الأخبار ويسند المراسيل ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، وذكر هذا الحديث وقال وهذا قول قتادة رفعه لا أصل له من كلام النبي ﷺ .

(٢) إسناده ضعيف رواه الطبري (٥٣٨) .

(٣) إسناده ضعيف رواه الطبري (٥٣٩) .

(٤) رواه نعيم بن حماد في زوائده على ابن المبارك في الزهد (٢٤٣) وأبو نعيم في صفة الجنة

(٣٦٢) ، وهناد في الزهد (٢٧ ، ٢٩) .

(٥) صحيح رواه الطبري في تفسيره (٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩) . وغيره

(٦) إسناده صحيح رواه الطبري وغيره في تفسيره (٥٥٠) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ نَحُورٍ عَيْنٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَتْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الدخان: ٥١ - ٥٦] ، فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار ، وحسن اللباس ، وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا ، وتمام اللذة بالخور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضررتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا.

والحور: جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.

وقال زيد بن أسلم: الحوراء التى يحار فيها الطرف ، وعين: حسان الأعين
وقال مجاهد: الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين^(١) ، واختلف فى اشتقاق هذه اللفظة ، قال ابن عباس: الحور فى كلام العرب البياض ، وكذلك قال قتادة: الحور البياض ، وقال مقاتل: الحور البياض الوجوه ، وقال مجاهد: الحور العين التى يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون^(٢) ، وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة ، وأصل الحور: البياض.

(١) إسناده صحيح ، روى نحوه البيهقى فى البعث (٣٩٣) .

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٣١١٧٦) .

والتحوير: التبييض ، والصحيح: مأخوذ من الحور ؛ لأن الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وفى الصحاح: الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور ، وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الأطباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين ؛ لأنهن شبهن بالطباء والبقر، وقال الأصمعى: ما أدرى ما الحور فى العين؟. قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة فى اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيرة إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض فى سواد والحور فى العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ، عين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد ، والعين: جمع عينا ، وهى العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عينا . والجمع عين .

والصحيح: أن العين اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة قال مقاتل: العين حسان الأعين ، ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب ، وإنما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها ، وما هنالك ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع: وجهها وصدرها ، وكاهلها وهو ما بين كتفها ، وجبهتها ويستحب البياض منها فى أربعة مواضع لونها وفرفها وثغرها وبياض عينها . ويستحسن السواد منها فى أربعة مواضع: عينها وحاجبها ، وهدبها وشعرها ، ويستحب الطول منها فى أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها ويستحب القصر منها فى أربعة: وهى معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون

قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام ، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج ، وعن بذله ، وتستحب الرقة منها فى أربعة: خصرها ، وفرقها ، وحاجبها ، وأنفها.

وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [سورة الدخان: ٥٤] قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل ، بالنعل جعلناهم اثنين اثنين ، وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج ، قال والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها ، قال ابن نصر: هذا والتزويل يدل على ما قاله يونس ولك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧] ، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها . وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها ، وحكاه الكسائي أيضا . وقال الأزهري: تقول العرب: زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة ، وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [سورة الدخان: ٥٤] ، أى قرناهم ، وقال الفراء: هى لغة فى أزد شنوءة ، قال الواحدى: وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن ؛ لأنه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشئ زوجا ، لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فردا فزوجه بآخر ، كما يقال: شفعت بآخر، وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج. قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معا فلفظ التزويج يدل على النكاح ، كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم ، هذا أبلغ من حذفها والله أعلم ، وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَنَصِرٌ طَرْفٌ لِّمَ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦ - ٥٨] ، وصفهن - سبحانه - بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع:

الأول: هذا. **والثاني:** قوله - تعالى - فى الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ

الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ [سورة الصافات: ٤٨] .

والثالث: قوله تعالى - فى ص: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ أْتْرَابٌ﴾

[سورة ص: ٥٢] ، والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ، وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجههن أن ينظروا إلى غيرهن ، وهذا صحيح من جهة المعنى . وأما من جهة اللفظ: فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل ، لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن ، أى لبس بطامح متعد .

قال آدم: حدثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله: ﴿قَصِيرَاتُ

الطَّرْفِ﴾ [سورة ص: ٥٢] قال: يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا ييغين غير أزواجهن^(١) ، قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات^(٢) ، وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم^(٣) . وفى تفسير سعيد عن قتادة قال: وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم^(٤) ، وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

(١) إسناده صحيح رواه البيهقى فى البعث (٣٨٥) . والطبرى (٣٣١٨١ ، ٣٣١٨٤) من طريق سفيان عن منصور عن مجاهد .

(٢) إسناده ضعيف : رواه البيهقى فى البعث (٣٨٧) وفى إسناده مبارك مدلس وقد عنعن

(٣) إسناده صحيح رواه البيهقى فى البعث (٣٨٨) والطبرى فى تفسيره (٣٣١٨٣) .

(٤) رجاله ثقات : رواه البيهقى فى البعث (٣٩٢) والطبرى فى تفسيره (٢٩٣٦٦) .

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: أقران أسنانهن واحدة ، قال ابن عباس وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد وميلاد واحد وبنات ثلاث وثلاثين سنة . وقال مجاهد: أتراب أمثال ، وقال أبو إسحاق: هن فى غاية الشباب والحسن ، وسمى سن الإنسان وقرنه تربه ؛ لأنه مس تراب الأرض معه فى وقت واحد والمعنى من الأخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يقطن الوطء بخلاف الذكور ، فإن فيهن الولدان وهم الخدم .

وقد اختلف فى مفسر الضمير فى قوله فيهن فقالت طائفة: مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام . وقالت طائفة: مفسره الفرش المذكورة فى قوله القصور والغرف والخيام ، وقالت طائفة : مفسره الفرش المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ ﴾ [الرحمن: ٥٤] . وفى بمعنى على ، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] .

قال أبو عبيدة: لم يمسهن ، يقال: ما طمّث هذا البعير جبل أى ما مسه وقال يونس: تقول العرب: هذا جبل ما طمّته جبل قط أى ما مسه ، وقال الفراء: الطمّث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية ، والطمّث هو الدم وفيه لغتان: طمّث يطمّث ويطمّث ، قال الليث: طمّثت الجارية إذا افترعتها والطمّاث فى لغتهم هى الحائض ، قال أبو الهيثم: يقال للمرأة: طمّثت تطمّث إذا أدमित بالافتضاض ، وطمّثت على فعلت تطمّث إذا حاضت أول ما تحيض فهى طامّث وقال فى قول الفرزدق:

خرجن إلى لم يطمّثن قبلى وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسن ، قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن يجامعن هذه ألفاظهم

وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن فى الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن.

قال الشاذلى: نساء من نساء الدنيا لم يمسن منذ أنشئن خلقا^(١)، وقال مقاتل: لأنهن خلقن فى الجنة ، وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ، وقال الكلبي: لم يجامعن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان. قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا ، وإنما هن من الحور العين ، أما نساء الدنيا فقد طمثن الإنس ونساء الجن قد طمثن الجن والآية تدل على ذلك.

قال أبو إسحاق: وفى الآية دليل على أن الجن يغشى ، كما أن الإنس يغشى ويدل على أنهم الحور اللاتى خلقن فى الجنة ، أنه - سبحانه - جعلهن مما أعده الله فى الجنة لأهلها من الفواكه والثمار ، والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضا الآية التى بعدها وهى قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَاةِ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢] ، ثم قال: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦].

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور ؛ لأنهن خلقن للبقاء ، وفى الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور ، أن مؤمن الجن فى الجنة كما أن كافرهم فى النار ، وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم ، نص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب: وقد سئل: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم وقرأ هذه الآية ، ثم قال: الإنسيات للإنس والجنيات للجن^(٢) ، وقال مجاهد: فى هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم

(١) إسناده صحيح ، أخرجه البيهقى فى البعث (٢٧٨) .

(٢) إسناده صحيح إلى ضمرة بن حبيب ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٣١٢٢) .

انطوى الجان على إحليله فجامع معه^(١) والضمير فى قوله: ﴿قَبْلَهُمْ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] . للمعنيين بقوله: متكئين ، وهم أزواج هؤلاء النسوة . وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٥٨] ، قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان شبههن فى صفاء اللون وبياضه وبالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله: أن المرأة من النساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير ، فىرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] ، إلا وأن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢] المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن فى الخيام ، وكذلك قال مقاتل ، وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم ، وهم فى الخيام ، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء . قلت: وهذا معنى: ﴿قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ [سورة ص: ٥٢] ، لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقوله: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٢] على هذا القول: صفة لحر ، أى هن فى الخيام وليس معمولا للمقصورات . وكأن أرباب هذا القول ، فسروا بأن يكن محبوسات فى الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين .

أصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله - سبحانه - وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات ، وذلك أجمل فى الوصف ، ولا يلزم من ذلك أنهن لا

(١) إسناده ضعيف جدا رواه الطبرى فى تفسيره (٣٣١٢١) وفى إسناده سهل بن عامر :

يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين ، كما أن النساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها ، وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ ، وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات ، والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال ، فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج ، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال.

وقال تعالى: ﴿فَمِنْ خَيْرَاتٍ حَسَنًا﴾ [سورة الرحمن: ٧٠] ، فالخيرات جمع خيرة ، وهى مخففة من خيره كسيدة ولينة ، وحسان: جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم وحسان الوجوه.

قال وكيع: حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: لكل مسلم خيرة ، ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك ، لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أُنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [سورة النازعات: ٢٠] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [سورة النازعات: ٢١] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [سورة النازعات: ٢٢]

لَا صَحْبَ الْيَمِينِ [سورة الواقعة: ٣٥ - ٣٨] ، أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هن محلهن ، وقيل الفرش فى قوله: ﴿وَفُرْشَ مَرْفُوعَةٍ﴾ [سورة الواقعة: ٣٤] ، كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا ، إلا أن يقال: المراد رفعة القدر. وقد تقدم تفسير النبى ﷺ للفرش وارتفاعها ، فالصواب أنها الفرش نفسها

ودلت على النساء ؛ لأنها ملهمن غالبا ، قال قتادة وسعيد بن جبیر : خلقناهن خلقا جديدا ، وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات ، وقال الكلبي ومقاتل : يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط ، يقول تعالى : خلقناهن بعد الكبر والهرم وبعد الخلق الأول فى الدنيا ، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع : « هن عجائزكم العمش الرمص » ^(١) ، رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه ، ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها عجوز فقال : « من هذه ؟ » فقالت : إحدى خالاتى ، قال : « أما أنه لا يدخل الجنة العجوز » ، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبى ﷺ : « ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ [سورة الواقعة : ٣٥] ، خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، وأول من يكسى إبراهيم خليل الله ، ثم قرأ النبى ﷺ : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ [سورة الواقعة : ٣٥] » ^(٢) .

قال آدم بن أبى إياس : حدثنا شيان عن الزهرى عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ [سورة الواقعة : ٣٥] ، قال : « يعنى الثيب والأبكار اللاتى كن فى الدنيا » ^(٣) .

-
- (١) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٣٢٩٦) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٩٠) ، والبيهقى فى البعث (٣٨٠) وغيرهم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشى يضعفان فى الحديث .
- (٢) إسناده ضعيف ، رواه البيهقى فى البعث (٣٧٩) وغيره وفى إسناده ليث بن أبى سليم ضعيف وهناك خلاف فى سماع مجاهد من عائشة .
- (٣) إسناده ضعيف جدا رواه الطبرى (٣٣٩٣) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٨٩) ، والبيهقى فى البعث (٣٨١) وغيرهم وفى إسناده جابر الجعفى ضعيف جدا .

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة العجز » ، فبكت عجوز ، فقال رسول الله ﷺ : « أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز ، إنها يومئذ شابة ، إن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۖ ﴾ » [سورة الواقعة: ٣٥] ^(١) .

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة: أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله ﷺ : « إن الجنة لا يدخلها عجوز » فذهب نبي الله ﷺ ، فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة ، وشدة فقال ﷺ : « إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا » ^(٢) . وذكر مقاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التي ذكرهن قيل: أنشأهن الله - عز وجل - لأوليائهن لم يقع عليهن ولادة . والظاهر أن المراد أنشأهن الله - تعالى - في الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه:

الأول: أنه قد قال في حق السابقين: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٧] فذكر سررهم وأنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفراشهم ونساءهم والظاهر: أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة.

(١) إسناده ضعيف أخرجه البيهقي في البعث (٣٨٢) وغيره وفي إسناده مبارك بن فضالة يدللس ويسوى والحسن عن رسول الله مرسل .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٩١١) وغيره وفي إسناده مسعدة بن اليسع متروك .

الثانى: أنه سبحانه قال: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٥] ، وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان ؛ لأنه - سبحانه - حيث يريد الإنشاء الثانى يقيده بذلك ، كقوله: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى ۝ ﴾ [سورة النجم: ٤٧] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ٦٢] .

الثالث: إن الخطاب بقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ٧] ،

إلى آخره للذكور والإناث ، والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين. وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٥] ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف ، بل يدل على مشاركتهن للحوار العين فى هذه الصفات المذكورة ، فلا يتوهم انفراد الحوار العين عنهن بما ذكر من الصفات ، بل هى أحق به منهن ، فالإنشاء واقع على الصنفين ، والله أعلم. وقوله: ﴿ عُرُبًا ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ٣٧] جمع عروب وهن المتحبيات إلى أزواجهن ، قال ابن الأعرابى: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحبة اليه ، وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل. قلت: يريد حسن مواقعها وملاطفتها لزوجها عند الجماع ، وقال المبرد: هى العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفى الحدوج عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونهما البصر

وذكر المفسرون فى تفسير(العرب): إنهن العواشق المتحبيات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم . وقال البخارى فى صحيحه: عربا مثقلة واحدا عروب ، مثل صبور وصبر وتسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق الشكلة

« والعرب » والمتحبيات إلى أزواجهن هكذا ذكره فى كتاب « بدء الخلق » وقال فى كتاب التفسير فى سورة الواقعة: عربا مثقلة ، واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العرب ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفى قوله: ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] ، إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها ، وكذلك هى أيضا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [سورة النبا: ٣١ - ٣٣] ، فالكواعب: جمع كاعب وهو الناهد . قال قتادة ومجاهد والمفسرون: قال الكلبي: هن الفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت ، وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن الرسول الله ﷺ قال: « لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »^(١) ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ، و لكل امرئ منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »^(٢).

(١) البخارى (٢٧٩٦).

(٢) البخارى (٣٢٤٦) ، ومسلم (٢٨٣٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ: « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، لكل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب »^(١).

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٢]

قال: « حور بيض عين ضخام العيون شقر ، الحوراء بمنزلة جناح النسر » ، قلت: أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٣] ، قال: « صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداق الذى لم تمسه الأيدى » قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [سورة الرحمن: ٧٠]

قال: « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » ، قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [سورة الصافات: ٤٩] ، قال: « رقتهن كرقعة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقىء » قلت: يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [سورة الواقعة: ٣٧]^(٢)

(١) إسناده صحيح وقد سبق .

(٢) منكر رواه الطبرانى فى الكبير (٣٦٧/٢٣) والعقلى فى الضعفاء (١٣٨/٢) وابن عدى فى الكامل (٢٦٢/٣) وقال هذا حديث منكر وفى إسناده سليمان بن أبى كريمة منكر الحديث وأم الحسن مجهولة .

قال: « هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عربا متعشقات متحبيات أترابا على ميلاد واحد » قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله - تعالى - ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب ، يقلن نحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، وطوبى لمن كنا له وكان لنا » ، قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاث أو أربع ثم تموت فتدخل الجنة ، ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: « يا أم سلمة إنما تخير فتختار أحسنهم خلقا ، فتقول : أى رب ، إن هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »^(١) تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدى: عامة أحاديثه مناكير و لم أر للمتقدمين فيه كلاما ، ثم ساق هذا الحديث من طريقه . وقال: لا يعرف إلا بهذا السند.

وقال أبو يعلى الموصلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه ، فذكر حديث الصور وفيه: « فأقول يا رب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة ،

فيقول الله: قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة » وكان رسول الله ﷺ يقول: « والذي بعثني بالحق ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادهما الله - عز وجل - في الدنيا ، يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبية الياقوت ، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تملها ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكى قلبها ، فبينما هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا منى ولا منية ، إلا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلى منك »^(١).

هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع ، وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة . وقال الدارقطنى وغيره: متروك الحديث وقال ابن عدى: عامة أحاديثه فيها نظر ، وقال الترمذى: ضعفه بعض أهل العلم . وسمعت محمدا ، يعنى البخارى يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة ، وشرحه الوليد بن مسلم فى كتاب مفرد وما تضمنه معروف فى الأحاديث ، والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف وقد سبق.

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو أن دراجا حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال: « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء »^(١) ، رواه الترمذى ولكن دراج أبو السمع بالطريق . قال أحمد: أحاديثه مناكير ، وقال النسائى: منكر الحديث ، وقال أبو حاتم: ضعيف وقال النسائى أيضا: ليس بالقوى ، وساق له ابن عدى أحاديث وقال: عامتها لا يتابع عليها ، وقال الدارقطنى: ضعيف ، وقال مرة: متروك ، وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه . وقال عثمان بن سعيد الدارمى عن على بن مدنى: هو ثقة.

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ كَانَهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [سورة الرحمن: ٥٨] ، قال: « ينظر إلى وجهه فى جديها أصفى من المرأة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، وأنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك »^(٢) ، وقال الفريابى: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال: « ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج اثنتين وسبعون زوجة ثنتان من الخور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا

(١) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٧٦/٣) والترمذى (٢٥٦٢) وغيرهما وسلسلة دراج عن أبى

الهيثم عن أبى سعيد ضعيفة .

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق .

ولها قبل شهى وله ذكر لا يثنى»^(١). قلت: خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين ، وقال أحمد: ليس بشيء ، وقال النسائي: غير ثقة ، وقال الدارقطني: ضعيف ، وذكر ابن عدى له هذا الحديث مما أنكره عليه.

وقال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن حمويه^(٢) حدثنا أحمد ابن حفص حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة » قلنا: يا رسول الله أو له قوة على ذلك؟ قال: « إنه يعطى قوة مائة رجل »^(٣).

قلت: أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير والحجاج هو ابن أوطاة وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأبنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجرى ببغداد ، حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان قالوا: حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء »^(٤) ، قال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي ، قال

(١) ابن ماجه (٤٣٣٧) ، وضعفه الشيخ الألباني.

(٢) إسناده ضعيف رواه ابن ماجه (٤٣٣٧) ، والبيهقي في البعث (٤٠٦) وغيرهما وفي إسناده خالد بن يزيد ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٢) في المطبوع بدل محمد بن حمويه محمد ابن عباد وفي إسناده إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني ليس فيه جرح ولا تعديل .

(٤) إسناده معمل رواه الطبراني في الصغير (١٢/٢ ، ١٣) والأوسط (٥٢٦٣) وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٣) وغيرهم وهذا الإسناد وإن كان صحيحا فقد أعله أبو حاتم والدارقطني في العلل (١٠ / ٣٠٩) قال ابن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه حسين الجعفي عن زائدة عن هشام عن محمد عن أبي هريرة الحديث قال: هذا خطأ إنما هو هشام ابن حسان بن زيد العمي عن ابن عباس قلت لأبي الوهم ممن هو؟ قال: من حسين .

محمد بن عبد الواحد المقدسى: ورجال هذا الحديث عندى على شرط الصحيح.

وقال أبو الشيخ: حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازى ، حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن يزيد بن أبى الحوارى وهو زيد العمى عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله أنفضى إلى نساءنا فى الجنة ، كما نفضى إليهن فى الدنيا؟ قال: « والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة فى مائة عذراء »^(١) ، وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح ، وقال مرة: لا شىء ، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه ، وكذلك قال أبو حاتم ، وقال الدارقطنى: صالح ، وضعفه النسائى قال السعدى: متماسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه.

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس فى الصحيح زيادة على ذلك ، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فيما أن يراد بها ما لكل واحد من السرارى زيادة على الزوجتين ، ويكونون فى ذلك على حسب منازلهم فى القلة والكثرة كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له: كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال: « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » قيل: يا رسول الله أو

(١) إسناده ضعيف رواه هناد فى الزهد (٨٨) ، والبيهقى فى البعث (٤٠٤) وأبو نعيم فى

صفة الجنة (٣٧٤) . وفى إسناده زيد العمى وهو ضعيف ، وأطلق هنا زيد بن أبى الحوارى

يطبق ذلك؟ قال: « يعطى قوة مائة » هذا حديث صحيح^(١)، فلعل من رواه يفضى إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم فى عدد النساء تفاوتهم فى الدرجات ، والله أعلم.

ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين ، لما فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن للعبد المؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة ، طولها ستون ميلا، للعبد المؤمن ، فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا »^(٢).



(١) رواه الترمذى (٢٥٣٦) ، وفى إسناده ضعف ولكن يشهد له حديث زيد بن أرقم (والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة) ورجاله ثقات وقد صححه الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٠٥٩) .

(٢) البخارى (٣٢٤٣) ، ومسلم (٢٨٣٨).

الباب الرابع والخمسون

فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التى خلق منها الحور العين ، فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة ، حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: « الحور العين خلقن من الزعفران » ^(١) قال البيهقى: وهذا منكر بهذا الإسناد ، لا يصح عن ابن علية. قلت: ولكنه حديث فيه شعبة.

وقال الطبرانى: حدثنا أحمد بن رشدين ، حدثنا على بن الحسن بن هارون الأنصارى ، حدثنى الليث ابن ابنة الليث عن أبى سليم قال: حدثنى عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: « خلق الحور العين من الزعفران » ^(٢) قال الطبرانى: لا يروى إلا بهذا الإسناد ، تفرد به على بن الحسن بن هارون. قلت: وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت: سمعت زوجى ليث بن سليم يحدث عن مجاهد ، فذكره مرفوعا إليه وهو أشبه بالصواب ، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زيادة عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله ، ولا يصح رفع الحديث ، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس.

(١) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٨٤) والبيهقى فى البعث (٣٩١) وفى إسناده الحارث بن خليفة وهو مجهول .

(٢) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٨٥) والطبرانى فى الأوسط (٢٨٩) والبيهقى (٣٨٩) فى البعث قلت: ومدار هذه الطرق على ليث بن أبى سليم وهو ضعيف (٣٨٩) وإن كان اختلف عليه وله شواهد لا تصح .

وقال أبو سلمة عبد الرحمن: إن لولى الله فى الجنة عروسا لم يلدھا آدم ولا حواء ، ولكن خلقت من زعفران ^(١) . وهذا مروى عن صاحبيّن و هما ابن عباس وأنس ، وعن تابعين و هما أبو سلمة ومجاهد ، ويكل حال فهى من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات ، والله أعلم .

وقد رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن زحر عن على بن زيد عن الهيثم عن أمانة عن النبى ﷺ ، وهذا الإسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم ، حدثنا على بن محمد الطوسى ، حدثنا على بن سعيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل الحسانى ، حدثنا منصور بن المهاجر ، حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفعه: « لو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها ، وخلق الخور العين من الزعفران » ^(٢) ، وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التى هى أحسن الصور وأجلها ، مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور ، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذى هناك ، فالله المستعان .

وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع ، حدثنا حلبس ابن محمد الكلابى حدثنا سفيان الثورى ، حدثنا مغيرة ، حدثنا إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « يسطع نور فى الجنة فرفعوا رؤوسهم ، فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها » ^(٣) .

(١) إسناده ضعيف جدا ، رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٠٣) وفى إسناده منصور بن

عمار الواعظ ، وعبد الله بن عمر العمرى وكلاهما ضعيف .

(٢) ضعيف ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٨١) وفى إسناده منصور بن المهاجر وهو مستور .

(٣) ضعيف جدا ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٨١) وغيره وفى إسناده : حلبس بن محمد

الكلابى متروك الحديث وذكر الذهبى حديثه فى الميزان وقال: باطل .

وروى نعمة بن الوليد ، حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: إن من المزيّد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا^(١) ، قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزيّنات ، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن سعيد عن خدّاش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحتة حور ناشئات فيقول أهل الجنة أنطلقوا بنا إلى البيدخ ، فيتصفّحون تلك الجوارى ، فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتبعه^(٢).

وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: « يا جبريل قف بي على الحور العين ، فأوقفه عليهن ، فقال: من أنت؟ فقلنا: نحن جوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا ، شبوا فلم يهرموا ونقوا فلم يدرونا »^(٣).

وقال ابن المبارك: أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زحر . عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال: كنا جلوسا مع كعب يوما فقال: لو أن يدا من الحور دليت من السماء ، لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، ثم قال: إنما قلت: يدها ، فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!^(٤)

(١) إسناده ضعيف ، رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٢) وفي إسناده بقية وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث إلى نهاية السند.

(٢) رجالة ثقات وقد سبق .

(٣) إسناده مرسل رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣٠١) والوليد بن عبدة لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) إسناده ضعيف رواه نعيم في زيادته على زهد ابن المبارك (٢٥٦) وفي إسناده عبيد الله بن زحر : ضعيف .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا »^(١) . وفى مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: « إن الحور العين لأكثر عددا منك ، يدعون لأزواجهن يقلن: اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين »^(٢) ، ذكره ابن أبي الدنيا عن حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه ، وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة ، كل حور الجنات يعجب بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة ، لو يعلم الطالبون لك لجدوا ، بين عينيها مكتوب: من كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربي^(٣) .

وقال عطاء السلمي مالك بن دينار: يا أبا يحيى شوقنا قال: يا عطاء ، إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها ، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة ألا يموتوا لما توا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك^(٤) .

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيمًا فقال: أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا ، فقال: فاشتق إليهن ، فإن نور

(١) إسناده حسن رواه أحمد (٢٤٢/٥) ، والترمذي (١١٧٤) ، وابن ماجه (٢٠١٤) من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير عن معاذ مرفوعا وإسماعيل روايته عن الشاميين مستقيمة وبحير شامي .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣١١) وفى إسناده الواقدي وهو كذاب .

(٣) إسناده ضعيف رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣١٢) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ٣١٣ فى إسناده إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال ابن عدي : يروى عن الثقات مناكير يمكن أن تكون من الراوى عنه .

وجههن من نور الله - عز وجل - فغشى عليه ، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهرا^(١).

وقال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: يا معشر الشباب ، أما تشاقون إلى الحور العين؟^(٢) وقال لى ابن أبى الحوارى: حدثنى الحضرمى قال: نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح ، فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لى حوراء حتى كأنى أحسست بجلدها وقد مس جلدى ، فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان مشتاقا^(٣).

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: ينشأ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام^(٤).

وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن يزيد الرقاشى قال: بلغنى أن نورا سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه ، فقيل: ما هذا؟ قال: حوراء ضحكت فى وجه زوجها ، قال صالح: فشهو رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهو حتى مات^(٥).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس يقول: لو أن

(١) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا (٣١٦) وفى إسناده الحسين بن عبد الرحمن : مجهول

(٢) إسناده حسن رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣١٥) .

(٣) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣١٦) .

(٤) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣١٨) .

(٥) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٦٢) وفى إسناده صالح المرى ويزيد

الرقاشى وكلاهما ضعيف .

حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها ، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسننها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها ، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسننها ما بين السماء والأرض^(١).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى الحسين بن يحيى وكثير العنبرى ، وحدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثورى قال: سطع نور فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور ، فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها^(٢).

ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث عبيد الله بن محمد الكرخى قال: حدثنى عيسى بن يوسف الطباع ، حدثنى حليس بن محمد ، حدثنا سفيان الثورى عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبى ﷺ قال: « سطع نور فى الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها »^(٣).

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة إلا وردت.

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طال ما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت وتقول: أنت حبى وأنا حبك ليس دونك تقصير ، ولا وراءك معدل^(٤).

(١) إسناده ضعيف جدا فى إسناده سعيد بن زربى منكر الحديث

(٢) إسناده ضعيف

(٣) إسناده ضعيف جدا وقد سبق تخريجه .

(٤) إسناده صحيح رواه نعيم فى زيادته على زهد ابن المبارك (٤٣٥)

الباب الخامس الخمسون

فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطنهم ، والتذاذهم بذلك أكمل لذة ،
ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف ، وأنه لا يوجب غسلا

قد تقدم حديث أبى هريرة: قيل يا رسول الله: أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟ فقال: « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء »^(١) وإن إسناده صحيح .
وتقدم حديث أبى موسى المتفق على صحته « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم »^(٢) .

وحديث أنس: « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا و كذا من النساء »^(٣) ،
وصححه الترمذى ، وروى الطبرانى وعبد الله بن أحمد و غيرهما من حديث
لقيط بن عامر أنه قال: يا رسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال: « على أنهار
من غسل مصفى ، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله
وأزواج مطهرة » . قلت: يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلاحات؟ قال:
« الصالحات للصالحين ، تلذذوا بهن لذاتكم فى الدنيا وتلذذكم ، غير أن لا
توالد »^(٤) .

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى حنيفة عن أبى
هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا رسول الله أنطأ فى الجنة؟ قال: « نعم
والذى نفسى بيده دحما ، دحما ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا »^(٥) .

(١) إسناده معل وقد سبق .

(٢) صحيح وقد سبق .

(٣) رواه الترمذى (٢٥٣٦) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٠٥٩) وقد سبق .

(٤) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٤) .

(٥) إسناده ضعيف رواه ابن حبان (٧٤٠٢ ، ٧٤٠٣) زواية دراج عن أبى الهيثم فيها ضعف .

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقى الواسطى ، حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطى ، حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا »^(١).

قال الطبراني: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به يعلى.

قال الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا ابن عبد الرحيم البرقى ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبى يحيى أنه سمع أبا أمانة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ وسئل: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: « بذكر لا يمل ، وشهوة لا تنقطع دحما دحا »^(٢).

قال الطبراني: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمانة أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: « دحما دحا ، ولكن لا منى ولا منية »^(٣) ، وهاشم وخالد وإن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما ، وقوله: « لا منى ولا منية » أى لا إنزال ولا موت .

(١) إسناده ضعيف جدا رواه الطبراني فى الصغير (١/ ١٩١) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٥) ٣٩٢) وفى إسناده معلى بن عبد الرحمن الواسطى متروك وشريك سيع الحفظ .

(٢) إسناده ضعيف رواه الطبراني فى الكبير (٢١/ ٧١) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٨) وفى إسناده هاشم بن زيد ضعيف وتابع هاشم بقية كما فى صفة الجنة لأبى نعيم (٣٦٨) وبقية مدلس وفى السند إليه سليمان بن سلمة الخبائرى وهو ضعيف جدا .

(٣) وإسناده ضعيف جدا رواه الطبراني فى الكبير (٧٤٧٩) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٧) والبيهقى فى البعث (٤٠٧) وفى إسناده خالد بن يزيد بن أبى مالك قال الحافظ: ضعيف وقد اتهمه ابن معين .

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو على محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد ، حدثنا عمار بن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال: « نعم ، والذي بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع »^(١).

وقال الحسن بن سفيان فى مسنده: حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: هل ينكح أهل الجنة ؟ قال: « أى والذي بعثني بالحق دحما دحما » وأشار بيده ، « ولكن لا منى ولا منية »^(٢).

وقال سياب بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [سورة يس: ٥٥]

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد ، قالوا: حدثنا يعقوب بن عبد الله ، حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شفيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود فى قوله: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [سورة يس: ٥٥] ، قال: شغلهم افتضااض العذارى^(٣) ، وقال الحاكم: أنبأنا الأصم ، أنبأنا العباس بن الوليد أخبرنى شعيب عن الأوزاعى ، فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [سورة يس: ٥٥]

(١) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٦) وغيره وفى إسناده عبد الرحمن بن أنعم الأفریقی وهو ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٦٩) وفى إسناده على بن يزيد الألهاني ضعيف .

(٣) إسناده حسن رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٣٧٥) والطبرى فى تفسيره (٢٩١٨٧) وفى إسناده يعقوب القمى قال الحافظ لا بأس به .

قال: شغلهم اقتضاؤا الأبقار^(١) ، قال مقاتل: شغلوا باقتضاؤا الأبقار عن أهل النار قال أبو الأحوص شغلوا باقتضاؤا الأبقار على السرير في الحجال السرر في الحجال ، وقال سليمان التيمي: عن أبي مجلز ، قلت لابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴾ [سورة يس: ٥٥] ، ما شغلهم؟ قال: اقتضاؤا الأبقار^(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا فضيل بن عبد الواحد ، حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴾ [سورة يس: ٥٥]

قال: في اقتضاؤا العذارى^(٣) ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبیر: إن شهوته لتجرى في جسده سبعين عاما يجد اللذة^(٤) ، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة ؛ بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه . وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ : « إنما لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » [سورة يس: ٥٥]

(١) إسناده حسن : رواه البيهقي في البعث (٤٠٠)

(٢) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٦) وفي إسناده سهل بن زياد قال الأزدي: منكر الحديث .

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه الطبري (٢٩١٨٨) .

(٤) إسناده ضعيف : رواه ابن أبي شيبة (١٠٤/١٣) وغيره وفي إسناده يحيى بن يمان وهو ضعيف .

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك ، كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته فى الدنيا ، واستمتع بها ، ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف ، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله: أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: ما هذا؟ قال لحم اشتريته لأهلى بدرهم فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه ، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٠] ^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا جرير بن حازم ، قال: حدثنا الحسن قال: قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر ، فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقناها القلائد اليابسة ، قد دقت ثم أغلى بها ، وربما وافقناها اللحم المغريض وهو قليل ، فقال ذات يوم: إني والله قد أرى تعذيركم وكراهيتكم لطعامى إني والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعاما ، وأرقكم عيشا ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « غير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٠] ^(٢).

فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاه يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاه هنا حرمها هناك أو نقص كماها ، فلا يجعل الله لذة من أوضاع فى معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدا ، ، والله أعلم.

(١) البخارى (٥٨٣١).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٥٧٩) وغيره و الحسن لم يسمع من عمر ، وأخرجه ابن أبى شيبة (٢٧٣/١٣) من طريق ابن أبى ليلى عن عمر ، وابن أبى ليلى سئى الحفظ ولها أسانيد أخر لا تخلو من مقال.

الباب السادس والخمسون

فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا!

قال الترمذى فى جامعه: حدثنا بندار ، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثنى أبى عن عامر الأحول عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « والمؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعهُ وسنه فى ساعة كما يشتهى »^(١) قال: هذا حديث حسن غريب ، وقد اختلف أهل العلم فى هذا .

فقال بعضهم: فى الجنة جماع ولا يكون ولد ، هكذا روى عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعى ، وقال محمد - يعنى البخارى - قال إسحاق بن إبراهيم فى حديث النبى ﷺ: « إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى » ولكن لا يشتهى ، قال محمد: روى عن أبى رزین العقيلى عن النبى ﷺ قال: « إن الجنة لا يكون لهم فيها ولد » ، وأبو الصديق الناجى اسمه بكر بن عمرو ويقال: بكر بن قيس انتهى كلام الترمذى .

قلت: إسناده حديث أبى سعيد على شرط الصحيح ، فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جدا ، وتأويل إسحاق فيه نظر ، فإنه قال: إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال: لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله فى ساعة ، فإن ما لا يكون أحق بأداة لو كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا .

(١) ضعيف ، رواه أحمد (٩/٣ ، ٨٠) والترمذى (٢٢٥٦٣) وابن ماجه (٤٣٣٨) وغيرهم وفى إسناده عامر الأحول ، قال أحمد والنسائى : ليس بالقوى وثقة أبو حاتم ومسلم وابن معين ، قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب قال الترمذى سألت محمدا عن هذا الحديث فقال : هذا حديث هشام الدستوائى لم يعرفه إلا من هذا الوجه . قال محمد : وفى حديث أبى رزین عن النبى قصة أهل الجنة قال: ولكن لا يتو الدون .

وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قيل: يا رسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور ؟ فقال: « والذى نفسى بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم ، فيكون حملة ورضاعه وشبابه »^(١).

حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن أحمد الرازى بمكة ، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس ، حدثنا سليمان بن داود القزاز ، حدثنا يحيى بن حفص الأسدى . قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى ، فيكون حملة وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة »^(٢).

وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الأحول ، وقال عمرو بن على عاصم الأحول وقال الحاكم: أنبأنا الأصم ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى يرفعه: « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حملة وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة »^(٣) ، قال البيهقى: وهذا

(١) إسناده ضعيف جدا رواه عبد بن حميد (٩٣٧) ، وهناد فى الزهد (٩٣) ، وأبو نعيم فى

صفة الجنة (٢٧٥) وفى إسناده أبان : متروك .

(٢) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٧٥) ، والبيهقى فى البعث (٤٤٢) وفى

إسناده يحيى بن حفص وهو مجهول .

(٣) إسناده ضعيف جدا : رواه البيهقى فى البعث (٤٤٠) وفى إسناده سلام الطويل وهو

متروك وزيد العمى : ضعيف .

إسناد ضعيف بمرة ، وأما حديث أبي رزين الذى أشار إليه البخارى فهو حديثه الطويل ، ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد ابن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عنى : حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامى ، حدثنى عبد الرحمن بن عابس المسمى الأنصارى من بنى عمرو بن عوف عن دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقبلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر ، قال دهم : وحدثني أبو الأسود عن عاصم ابن لقيط أن لقيطا خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له : نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فقال : « ألا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم ألا فهل من امرئ بعثه قومه » فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول ألا هل بلغت ، ألا اسمعوا تعيشوا ، ألا اجلسوا ألا اجلسوا ، قال : فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره ، قلت : يا رسول الله . ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى أبتغى سقطه فقال : ضمن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، وأشار بيده قلت : وما هى ؟ قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما فى غد ما أنت طاعم غدا ولا تعلمونه وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين ، فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب . قال

لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا ، وعلم يوم الساعة ، قلت: يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس ، وما تعلم فإننا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مدحج التي تربوا علينا ، وخشم التي توالينا ، وعشيرتنا التي نحن منها ، قال: « تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة . لعمر إلهك لا تدع على ظهرها شيئا إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك - عز وجل - فأصبح ربك يطوف في الأرضين وخلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه ، فيستوى جالسا فيقول: ربك مهيم ، لما كان فيه يقول: يا رب أمتي اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه حديثا بأهله لما كان فيه ، يقول: يا رب أمتي اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه حديثا بأهله » ، فقلت: يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ فقال: « أنبك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية . فقلت: لا تحيا أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة » ولعمر إلهك هو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتظرون إليه وينظر إليكم » قال: قلت: يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ، قال: « أنبك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ، ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك هو أقدر على أن يراكم وترونها منهما » قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال: « تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بقلبك بها ، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الربطة البيضاء ، وأما الكافر فتخطم

وجهه بمثل الحمم الأسود ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله ﷺ وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس فيقول ربك: أو إنه ، فيطلعون على حوض الرسول ﷺ ، على أظماء والله ناهله قط رأيتها ، فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا ، قال: قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟ قال: « بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض ، ثم واجهته الجبال » قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزي من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال: « الحسنات بعشر أمثالها والسيئات بمثلها إلا أن يعفو » قال: قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار ؟ قال: « لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما » ، قال: قلت: يا رسول الله ، فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال: « على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداد ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة » قلت: يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات؟ قال: « الصالحات للصالحين ، تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذن بكم غير أن لا توالد » ، قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتھون إليه ، فلم يجبه النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علاما أبايعك؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال: « على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره » قال: قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطينه. قال: قلت: نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه فبسط يده وقال: « ذلك لك نحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا

نفسك». قال: فانصرفنا وقال: «ها إن ذين ، ها إن ذين لعمر إهلك إن حدثت إلا أهما من أتقى الناس في الأولى والآخرة»، فقال له كعب بن الجدارية أخو بنى بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: «بنو المنتفق أهل ذلك» قال: فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله ، هل لأحد مما مضى من خبر فى جاهليتهم؟ قال: قال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفى النار ، قال: فكأنه قد وقع جزء من جلدى ووجهى ولحمى مما قال لأبى على رؤوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: «وأهللى لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك» فقال: أرسلنى إليك محمد ﷺ فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار. قال: قلت: يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وكانوا يحسبونهم مصلحين؟ قال: «ذلك بأن الله - عز وجل - بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»^(١).

هذا حديث كبير مشهور لا يعرف إلا من حديث أبى القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيرى المدنى عنه ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما فى الحديث احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه رواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله ابن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى العاصم و أبو القاسم الطبرانى ، وأبو الشيخ الحافظ ، وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهانى وغيرهم على سبيل القبول والتسليم.

(١) إسناده ضعيف وقد سبق .

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما ، وقرؤوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في إسناده ، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول . وقال أبو الخير بن حمدان: هذا حديث كبير ثابت مشهور.

وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي عنه قال عليه جلالة النبوة ، وقال نفاة الإيلاد: فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة ، وقوله: إذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق لا المعلق به ، وإذا وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم عن المحقق وغيره ، قالوا: وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه:

الأول: حديث ابن رزين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥]

وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى ، قال سفيان: أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد^(١) ، وقال أبو معاوية: حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال: من الولد والحيض والغائط والبول^(٢).

الثالث: قوله: « غير أنه لا منى ولا منية » ، وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل ، فإذا لم يكن هناك منى ولا مذى ، ولا نفخ في الفرج لم يكن إيلاد.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٤٢ : ٥٤٥) وفي إسناده ابن جريج مدلس وقد عنعن .

(٢) إسناده صحيح رواه الطبري (٥٥٣)

الرابع: أنه قد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: « يبقى فى الجنة فضل فينشى الله لها خلقا يسكنهم إياها »^(١) ، ولو كان فى الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق له من غيرهم.

الخامس: أن الله - سبحانه - جعل الحمل والولادة مع الحيض والمنى ، فلو كانت النساء يجبلن فى الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال.

السادس: أن الله - سبحانه وتعالى - قدر التناسل فى الدنيا ؛ لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرنا بعد قرن ، وجعل لهم أمدا ينتهون إليه ، فلولا التناسل لبطل النوع الإنسانى ؛ ولهذا الملائكة لا تتناسل ، فإنهم لا يموتون كما يموت الإنس والجن ، فاذا كان يوم القيامة أخرج الله - سبحانه - الناس كلهم من الأرض ، وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنسانى إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

السابع: أنه - سبحانه وتعالى - قال: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [سورة الطور: ٢١] .

فأخبر - سبحانه - أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم فى الدنيا ، ولو كان ينشى لهم فى الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا فى الدنيا ؛ لأن قرّة أعينهم كانت تكون بهم ، كما هى بذرياتهم من أهل الدنيا .

الثامن: أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ، ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص

(١) رواه البخارى (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨).

لا تنهاى ، واستلزام الثانى انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ولا يمكن أن يقال: يتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو فى الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان فى الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلا . ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه.

العاشر: أن الله - سبحانه وتعالى - ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذى جعلوا عليه لازم لهم أبدا ، والله أعلم ، فهذا ما فى المسألة ، فأما قول بعضهم: إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين: إن الجنة دار المكلفين التى يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة ، وهى فى كتب الناس ، وبالله التوفيق.

قال الحاكم: قال الأستاذ أبو سهل: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعنى حديث الولادة فى الجنة . وقد روى فيه غير إسناد ، وسئل النبى ﷺ عن ذلك فقال: يكون ذلك على نحو مما روينا ، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ ﴾ [سورة الزخرف: ٧١] .

وليس بالمستحيل أن يشتهى المؤمن الممكن من شهواته المصطفى المقرب المسلط على لذاته قررة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة. فإن قيل: ففى الحديث أنهم لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟

قلت: الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل على الكثرة و الوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه ، وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله - تعالى - لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد! انتهى كلامه. قلت: النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبى رزين: « غير أن لا توالد » وقد حكينا قول عطاء وغيره أنهم مطهرات من الحيض والولد ، وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف فى ذلك قولين ، وحكى قول أبى إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة فى حديثه: « غير أن لا مئ ولا منية »^(١)، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده إسناد الترمذى ، وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبى الصديق الناجى وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه إذا اشتهى الولد ، وتارة إنه ليشتهى الولد ، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له ، فالله أعلم ، فإن كان رسول الله ﷺ قد قاله فهو الحق الذى لا شك فيه ، وهذه الألفاظ لا تنافى بينها ولا تناقض ، وحديث أبى رزين: « غير أن لا توالد » ، إذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا ، ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضع وسنه وشبابه فى ساعة واحدة ، فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر فى هذه المسألة ، وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده فى غير هذا الكتاب ، والله أعلم.



الباب السابع والخمسون في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٤، ١٥]

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن موسى الحرشي قال: حدثنا عامر بن يساف قال: سألت يحيى ابن أبي كثير عن قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٥].

قال الحبرة: اللذة والسماع^(١)، حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي، حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله: ﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ [سورة الروم: ١٥]. قال: السماع في الجنة^(٢) ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يكرمون^(٣)، وقال مجاهد وقتادة: ينعمون^(٤)، فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم.

وقال الترمذي: حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧٩١٥، ٢٧٩١٨) وفي إسناده عامر بن يساف ذكره بن حبان

في الثقات وقال أبو حاتم: صالح.

(٢) صحيح رواه الترمذي (٢٥٦٥) وغيره.

(٣) إسناده ضعيف، رواه الطبري (٢٧٩١٢).

(٤) رواه الطبري (٢٧٩١٢).

لمجتمعاً للحوار العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له ، « وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث على حديث غريب ^(١) . قلت: وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة وعبد الله ابن عمر أيضا ، فأما حديث أبي هريرة فقال: جعفر الفريابي ، حدثنا سعد ابن حفص ، حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: إن في الجنة نهرا طول الجنة حافته العذارى قيام متقابلات ، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلها ، فقلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب - عز وجل - ^(٢) هكذا رواه موقوفا. وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد منه » ^(٣) .

وأما حديث أنس: فقال أبو نعيم: أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل ابن عبد الله ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب ، عن عبد الله بن رافع عن أبي لأنس عن أنس

(١) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٢٥٥٠) (٢٥٦٤) وغيره وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف والنعمان مجهول .

(٢) رواه البيهقي في البعث (٤٢٥) .

(٣) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٢) ، وفي إسناده مسلمة بن علي الخشنى متروك وفي إسناده رجل مبهم .

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين يغنين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام»^(١)، ورواه ابن أبي الدنيا، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره. وأما حديث ابن أبي أوفى، فقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون، حدثنا حامد بن يحيى البلخي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا الوليد بن أبي ثور، حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له»^(٢).

وأما حديث أبي أمامة: فقال جعفر الفريابي: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله اثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان»^(٣)، وأما حديث ابن عمر، فقال الطبراني: حدثنا أبو رفاعة

(١) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٢) وفي إسناده عون بن الخطاب وهو ضعيف وقلت وورد من طرق آخر فيها اضطراب وضعف.

(٢) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٢) وفي إسناده الوليد بن أبي ثور ضعيف جدا.

(٣) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٤) وفي الإسناد خالد بن يزيد بن أبي مالك ضعيف جدا.

عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ينظرون بقرة أعين ، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحن الآمات فلا نخفنه ، نحن المقيمات فلا نضعنه »^(١) ، قال الطبراني: لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم ، وقال ابن وهب: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: وقال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع ، فإنه حبب إلى السماع؟ فقال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده ، إن في الجنة لشجرا حملة اللؤلؤ والزبرجد ، وتحتة جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت ، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا فأجبن الحوارى ، فلا ندرى أصوات الحوارى أحسن ، أم أصوات الشجر^(٢) .

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ، إن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان ، أزواج شباب كرام ، ونحن الخالدات فلا نموت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نضعن في صدر إحداهن مكتوب أنت حبي وأنا حبك ، انتهت نفسى عندك ، لم تر عيناى مثلك^(٣)

وقال ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير: إن الحور

(١) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٢٢ ، ٤٣٠) والطبراني في الأوسط

(٤٩١٤) وفي إسناده أبو رفاعه عمارة بن وثيمة وفيه جهالة .

(٢) إسناده حسن إلى سعيد رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٦١)

(٣) إسناده حسن ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٦٢) .

العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سمعت وتقول: أنت حبيبى وأنا حبك: ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل^(١).

فصل

قال ابن أبى الدنيا: حدثنى دهثم بن الفضل القرشى ، حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعى قال: بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل ، فيأمره الله - تبارك وتعالى - فيأخذ فى السماع: فما يبقى ملك فى السماوات إلا قطع عليه صلاته ، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، فيقول الله - عز وجل: وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ما عبدوا غيرى^(٢) ، وحدثنى داود بن عمر الضبى ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان: أسمعوهم رياض المسك ، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتمجيدى^(٣).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن الحسن ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار فى قوله - عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّوَاسٍ ﴾ [سورة ص: ٢٥] ، قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة ، ثم نودى: يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل

(١) إسناده صحيح وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ٢٦٢ وفى إسناده دهثم بن الفضل وهو مجهول .

(٣) إسناده صحيح رواه نعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٤٣) .

الجنان ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ [سورة ص: ٤٠] ^(١) وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: إن الله - جل ثناؤه - يقول للملائكة: إن عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فأسمعوا عبادى ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط ^(٢).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب «الزهد» لأبيه: حدثنى على بن مسلم الطوسى ، حدثنى سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار فى قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ [سورة ص: ٤٠] ، قال: يقيم الله - سبحانه - داود عند ساق العرش فيقول: يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم ، فيقول: إلهى كيف أمجدك وقد سلبتني فى دار الدنيا؟ قال: يقول الله - عز وجل: فإنى أردته عليك ، قال: فيرده عليه فيزداد صوته ، قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة ^(٣).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى ، حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعى عن عبيدة بن أبى لبابة قال: إن فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم تسمع ألد منها ^(٤). حدثنا أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد قالا: حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام ،

(١) إسناده صحيح ، رواه البيهقى فى البعث (٤٢٤).

(٢) ضعيف رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٣٤٤) وفى إسناده شهر بن حوشب وهو إلى الضعف أقرب .

(٣) صحيح لغيره ، هذا السند المذكور ضعيف فيه سيار ولكن له طريق آخر يصح به إلى مالك ابن دينار مر بنا .

(٤) إسناده حسن رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٦٥).

فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ، فيذكر هو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا^(١) . حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا سعيد بن سعيد الحارثي قال: حدثت أن في الجنة آجاما من قصب من ذهب ، حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه^(٢) . ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين يسمعون كلام الرب - جل جلاله - وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرتهم لهم ، ويقرأ عليهم كلامه ، فإذا سمعوه منه ، فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك ، وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب - تعالى - وسماع كلامه منه ، ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار - جل جلاله - فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد ، فلم تقرأ أعينهم بشيء ، ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم ، إلى مثلها من الغد^(٣) .



(١) إسناده ضعيف رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٦٦).

(٢) إسناده ضعيف رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٦٧).

(٣) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢٧٠) وفي إسناده المسيب بن شريك

الباب الثامن والخمسون

فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومرائبهم

قال الترمذى: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، حدثنا عاصم بن على ، أخبرنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من خيل؟ قال: « إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت إلا فعلت » ، قال: وسأله رجل: فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل ما قال لصاحبه ، فقال: « إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتئت نفسك ولذت عينك »^(١). حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ نحوه بمعناه ، وهذا أصح من حديث المسعودى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، أخبرنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال: أتى النبى ﷺ أعرابى فقال: يا رسول الله إنى أحب الخيل ، أفى الجنة خيل؟ قال رسول الله ﷺ: « إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت »^(٢).

(١) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٢٥٤٣) ، وأحمد (٣٥٢/٥) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٥) والبيهقى فى البعث (٤٣٥) وغيرهم وفى إسناده المسعودى وهو مختلط والرواة عنه على بن عاصم ويزيد بن هارون والطيالسى وقره ، رووا عنه بعد الاختلاط إلا قره .
مختلف فيه .

(٢) إسناده ضعيف جدا أخرجه الترمذى (٢٥٤٤) وأبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٣ ، ٤٢٨) وغيرهما وفى إسناده واصل وأبى سورة وكلاهما ضعيف جدا .

قال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بالقوى ، ولا نعرفه من حديث أبى أيوب إلا من هذا الوجه ، وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث ، ضعفه ابن معين جدا ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير عن أبى أيوب لا يتابع عليه. قلت: أما حديث علقمة بن مرثد ، فقد اضطرب فيه علقمة ، فمرة يقول عن سليمان ابن بريدة عن أبيه ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل فقلت: هل فى الجنة خيل يا رسول الله؟ ومرة يقول قال رجل من الأنصار يقال له عمير بن ساعدة: يا رسول الله ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى ﷺ . والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى ؛ لأن سفيان أحفظ منه ، وأثبت. وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا ، فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة: أن أعرابيا قال: يا رسول الله أفى الجنة إبل؟ قال: « يا أعرابى إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهى نفسك وتلد عينك »^(١) ، ورواه أيضا من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكر الجنة فقال: « والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة » ، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنى رجل حبب إلى الخيل ، فهل فى الجنة خيل؟ قال: « أى والذى نفسى بيده إن فى الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة ، يتزاورون عليها حيث شاءوا » ، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنى حبب إلى الإبل ، وذكر الحديث^(٢). وأما حديث أبى سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٦) .

(٢) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٧) وفى إسناده أبو يوسف فيه ضعف .

السائب عنه ولم يروه عنه غيره ، وغير يحيى بن جابر الطائي ، وقد أخرج له أبو داود حديث: «ستفتح عليكم الأمصار وتجدون أجنادا»^(١) ، وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب: رأيت النبي ، توضأ فخلخل لحيته^(٢) ، وحديثا آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ [سورة النور: ٢٧]^(٣) ، وأخرج له الترمذي حديث خيل الجنة فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «إن أهل الجنة ليتزاوون على نجائب بيض» كأنها الياقوت ، وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل»^(٤).

وقال أبو الشيخ: حدثنا القاسم بن زكريا ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة ، لا تبول ولا تروث فقعدها عليها ثم طارت بهم في الجنة ، فيتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا سجدا ، فيقول لهم الجبار - تعالى: ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل ، إنما هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون رؤوسهم فيمطر الله عليهم طيبا ، فيمرون بكثبان المسك ، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى أنهم ليرجعون إلى أهلهم وإنهم لشعث غبر»^(٥).

(١) إسناده ضعيف أخرجه أبو داود (٢٥٢٥) ، وأحمد (٤١٣/٥) وفي إسناده ابن أخى أبي أيوب ضعيف .

(٢) ابن ماجه (٤٣٣) ، وصححه الشيخ الألباني .

(٣) إسناده ضعيف أخرجه أحمد (٤١٧) وابن ماجه (٤٣٢) وفي إسناده أبي سورة وهو ضعيف .

(٤) إسناده ضعيف جدا رواه الطبراني في الكبير (١٧٩/٤) وابن عدى في الكامل (٨٦/٧) وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٢٠ ، ٤٢٨) . وإسناده مسلسل بالضعفاء .

(٥) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٢٩) وغيره وفي إسناده الحكم بن أبي خالد : متروك .

الباب التاسع والخمسون فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا ، وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا

قال تعالى:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۖ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَا لَمَدِينُونَ ۖ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۖ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۖ ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧]

فأخبر - سبحانه وتعالى - أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحوال كانت فى الدنيا ، فأفضت بهم المحادثة ، والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ، ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد إن مزقنا البلى ، وكنا ترابا وعظاما ، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لتنظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه ، هذا أظهر الأقوال: وفيها قولان آخران:

الأول: إن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضا: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثانى: إنه من قول الله - عز وجل - لأهل الجنة ، يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟ والصحيح القول الأول ، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والأخبار عنه وعن حال قرينه ، قال كعب: بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك

الكوى. وقوله: واطلع: أى أشرف ، قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت ، فأشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه ، لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير ، فعندها قال: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الصافات: ٥٦ ، ٥٧] ، أى إن كدت لتهلكنى ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك فى العذاب ، وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السُّمُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الطور: ٢٥ - ٢٨] .

وقال الطبرانى: حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ أيتزاور أهل الجنة؟ قال: « يزور الأعلى الأسفل ، ولا يزور الأسفل الأعلى ، إلا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاءوا على النوق محتقين الحشايا »^(١) ، وقال الدورقى: حدثنا أبو سلمة التبوذكى ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى^(٢) . وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة.

وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبدوس ، حدثنا الحسن بن حماد ، حدثنا

(١) إسناده ضعيف جدارواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢١) وفى إسناده بشر بن نمير متروك وتابعه جعفر بن الزبير كما فى الطبرانى فى الكبير (٧٩٥٦) وجعفر متروك .

(٢) إسناده صحيح إلى حميد رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤٢٢) .

جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه: « إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب »^(١) ، وقد تقدم ، فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضا وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ؛ ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: « كيف أصبحت يا حارثة ؟ » قال: أصبحت مؤمنا حقا ، قال: « إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » قال: « عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يعذبون فيها ، فقال: عبد نور الله قلبه . »

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا عبد الله ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد ابن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض قال: فيسير سرير هذا إلى سرير هذا ، وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعوا جميعا ، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا »^(٢) ، قال: وحدثنى حمزة بن العباس: أنبأنا عبد الله ابن عثمان ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنى ثعلبة ابن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفى بن ماته أن رسول الله ﷺ قال: « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب »^(٣) ، وأهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة ، لا تروث ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا

(١) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف: رواه عبد بن حميد (٤٤٤) ، والطبرانى فى الكبير (٣٣٦٧) وغيرهما وفى إسناده ابن لهيعة فيه ضعف .

(٣) منكر: رواه البزار فى كشف الأستار (٣٥٥٣) والعقيلي (١٠٣/٢) وأبو نعيم فى الحلية (٤٩/٨) وفى إسناده الربيع بن صبيح وسعيد بن دينار : مجهول .

حيث شاء الله - عز وجل - فيأتيهم مثل السحابة ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، فيقولون: أمطري علينا ، فما يزال المطر يترل عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانهم ، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتتسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفى رءوسهم ، ولكل رجل منهم حمة على ما اشتتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الحمام وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله - تعالى - فإذا المرأة تنادى بعض أولئك يا عبد الله ، أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت فتقول: أنا زوجتك وحبك ، فيقول: ما كنت علمت بمكانك ، فتقول المرأة: أو ما علمت أن الله قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٧] ، فيقول: بلى وربى ، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ، لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة ^(١). حدثنى حمزة ، أنبأنى عبد الله بن عثمان ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا رشدين ابن سعد قال: حدثنى ابن أنعم أن أبا هريرة قال: إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال الميس ، تثير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها ^(٢).

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى اليمان: حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه

(١) إسناده ضعيف رواه نعيم فى زيادته على زهد ابن المبارك (٢٣٩) وفى إسناده شفى بن

ماتع تابعى فهذا مرسل وثعلبة بن مسلم وهو مجهول .

(٢) إسناده ضعيف رواه البغوى فى شرح السنة (٤٣٩٠) وفى إسناده رشدين بن سعد وعبد

الرحمن بن زياد وكلاهما ضعيف.

سأل جبريل عن هذه الآية ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الزمر: ٦٨] ، قال: « هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسياهم حول عرشه: فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ، أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعناقها السندس والإستبرق ، وغارقتها ألين من الحرير ، مد خطاها مد أبصار الرجال ، يسرون في الجنة على خيول » يقولون عند طول الترهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه ، يضحك الله إليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه » ^(١) .

قال ابن أبى الدنيا: وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن ، حدثنا أبى عن الحسن بن على عن على قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت ، لا تروث ولا تبول ، لها أجنحة خطوها مد بصرها ، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال: فيقال: إنهم كانوا يصلون في الليل ، وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون ، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون ، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون » ^(٢) ، ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل ، وذلك حين يزورون ربهم - تبارك وتعالى - فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ، ويحل عليهم رضوانه.

وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب - إن شاء الله تعالى.

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٤٨) .

(٢) إسناده ضعيف ، رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٤٩) وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢٥٥/٣) من طريق محمد بن مروان : الكوفى عن زيد بن على بن أبى طالب مرفوع ، وقال: هذا حديث موضوع وفيه ثلاث آفات الإرسال ، محمد بن مروان وسعيد بن طريف كلاهما ضعيف جدا . قلت: هذا كلام ابن الجوزى بتصرف.

الباب الستون

في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في صحيحه: حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي ، حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا »^(١)، رواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال: « فيها كثران المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح »^(٢).

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة: حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشر عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم ، أخبرني رسول الله ﷺ: « أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا ، فيزورون الله - تبارك وتعالى - فيرى لهم عرشه ويتدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أديانهم - وما فيها دين - على كثران المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا » ، قال أبو هريرة: وهل نرى ربنا - عز وجل؟ قال: « نعم » ، قال: « هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ » قلنا: لا ، قال: « فذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك

(١) مسلم (٢٨٣٣).

(٢) صحيح رواه أحمد (٣/ ٢٨٤ ، ٢٨٥) .

الجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول: يا فلان ابن فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ! فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول: بلى ، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى ، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه » ، قال: « فبينما هم على ذلك ، إذ غشيتهم سحابة من فوقهم ، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط » قال: « ثم يقول ربنا - تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم » قال: « فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب » قال: « فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشتري ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دين ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها » ، قال: « ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبا وأهلا بجننا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فتقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار - عز وجل - وبحقنا أن نقلب بمثل ما انقلبنا »^(١) ، ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ، رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، وليس فى هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعى ، فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعى بما لم يروه غيره .

وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازى: هو ثقة: وأما دحيم والنسائي فضعفاه ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعى ، والترمذى ، قال: فى هذا الحديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى ، حدثنا عقل بن زياد عن الأوزاعى قال: نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره ، وقال الترمذى: حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا أبو معاوية ، أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى

طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا انتهى الرجل الصورة دخل فيها» ^(١) ، قال: هذا حديث غريب .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق ، فينطلقون إلى كئبان المسك ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد لكن ربحا ما كانت لكن . قال: فيقلن لقد رجعتن بربح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا ^(٢) ، قال ابن المبارك: وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: إن في الجنة سوقا كئبان مسك يخرجون إليها ويجمعون إليها فيبعث الله ربحا فتدخلها بيوتهم ، فيقول لهم أهلهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا ^(٣) .

وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين: حدثنا أحمد بن محمد ابن طريف البجلي ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون ، فقال: «يا معشر المسلمين ، إن في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشتري إلا الصور ، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» ، والله أعلم ^(٤) .



(١) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٢) إسناده صحيح رواه نعيم في زياداته على زهد ابن المبارك (٢٤١) وغيره وروى بنحوه مسلم وأحمد وقد سبق .

(٣) إسناده صحيح رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٥٨)

(٤) إسناده ضعيف جدا : رواه الطبراني في الأوسط (٥٦٦٠) وأبو نعيم في صفة الجنة (٤١٩) وفي إسناده جابر الجعفي ضعيف جدا .

الباب الحادي والستون في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعي - رضى الله عنه - فى مسنده: حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثنى موسى بن عبيدة قال: حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكتبه إلى النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « ما هذه؟ قال: الجمعة ، فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيدي » ، قال النبي ﷺ : « يا جبريل وما يوم المزيدي؟ قال: إن ربك اتخذ من الفردوس واديا أفيح فيه كذب المسك ، فإذا كان يوم القيامة نزل الله - تبارك وتعالى - ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور ، عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكذب ، فيقول الله - تعالى: أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعطكم ، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك ، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيدي ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم - عليه السلام - وفيه تقوم الساعة »^(١) ؛ ولهذا الحديث طرق سنشير إليها فى باب المزيدي - إن شاء الله تعالى. وروى أبو نعيم من حديث شيان بن جسر بن فرقد عن أبي الحسن عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليغدون فى حلة ويروحون فى أخرى ، كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك

(١) إسناده ضعيف جدا رواه الشافعي فى مسنده (٣٧٤ شفاء العي) وفى الأم (٣١٨/١).

وفى إسناده إبراهيم بن محمد : متروك وموسى بن عبيدة وهو ضعيف .

من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم - عز وجل - وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم - عز وجل »^(١) ، قال: وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله.

وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: « إذا سكن أهل الجنة الجنة ، أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله - تبارك وتعالى - يأمركم أن تزوروه ، فيجتمعون ، فيأمر الله - تبارك وتعالى - داود - عليه السلام - فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ، ثم توضع مائدة الخلد ، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ » ، قال: « زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا - عز وجل - فيتجلى لهم فيخرون سجدا ، فيقال لهم: لستم في دار عمل ، إنما أنتم في دار جزاء »^(٢).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي ، حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي ، قال: حدثني أبو إلياس قال: حدثني محمد بن علي ابن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن علي بن حنيش ، حدثنا إبراهيم بن شريك ، حدثنا أحمد بن يونس المعافى بن عمران ، وكان من خيار الناس قال: حدثنا إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال إدريس: ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال: قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لو سخر

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٤) وفي إسناده جسر بن فرقد وهو ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٧) وفي إسناده الحارث الأعور كذاب وخالد بن يزيد البجلي ضعيف .

الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام ، ورقها برود خضر وزهرها رياض صفر ، وأقنابها سندس وإستبرق ، وغارها حلل ، وصمغها زنجبيل وعسل ، وبطحائرها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وتراها مسك ، وحشيشها زعفران منيع ، والألنوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار والسلسيل والمعين والرحيق ، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم فينما هم يوما يتحدثون في ظلها ، إذ جاءهم الملائكة يقودون نجبا جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا ، وبرها خز أحمر ومرزعى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها عليها رجائل ، ألواحها من الدر والياقوت مفصصة باللؤلؤة والمرجان وشفافها من الذهب الأحمر ، ملبسة بالعبرى والأرجوان ، فأناخوا إليهم تلك النجائب ، ثم قالوا لهم: إن ربكم - تبارك وتعالى - يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه ، وينظر إليكم ، وتحبونه ويحببكم ، ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله ، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم . فتحول كل رجل منهم على راحلته ، ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا ، لا يفوق منه شيء شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبها ، ولا بركت ناقة بركب صاحبها ، ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا أتخفتهم بثمرها ، ورحلت لهم عن طريقهم كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه . فلما دفعوا إلى الجبار - تبارك وتعالى - أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فى عظمتة العظيمة ، فقالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ، ولك حق الجلال والإكرام . فقال لهم ربهم - تبارك وتعالى: إني السلام ومنى السلام ، ولى حق الجلال والإكرام ، مرحبا بعبادى الذين حفظوا وصيتى ، وراعوا عهدي وخافونى بالغيب وكانوا منى على حال مشفقين ، قالوا: وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ، وما أدينا إليك كل حقك فائذن لنا بالسجود لك ، فقال لهم ربهم

- تبارك وتعالى: إني قد وضعت عنكم مؤنه العباده وأرحت لكم أبدانكم ، فلطالما ما أتعبتم لى الأبدان وأعنيتم لى الوجوه ، فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى وكرامتى ، فاسألونى ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانىكم ، فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى فلا يزالون فى الأمانى والعطايا والمواهب حتى إن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله - عز وجل - إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم - عز وجل: لقد قصرتم فى أمانىكم ورضيتم بدون ما يحق لكم ، فقد أوجبت لكم ما سألتهم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرتم عنه أمانىكم^(١) ، ولا يصح رفعه إلى النبى ﷺ وحسبه أن يكون من كلام محمد بن على ، فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء ، فجعله من كلام النبى ﷺ وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى ، وقال الدارقطنى: متروك ، وأما أبو إلياس المتابع له فلا يدرى من هو: وأما القاسم ابن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضا ، ومثل هذا لا يصح رفعه ، والله أعلم.

وقال الضحاك: فى قوله - عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾

[سورة مريم: ٨٥] ، قال: على النجائب عليها الرحال.

(١) إسناده ضعيف جدا رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٤١١) وفى إسناده إدريس بن سنان

ضعيف جدا وفيه إعضال بين محمد بن على بن الحسين والنبى ﷺ.

الباب الثانى والستون

فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة

قد تقدم فى حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط. وقال بقية بن الوليد: حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة ، فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا^(١).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى أزهر بن مروان ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليمانى ، قال: سأل عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: إنهم يفدون إلى الله - سبحانه وتعالى- كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة ، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه ، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم ، قال تعالى: أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى ، فيطعموا ثم يقول: اسقوهم. قال: فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكهوهم ، فتجىء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا ، ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا اكسوهم ، فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر ، وكل لون لم تنبت إلا الحلل ، فتشعر عليهم حللا وقمصا ثم يقول: عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا وكسوا طيوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر. ثم يقول: عبادى وجيرانى وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهاوا وكسوا وطيوهم لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى ، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم ، ثم يقال لهم:

ارجعوا إلى منازلكم ، فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ، ورجعتم على غيرها؟ فيقولون: ذلك أن الله - جل ثناؤه - تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا ^(١) .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفى بن مانع أن رسول الله ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب ، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثباننا من مسك عن أيماهم وعن شمائلهم ، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رءوسهم ، ولكل رجل منهم حمة على ما اشتتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله ، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك ، فيقول: ما كنت علمت بمكانك ، فتقول: المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٧] .

فيقول: بلى وربى ، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم» ^(٢) . وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - السحاب وما يطره سببا للرحمة والحياة في هذه الدار ، ويجعله سببا لحياة الخلق في

(١) إسناده ضعيف جدا رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣٣٩) وفي إسناده عبد الله بن

عرادة الشيباني وهو ضعيف جدا .

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق .

قبورهم حيث يطر على الأرض أربعين صباحا متداركا من تحت العرش ،
فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم
وكأنه - والله أعلم - أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا وتثير لهم
سحابا فى المنة تمطرهم ما شاءوا من طيب وغيره وكذلك أهل النار وينشئ
لهم سحابا يطر عليهم عذابا إلى عذابهم ، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب
سحابا أمطر عليهم عذابا أهلكتهم ، فهو - سبحانه - ينشئه للرحمة والعذاب.



الباب الثالث والستون

فى ذكر ملك الجنة ، وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠]

قال ابن أبى نجیح عن مجاهد: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠] ، قال عظيمًا: وقال: استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن^(١) ، وقال كعب فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠] ، يرسل إليهم ربهم الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة^(٢) ، وقال بعضهم: الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن. وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ، ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠]^(٣) .

وقال ابن أبى الحواري: سمعت أبا سليمان يقول فى قوله - عز وجل:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۖ﴾ [سورة الإنسان: ٢٠] ، قال الملك الكبير ، أن رسول الله يأتى بالتحفة واللفظ ، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه ، فيقول للحاجب: استأذن على ولى الله ، فإنى لست أصل إليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب ، ومن داره إلى دار السلام

(١) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٩٣) فى إسناده مسلم بن خالد الزنجى وهو ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٠٦) وفى إسناده محمد بن عمر الواقدى : متهم بالكذب .

(٣) إسناده ضعيف جدا رواه نعيم فى زياداته على ابن المبارك (٢٣٢) وفى إسناده حفص بن عمر العدنى ضعيف .

باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن ، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن ، وهو يدخل على ربه بلا إذن^(١) .

وقال ابن أبي الدنيا : « حدثنا صالح بن مالك ، حدثنا صالح المرى ، حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه : أن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم »^(٢) ، حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبى ، أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى ، عن عبد الله ابن معبد الزمانى عن أبي هريرة قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم . ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه^(٣) ، وحدثنى محمد بن عباد ، حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال ، حدثنا حميد بن هلال قال : ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه^(٤) ، وحدثنى هارون بن سفيان ، أنبأنا محمد بن عمر ، أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال : إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ^(٥) . حدثنى هارون بن سفيان ، حدثنا

(١) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٠٥) .

(٢) إسناده ضعيف أخرجه المروزى فى زياداته على زهد ابن المبارك (١٥٣٠) وفى إسناده صالح ويزيد ضعيفان ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧٦٧٠) ، وفى إسناده الحسن بن كثير فيه ضعف ، ومحمد بن موسى شيخ مجهول .

(٣) إسناده ضعيف رواه نعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٤١٤) وفى إسناده محمد بن سليم ضعف .

(٤) إسناده ضعيف ، رواه ابن المبارك (١٥٢٦) وفى إسناده أبو هلال الراسبى وفيه ضعف .

(٥) إسناده ضعيف . رواه نعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٤٢٧) وفى إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، ورواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (٢١٣) وفى إسناده الواقدى : منهم .

محمد بن عمر ، أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيها دنى لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه^(١) .

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا يحيى بن أيوب ، حدثني عبيد الله بن زحر عن محمد بن أبي أيوب المخزومي ، عن أبي عبد الرحمن المغافري قال: إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سمطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه^(٢) .

وقال أبو خيثمة: حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد ، كما بين الجابية وصنعاء »^(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا بقية بن الوليد ، حدثني أرطاة بن المنذر قال: سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له: أبو الحجاج قال: جلست إلى أبى أمانة فقال: إن المؤمن يكون متكئا على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سمطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب ، فيقبل الملك من ملائكة الله - عز وجل - ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب ، فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه: ملك يستأذن ، ويقول للذى يليه: ملك يستأذن ، حتى يبلغ

(١) إسناده ضعيف جدا ، رواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (٢١٣) وفى إسناده الواقدي : متهم .

(٢) إسناده ضعيف رواه نعيم فى زياداته على ابن المبارك (٤١٥) وفى إسناده يحيى بن أيوب الغافقى ، وعبيد الله بن زحر وكلاهما ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف وسبق تحريجه .

المؤمن فيقول: ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف^(١).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى محمد بن الحسين ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سليمان العنبرى عن الضحاك بن مزاحم قال: بينما ولى الله فى منزله ، إذ أتاه رسول من الله - عز وجل - فقال للأذن: استأذن لرسول الله على ولى الله فيدخل الآذن فيقول له: يا ولى الله ، هذا رسول الله يستأذن عليك ، قال: ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول: يا ولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه قال: فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول: إنما أكلت هذا الآن فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها ، فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة فى الجنة قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَتُوا بِهِـ مُتَشَبِهًا ﴾ [سورة البقرة: ٢٥]^(٢) ، وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة ، عن النبى ﷺ قال: « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له: أدخل الجنة فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربى ، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامس: رضيت ربى فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ولدت عينك ، فيقول: رضيت ربى.... »^(٣) ، وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه.

(١) إسناده ضعيف رواه نعيم فى زياداته على زهد ابن المبارك (٢٣٧) وفى إسناده مجهول .

(٢) إسناده حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٠٤) .

(٣) مسلم (١٨٩)

وقال البزار فى مسنده: حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا المغيرة بن سلمة ، حدثنا وهيب عن الجريرى عن أبى بصرة عن أبى سعيد قال: خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها: تكلمى فقالت: قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها الملائكة ، فقالت: طوبى لك منزل الملوك^(١) ، هكذا رواه وهيب عن الجريرى موقوفا ، ورواه عدى بن الفضل عن الجريرى فرفعه وقال البزار: ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدى بن الفضل بهذا الإسناد ، وعدى ابن الفضل ليس بالحافظ و هو شيخ بصرى. قلت: عدى بن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه ، وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم ، والحديث صحيح موقوف ، والله أعلم.

وقد تقدم ذكر التيجان على رءوسهم ، وإنما يلبسها الملوك.



الباب الرابع والستون

فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال
وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٦، ١٧] ، وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] ^(١) ، وفى لفظ آخر فيهما: « يقول الله - عز وجل: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دخرا من بله ما أطلعتكم عليه » ^(٢) ، ثم قرأ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] ، الآية . وفى بعض طرق البخارى قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ^(٣) : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

(١) البخارى (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) .

(٢) البخارى (٤٧٨٠) ومسلم (٢٨٢٤) .

(٣) البخارى (٤٧٧٩) .

وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى قال: شهدت مع النبى ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال فى آخر حديثه: « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿ السجدة: ١٧ ﴾

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » (١) ، وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ: « ألا مشمر للجنة ، فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تفتز ، وقصر مشيد ونهر مطرد ، وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دار سليمة ، وفاكهة ، وخضرة ، وحبرة ونعمة ، ومحلة عالية بهية » (٢) ، ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها ، لكفاها شرفا وفضلا ، وكما فى سنن أبى داود من حديث سليمان بن معاذ عن ابن المنكدر عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » (٣) .

وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « لما خلق الله الجنة عدن ، خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال

(١) البخارى (٢٧٩٢).

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٣) إسناده صحيح وقد سبق .

لها: تكلمى. فقالت: قد أفلح المؤمنون» ^(١) ، وفى صحيح البخارى من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها» ^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، حدثنا همام عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض» ^(٣) ، وهذا الإسناد على شرط الصحيحين.

وقال الترمذى: حدثنا سويد بن نصر ، حدثنا ابن المبارك ، أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «لو أن أقل ظفر مما فى الجنة بدأ لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدأ أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب» ^(٤) ، قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة ، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبى حبيب ، وقال عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ . قلت: وقد رواه ابن وهب ، أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه ، أن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، قال سليمان: لا أعلم إلا أنه حدثنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبرانى فى الكبير (١١٤٣٩) ، وفى الأوسط (٧٤٢) وأبو نعيم فى صفة الجنة (١٦) وفى إسناده بقية يدللس وقد عنعن . وله شاهد عند الطبرانى فى الكبير (١٢٧٢٣) وفى إسناده حماد بن عيسى وهو ضعيف .

(٢) البخارى (٣٢٥٠).

(٣) إسناده صحيح رواه أحمد (٣١٥/٢) ويشهد له حديث البخارى السابق.

(٤) إسناده ضعيف وقد سبق .

والأرض» ^(١) وفى الباب عن أنس بن مالك ، وأبى سعيد الخدرى ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص. وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه ، وملاؤها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بجزايرها ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها ، فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن ملاطها ، فهو المسك الأذفر وإن سألت عن حصائنها فهى اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن ثمرها ، فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها ، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل ، وإن سألت عن أنهارها ، فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالسننم والزنجبيل والكافور ، وإن سألت عن آيتهم ، فآية الذهب والفضة فى صفاء القوارير. وإن سألت عن سعة أبوابها ، فبين المصرعين مسيرة أربعين من الأعمام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها ، فإنها تستقر بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها ، فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام ، وإن سألت عن علالها وجواسقها ، فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى

(١) إسناده ضيف ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (٥٧) وفى إسناده سليمان بن حميد فيه جهالة .

من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها ، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها ، فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها ، فهى الأسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب ، فما لها من فروج ولا خلال. وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم ، فعلى صورة القمر ، وإن سألت عن أسنانهم ، فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم - عليه السلام - أبى البشر ، وإن سألت عن سماعتهم ، فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبين وأعلى منهما خطاب رب العالمين ، وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها فنجائب - إن شاء الله مما شاء - تسير بهم ، حيث شاءوا من الجنان ، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب ، واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان ، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون ، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواعب الأتراب اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت إذا قابلت حبها ، فقل ما شاءت فى تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعائق الغصنين يرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها ، لو اطلعت على الدنيا لملاآت ما بين الأرض والسماء ريحا ولا استنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسييحا ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولأمن من على ظهرها بالله الحى القيوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع

أمانيتها ، ولا تزدداد على طول الأحقاب إلا حسنا وجمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصلها قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها ، فهي غاية أمنيته وهواه إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فهو معها فى غاية الأمانى والأمان ، هذا ولم يطمئنها قبله أنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومثورا وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا. وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر؟ وإن سألت عن الخلق ، فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور ، وإن سألت عن القدود ، فهل رأيت أحسن الأغصان؟ وإن سألت عن النهود ، فهن الكواعب ، نهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون ، فكأنه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخلق ، فهن الخيرات الحسان اللاتى جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرّة النواظر. وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك ، فهن العرب المتحبيات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلکها ، وإذا حاضرت زوجها ، فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثها السحر الحلال وأنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

وإن طال لم يعمل وإن هى حدثت ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت ، فيا لذة الأبصار والأسماع ، وإن أنست وأمتعت ، فيا حبذا

تلك الموائسة والإمتاع ، وإن قبلت فلا شىء أشهى إليه من ذلك التقييل ،
وإن نولت فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه
عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر ،
كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود فى الصحاح
والسنن والمسانيد ، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبى هريرة وأبى موسى
وأبى سعيد فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة ، إن ربكم - تبارك
وتعالى - يستزيركم فحى على زيارته ، فيقولون: سمعا وطاعة وينهضون إلى
الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها
مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدا ، وجمعوا
هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدا ، أمر الرب - تبارك وتعالى - بكرسيه
فنصب هناك ، ثم نصب لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من
زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم وحاشاهم أن
يكون فيهم دنىء على كثران المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى
العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى:
يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون: ما هو ، ألم
يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فينماهم
كذلك ، إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل
جلاله وتقديست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة
سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام
ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب - تبارك

وتعالى - يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه - تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى ، فهذا يوم المزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا فيقول: يا أهل الجنة ، إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى ، هذا يوم المزيد فاسألونى فيجتمعون على كلمة واحدة ، أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف لهم الرب - جل جلاله - الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله - تعالى - قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا ، ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه - تعالى - محاضرة ، حتى أنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بلى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فى لذة الأسماع بتلك المحاضرة ، ويا قرّة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢ - ٢٥].

فحى على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

**فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ،
كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم**

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطرا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة ، وأشدّها على أهل البدعة والضلالة ، وهى الغاية التى شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولئلا فليعمل العاملون ، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تنابع القرون ، وأنكرها أهل البدع المارقون ، والجهمية المنهوكون ، والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بجائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون ، وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون. أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه . وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أعلم الخلق به فى زمانه ، وهو كلمه ونحيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿ لَنْ تَرِنِّى وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرِنِّى ۖ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

الوجه الأول: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه ؛ بل ما هو من أبطل الباطل وأعظم المحال ، وهو عند فروخ

اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأل أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، فيالله العجب ، كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله - تعالى - من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟!

الوجه الثانى: أن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه ، ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ١٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٦ ، ٤٧] .

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: لن ترنى ولم يقل لا ترانى ، ولا أنى لست برئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى ويوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿ وَلَٰكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] ، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف ؟!

الوجه الخامس: إن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ، وليس هذا بممتنع فى مقدوره ؛ بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف أكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء .

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] ، وهذا من آيين الأدلة على جواز رؤيته - تبارك وتعالى - فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جهاد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله ، وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه ، فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار ، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم أن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا إنكار التكليم . وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ؛ ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعته كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَرِنِي ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] ، فإنما يدل على النفي فى المستقبل ، ولا يدل على دوام النفي ، ولو قيدت بالتأيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [سورة البقرة: ٩٥] مع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧] .

الدليل الثانى: قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٤] ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الكهف: ١١٠] ، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا اللَّهَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩] .

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والممانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا يتقضى هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [سورة التوبة: ٧٧] ، فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة ، بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة - وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى.

وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

الأول: ألا يراه إلا المؤمنون.

والثانى: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه ، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه ، وشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِهِ ﴾ [سورة الانشقاق: ٦] ، وإن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا ، وإن عاد على الرب - سبحانه وتعالى - فهو لقاءه الذى وعد به.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة يونس: ٢٥ ، ٢٦] ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم.

كذلك فسرهما رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن ، فالصحابة من بعده كما روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى لىلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهى الزيادة»^(١).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، قال: «للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، والزيادة وهى النظر إلى وجه الله»^(٢).

وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حميد ، حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، قال: «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله»^(٣)، قلت: عطاء هذا هو الخراسانى ، وليس عطاء بن أبى رباح.

(١) مسلم (١٨١) .

(٢) إسناده ضعيف جدا أخرجه الخطيب (فى تاريخ بغداد) (١٤٠/٩) ، وابن عدى (فى الكامل) (٣٢٦/٣) وفى إسناده نوح بن أبى مريم : كذبوه . ومسلم بن سالم البلخى : ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (١٧٦٤٦) وفى إسناده ابن حميد وهو ضعيف وعطاء الخراسانى كثير الوهم والإرسال . ويرسل عن الصحابة قال ابن معين لا أعلم سمع أحدا من الصحابة :

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الرحيم ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال: سمعت زهيراً ، وقال يعقوب بن سفيان ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبى بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: «الحسنى الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»^(١).

وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبى تيمية الهيمى أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً ينادى: يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى ، والحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»^(٢).

وقال ابن وهب: أخبرني شبيب عن أبان عن أبى تيمية الهجيمى ، أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة منادياً ينادى: يا أهل الجنة ، بصوت يسمع أولهم وآخرهم أن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى: الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»^(٣). وأما الصحابة: فقال ابن جرير: حدثنا ابن يشار ، حدثنا عبد الرحمن - هو ابن مهدي - حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبري في تفسيره (١٧٦٤٨) وفي إسناده مبهم .

(٢) إسناده ضعيف جداً وقد سبق .

(٣) إسناده ضعيف جداً ، وقد سبق .

قال: النظر إلى وجه الله الكريم ^(١) . وبهذا الإسناد عن أبى إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه ربهم تعالى ^(٢) .

وحدثنا على بن عيسى ، حدثنى شبابة ، حدثنا أبو بكر الهذلى قال: سمعت أبا تيممة الهجيمي يحدث عن أبى موسى الأشعرى قال: إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون: نعم ، فيقول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، النظر إلى وجه الرحمن عز وجل ^(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى: أنبأنا أبو تيممة قال: سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب الناس فى جامع البصرة ويقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة ، فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون: نعم . قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول: الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون: نعم ، فيقول: قد بقى لكم شىء إن الله عز وجل يقول: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ، إلا أن

(١) إسناده ضعيف ، أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٤٧٣) ، والطبرى فى تفسيره (١٧٦٢٥) وغيرهما ، وفى الإسناد أبو إسحاق وهو مدلس ، وعامر بن سعد قال فى التهذيب: أرسل عن أبى بكر .

(٢) رواه الآجرى فى الشريعة (٥٩١) ، وعبد الله بن أحمد فى السنة (٤٧٣) ، والطبرى فى تفسيره (١٧٦٢٩) وفى إسناده أبو إسحاق مدلس وقد عنعن ، ومسلم بن نذير روى عنه جمع وذكره ابن حبان فى الثقات قال أبو حاتم: لا بأس به .

(٣) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى . وفى تفسير أسباط بن نصر: عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس .

وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا

يَرْهَقُوْهُمُ أَجْرُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله تعالى^(١) ، وأما القتر فالسواد^(٢) ، وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى^(٣) ، وعامر بن سعد ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى^(٤) ، والضحاك بن مزاحم^(٥) ، وعبد الرحمن ابن سابط^(٦) ، وأبو إسحاق السبيعي^(٧) ، وقتادة^(٨) ، وسعيد بن المسيب^(٩) ،

(١) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف : رواه اللالكائى (٧٨٧ ، ٧٨٨) وفى إسناده أسباط بن نصر وهو ضعيف .

(٣) إسناده صحيح : رواه الطبرى (١٧٦٣٤ ، ١٧٦٣٧) واللالكائى (٧٩٣) .

(٤) إسناده ضعيف جدا : رواه الدارقطنى فى الرؤية (٢٤٠) وفى إسناده الحكم بن ظهير : متروك .

(٥) إسناده ضعيف جدا : رواه الدارقطنى فى الرؤية (٢٤٣) (٢٤٤) وفى إسناده جوير ضعيف جدا .

(٦) رواه الطبرى فى تفسيره (١٧٦٤٧) واللالكائى (٧٩٥) وفى إسناده ليث بن أبى سليم وهو ضعيف ولكن تابعه فطر بن خليفة كما فى السنة لعبد الله بن أحمد (٤٧٨) ولكن فى إسناده هشيم وقد عنعن .

(٧) إسناده ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (١٧٦٣٠) وفى إسناده شريك وهو سبى الحفظ .

(٨) إسناده صحيح رواه الطبرى فى تفسيره (١٧٦٤٤ ، ١٧٦٤٥) واللالكائى (٧٨٩) .

(٩) إسناده ضعيف : رواه اللالكائى (٧٨٩) .

والحسن البصرى^(١) ، وعكرمة مولى ابن عباس^(٢) ، ومجاهد بن جبير^(٣) :
الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وقال غير واحد من السلف
فى الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] بعد النظر
إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ، ولما عطف سبحانه الزيادة على
الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر من وراء الجنة وقدر زائد عليها .
ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى .

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾
[سورة المطففين: ١٥] ، ووجه الاستدلال بها أنه - سبحانه وتعالى - جعل من
أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وإسماع كلامه فلو لم يره
المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه ، وقد احتج بهذه الحجة
الشافعى نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى ، قال:
سمعت الشافعى يقول فى قوله - عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: ١٥] ، فيها دليل على أن أولياء الله يرون
ربهم يوم القيامة^(٤) .

وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبانا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن
إدريس الشافعى ، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول فى قول الله
عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: ١٥]

(١) إسناده حسن : رواه الطبرى فى تفسيره (١٧٦٣٩) .

(٢) إسناده ضعيف : رواه اللالكائى (٧٩٦) وفى إسناده حفص بن عمر العدنى وهو ضعيف

(٣) إسناده ضعيف : رواه اللالكائى (٧٩٧) وفى إسناده مؤمل وليث وكلاهما ضعيف .

(٤) رواه اللالكائى (٨٠٩) .

فقال الشافعى: لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضى قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول ! قال: نعم . وبه أدين الله ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل^(١) ، ورواه الطبرانى فى شرح السنة من طريق الأصم أيضا ، وقال أبو زرعة الرازى: سمعت أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون . قال محمد: وسئل الشافعى عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٥] ، ففى هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

الدليل الخامس: قوله عز وجل: ﴿ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [سورة ق: ٣٥] .

قال الطبرى: قال على بن أبى طالب^(٢) ، وأنس بن مالك^(٣): هو النظر إلى وجه الله عز وجل ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره.

الدليل السادس: قوله عز وجل: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] .

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة. وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألفظه ، وقال لى: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بأية أو حديث صحيح على باطله إلا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ،

(١) رواه اللالكائى (٨٨٣)

(٢) إسناده ضعيف جدا ، رواه اللالكائى (٨٥٢) وفى إسناده عمرو بن خالد الواسطى : متروك .

(٣) إسناده ضعيف جدا ، رواه اللالكائى (٨١٣) وفى إسناده أبى اليقظان ضعيف جدا .

فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فإن الله - سبحانه وتعالى - إنما ذكرها في سياق التمدح . ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدل المحض فليس بكمال ولا بمدح الرب - تبارك وتعالى - بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ونفى اللغوب ، والإحياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة ، والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفى النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض ولا يتضمن أمرا ثبوتيا ، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]

أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ، ولا كمال ، لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار ، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿ وَمَا يَعْرِضُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [سورة يونس: ٦١] ، أنه يعلم كل شيء .

وفى قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [سورة ق: ٣٨] ، أنه كامل القدرة ، وفى قوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: ٤٩] ، أنه كامل العدل وفى قوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] ، أنه كامل القيومية.

فقلوه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] ، يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك ، بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١ ، ٦٢] فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٦١]

إنا لمريئون ، فإن موسى- صلوات الله وسلامه عليه- نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَأَلَّا﴾ [سورة الشعراء: ٦٢] ، وأخبر الله- سبحانه- أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٧] ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] لا تحيط به الأبصار^(١) ، وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار^(٢) ، وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم^(٣) ، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، فالمؤمنون يرون ربهم - تبارك وتعالى - بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى أنها لا تحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (١٣٦٩٨) .

(٢) إسناده ضعيف : رواه الطبرى فى تفسيره (١٣٦٩٩) قال يحيى القطان سعيد بن أبى عروبة

لم يسمع التفسير من قتادة الجرح والتعديل (٢٤٠/١) .

(٣) إسناده ضعيف رواه الطبرى (١٣٧٠٠) .

وجل بأن شيئاً يحيط به ، وهو بكل شىء محيط ، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون كلامه ، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه .

ونظير هذا: استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] ، وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وإلا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه ؛ مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ، ولا شبيه ولا مثل ، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها ، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فأت أمثاله . وبعد عن مشابهة أضرابه فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] من أدل شىء على كثرة نعوته وصفاته ، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]

من أدل شىء على أنه يرى ولا يدرك. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٤] ، من أدل شىء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته ، بل خلقهم خارج عن ذاته ، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ، ويحيط بهم علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا .

وتأمل حسن هذه المقابلة لفظا ومعنى وبين قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾

وإن عدى بفى فمعناه التفكير والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥]

وإن عدى بـ « إلى » فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا

أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩] ، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر؟!

قال يزيد بن هارون: أنبأنا مبارك عن الحسن قال: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى

فحضرت بنوره^(١) ، فاسمع الآن أيها السننى تفسير النبى ﷺ وأصحابه والتابعين

وأئمة الإسلام لهذه الآية . قال ابن مردويه فى تفسيره: حدثنا إبراهيم عن محمد ،

حدثنا صالح بن أحمد ، حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا

المصعب بن المقدم ، حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيه عن عبد الله بن

عمرو قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾

[سورة القيامة: ٢٢] قال: «من البهاء والحسن ، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾»

[سورة القيامة: ٢٣] ، قال: «فى وجه الله عز وجل»^(٢).

وقال أبو صالح عن العباس: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٣]

قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل^(٣) . وقال عكرمة: وجوه يومئذ ناضرة قال:

(١) إسناده ضعيف رواه عبد الله بن أحمد (فى السنة) (٤٧٩) واللالكائى (٨٠٠) وفى إسناده

مبارك بن فضالة صدوق يدلّس ويسوى وقد عنعن .

(٢) إسناده ضعيف جدا وفى إسناده ثوير بن أبى فاختة . وهو ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف : رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٤٨٥) ، واللالكائى (٧٩٩) . وفى إسناده

عطية العوفى : ضعيف .

من النعيم إلى ربها ناظرة. قال: تنظر إلى ربها نظرا^(١)، ثم حكى عن ابن عباس مثله^(٢). وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وجريير بن عبد الله البجلي وصهيب وابن سنان الرومى وعبد الله بن مسعود الهذلى وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وعدى بن حاتم الطائى وأنس بن مالك الأنصارى وبريدة بن الحصيب الأسلمى وأبو رزين العقيلى، وجابر بن عبد الله الأنصارى وأبو أمانة الباهلى، وزيد بن ثابت، وعمار ابن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن ربيعة، وسلمان الفارسى، وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص - وحديثه موقوف - وأبى بن كعب، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد - وحديثه موقوف - ورجل من أصحاب النبى ﷺ غير مسمى.

فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن، وتلقاها بالقبول والتسليم وانشرح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق الطعن، ولا تكذب بها، فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين. فأما حديث أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى، قال: حدثنى النضر بن شميل المازنى، قال: حدثنى أبو نعام قال: حدثنى أبو هنيذة البراء بن نوفل عن والان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق: قال: أصبح رسول الله ﷺ

(١) إسناده صحيح: رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٤٨١) واللالكائى

(٢) إسناده ضعيف: رواه الأجرى فى الشريعة (٥٨٨) وفى إسناده إبراهيم بن الحكم بن أبان ضعيف.

ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله ، فقال الناس لأبى بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال: فسأله فقال: « نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرين فى صعيد واحد ، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ، والعرق ويكاد يلجمهم ، فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر ، وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال: قد لقيت مثل الذى لقيتم ، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم ، إلى نوح ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣] ، قال: فينطلقون إلى نوح فيقولون: اشفع لنا إلى ربك ، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا ، فيقول: ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى إبراهيم فإن الله اتخذته خليلا ، فينطلقون إلى إبراهيم ، فيقول: ليس ذلكم عندى ، انطلقوا إلى موسى فإن الله عز وجل كلمه تكليما ، فيقول موسى: ليس ذلك عندى انطلقوا إلى عيسى ابن مريم فإنه كان يبرا الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندى ، انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم - عز وجل - قال: فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى ، فيقول له الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة ، فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة ، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال: فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى ، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع ، واشفع تشفع قال: فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من

الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط ، فيقول: إى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، حتى أنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال: فيجىء النبى ومعه العصاة ، والنبى ، ومعه الخمسة والستة . والنبى ليس معه أحد ، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك ، قال: فيقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين ادخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئاً ، قال: فيدخلون الجنة ، قال: ثم يقول الله عز وجل: انظروا فى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟ قال: فيجدون فى النار رجلاً ، فيقولون له هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع ، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدى بسماحته إلى عبيدى . ثم يخرجون من النار رجلاً يقول: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا غير إنى أمرت ولدى إذا مت فأحرقونى فى النار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فأذرونى فى الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً . فقال الله عز وجل له لم فعلت ذلك ؟ قال: من مخافتك قال: فيقول الله عز وجل: انظر إلى ملك أعظم ملك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال: فيقول: أتسخر بى وأنت الملك ؟ وذلك الذى ضحكت منه من الضحى «^(١) . وأما حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ففى

(١) رواه أحمد (٤/١) ، وأبو يعلى (٥٦) والبزار (٣٤٦٥) كشف الأستار . وفى إسناداه والان ابن بيهس ويقال ابن قرفة العدوى . روى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق حديث الشفاعة مطولاً . روى عنه البراء بن نوفل قال الدارقطنى فى العلل (١٨٩/١) ، (١٩١) : ليس بمشهور والحديث غير ثابت ، وقد قال يحيى بن معين : بصرى ثقة - وذكره ابن حبان فى الثقات - وأخرج حديثه فى صحيحه قلت : وكذا أخرجه أبو عوانة وهو من زياداته على مسلم كذا فى لسان الميزان (٧/٢٨٢) .

الصحيحين من حديث أبى هريرة: أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: «هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا قال: «فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر والقمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتىهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتىهم الله - عز وجل - فى صورته التى يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يميز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ » قالوا: نعم يا رسول الله ، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول: لا اله إلا الله ، فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول: أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعو ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره فيعطى

ربه من عهود ومواريق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار . فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول: أى ربى قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواريقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! فيقول: أى ربى فيدعو الله ، حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره ؟ فيقول: لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواريق فيقدمه الله تعالى إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أى رب أدخلنى الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواريقك أن لا تسألنى غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! فيقول: أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له تمن ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول: تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني ، قال الله عز وجل: ذلك لك ومثله معه .»

قال أبو سعيد: « وعشرة أمثاله معه .» قال عطاء بن يزيد وأبوسعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبوهريرة قال: إن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبوسعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبوسعيد: أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله: « ذلك لك وعشرة أمثاله » . قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة^(١).

وفى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى: أن ناسا فى زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ: « نعم

هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب ؟ » قالوا: لا يا رسول الله . قال: « ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، وغيرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزير بن الله ، فيقال: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، فيتساقطون في النار ، ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال: لهم كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال: لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا قال: فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاهم الله رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليها ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم ، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا ، حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟ فيقولون: نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم ، فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة .»

قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: « دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلاص المؤمنون من النار فوالذي نفسى بيده ما من أحد منكم ناشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال: لهم اخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ، قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبته فيقولون: ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا . ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا قط . »

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظَلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٤٠] ، فيقول الله - عز وجل: « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقى فيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة : فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض . » فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال: « فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة ، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه

ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول: لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون: يا ربنا وأى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول تعالى: رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا «^(١) .

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: كنا جلوسا مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: « إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا ، لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله: ﴿ وَسَبِّحْ نَحْمَدِ رَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [سورة ق: ٣٩]^(٢) ، رواه عن إسماعيل بن أبى خالد عبد الله بن إدريس الأزدي ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربى ، وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد ، وهشيم بن بشير ، وعلى بن عاصم ، وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية ، وأسامة ، وعبد الله بن نمير ، ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ، ووكيع بن الجراح ، ومحمد بن الفضيل ، والطفالوى ، ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبى خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حى وورقاء بن عمرو ، وعمار بن زريق ، وأبو الأغر سعيد بن عبد الله ، ونصر بن طريف ، وعمار بن محمد ، والحسن بن عياش أخو أبو بكر ، ويزيد بن عطاء ، وعيسى بن يونس ، وشعبة بن الحجاج ، وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكرى ، وحسين بن واقد ، ومعمربن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر ، وهريم بن سفيان ، ومندل بن على وأخوه سنان بن على وعمر بن يزيد ، وعبد الغفار بن القاسم ، ومحمد

(١) البخارى (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

(٢) البخارى (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .

ابن بشير الحريرى ومالك بن مغول ، وعصام بن النعمان ، وعلى بن القاسم الكندى ، وعبيد بن الأسود الهمدانى ، وعبد الجبار بن العباس ، والمعلى بن هلال ، ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، والصبح بن محارب ، ومحمد بن عيسى ، وسعيد بن حازم ، وأبان بن أرقم ، وعمرو بن النعمان ، ومسعود بن سعد الجعفى ، وعثمان بن على ، وحسن بن حبيب ، وسنان بن هارون البرجمى ، ومحمد بن يزيد الواسطى وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى ابن الحارث المحاربى وشعيب بن راشد والحسن بن دينار ، وسلام بن أبى مطيع وداود بن الزبرقان ، وحامد بن أبى حنيفة ، ويعقوب بن حبيب ، وحكام ابن سلم وأبو مقاتل بن حفص ، ومسيب بن شريك ، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وعمرو بن سمر الجعفرى وعمرو بن عبد الغفار التيمى . وسيف بن هارون البرجمى أخو سنان وعابد بن حبيب ، ومالك بن سكير بن الخمس ، ويزيد بن عطاء مولى أبى عوانة ، وخالد بن يزيد العصرى ، وعبد الله ابن موسى ، وخالد بن عبد الله الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ، ورقبة بن مصقلة ، ومعمر بن سليمان الرقى ، ومرجى ابن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار ، وإبراهيم بن طهمان ، وخارجة بن مصعب ، وعبد الله بن عثمان شريك شعبة ، وعبد الله بن فروح وزيد بن أبى أنيسة وجوده فقال: « فستعينون ربكم عز وجل كما تعينون هذا القمر » ، وأبو شهاب الخياط وقال: « وسترون ربكم عيانا » وحارثة بن هرم ، وعاصم ابن حكيم ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو جعفر الرازى ، والحسن بن أبى جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو ، وعبد السلام بن عبد الله بن قررة العنبرى ، ويزيد بن عبد العزيز ، وعلى بن صالح بن حى ، وزفر بن الهذيل ، والقاسم بن معن تابع إسماعيل بن أبى خالد عن قيس جماعة منهم: بيان بن بشر ، ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن ، وجرير بن يزيد بن جرير

البجلى ، وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبى حازم عن جرير ، وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبى خالد وشهد إسماعيل بن أبى خالد على قيس وشهد قيس بن أبى حازم على جرير بن ، وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فإنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول ويبلغه لأمته ولا شىء أقر لأعينهم منه ، وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم ، وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها ، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.

وأما حديث صهيب ، فرواه مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى لى عن صهيب قال: قال: رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شىئا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شىئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم » ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] ^(١) ، وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبهم بالقبول والتصديق. وأما حديث عبد الله بن مسعود ، فقال الطبرانى: حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن أبى كريمة الحرانى حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » قال: « ويترل الله

- عز وجل- فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ، ثم ينادى مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون فى الدنيا أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا» قال: « فينطلقون ، ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون » قال: « ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيزاً ، ويبقى محمد ﷺ وأمتة فيأتيهم الرب عز وجل يقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلها ما رأيناه بعد فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه قال: فيقول: ما هى فيقولون: يكشف عن ساقه ، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ، ويبقى قوم ظهورهم كصياصى البقر ، يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك ، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إهمام قدمه يضيء مرة ويطفىء مرة . فإذا أضاء قدم قدمه ومشى ، وإذا أطفئ قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى أثره كحد السيف » ، قال: ويقول: مروا فيمرون على قدر نورهم ، منهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كأنقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم كشد الرحل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إهمام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلاص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطانى الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن

رأيتها قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول: رب أدخلني الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيستها . قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه حلم ليدخله ، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ! فيقول: لا وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فيزله قال: ويرى أو يرفع له إمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله عز وجل: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، قال: لا وعزتك لا أسألك غيره . وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فيزله قال: ويرى أو يرفع له إمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول: رب أعطني ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ! قال: لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه قال: فيعطاه فيزله ، ثم يسكت فيقول الله عز وجل: ما لك لا تسأل ، فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل: « ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفيتها وعشرة أضعافها؟ فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العزة ؟ فيضحك الرب عز وجل من قوله .» قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت ؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مرارا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه ، قال: « فيقول الرب عز وجل لا ، ولكني على ذلك قادر ، سل فيقول: ألحقني بالناس فيقول: الحق بالناس ، قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجدا فيقال: له ارفع رأسك ما لك ؟ فيقول رأيت ربي أو تراءى لي ربي ، فيقال له: إنما هو منزل من

منازلك قال: ثم يلقي فيها رجلاً فيتهياً للسجود فيقال له: مه ما لك ؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول: له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال: وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وإغلاقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بجمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدنانهن حوراء عيناء ، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها موآتها إذا أعرض عنها إعراسة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك ، فيقول لها: والله لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفا فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفا فيقال له: أشرف قال: فيشرف ، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره » ، قال: فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب ، عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم ؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ، ثم قال: من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد ، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريجه فيقولون: واهاً لهذا الريح ، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه ، فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها فقال كعب: والذى نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا يخر لركبته حتى أن

إبراهيم خليل الله يقول: «رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»^(١). هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن أحمد والطبرانى والدارقطنى فى كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد ، حدثنا محمد بن أبى عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا أبى حدثنا ورقاء بن عمرو ، حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة عن عبد الله ، ورواه من طريق عبد السلام بن حرب ، حدثنا الدالانى ، حدثنا المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ، ورواه من طريق زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة به ، ورواه من طريق أحمد بن أبى طيبة عن أبية عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبى هند عن أبى عبيدة.

وأما حديث على بن أبى طالب فقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ : « يزور أهل الجنة الرب - تبارك وتعالى - فى كل جمعة » ، وذكر ما يعطون قال: « ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى

(١) إسناده ضعيف رواه عبد الله بن أحمد (فى السنة) (١٢٠٣) ، والطبرانى فى الكبير (٩٧٦٣) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن أبى كريمة به . وإسماعيل ، قال فيه الخطيب: إسماعيل يحدث عن محمد بن سلمة بعجائب . ورواه الحاكم (٥٨٩/٤) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ٢٣٩) من طريق أبى خالد الدالانى عن المنهال بن عمرو وصحح هذا الحديث الحاكم وتعقبه الذهبى بقوله: (ما أنكره حديثا مع جودة إسناده وأبو خالد شيعى منحرف . ورواه الدارقطنى فى الرؤية (١٧٥ ، ١٧٦) وغيره من طريق أبى طيبة عن كرز ابن وبرة عن نعيم ابن أبى هند عن أبى عبيدة عن ابن مسعود مرفوعا وفى إسناده أبو طيبة عيسى بن سليمان ضعيف ، وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود ورواه الأجرى فى الشريعة (٦١٠).

وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٥] ^(١) ، وأما حديث أبي موسى: ففى الصحيحين عنه عن النبي ﷺ قال: « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » ^(٢) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالوا: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « يجمع الله الأمم فى صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعوهم حتى يقحموا بهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم ؟ فنقول: نحن المسلمون فيقول: ما تنتظرون ؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فنقول: نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهوديا أو نصرانيا مكانه » ^(٣) .

وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبي بردة عن

(١) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

(٢) صحيح وقد سبق .

(٣) إسناده ضعيف رواه أحمد (٤/٤٠٧) ، وغيره وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وعمارة القرشى وكلاهما ضعيف ولكن يشهد له ما رواه مسلم (١٩١) بإسناده عن جابر يسأل عن الورود ؟ فقال : نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أى ذلك فوق الناس قال : فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنظرون فيقولون ننظر ربنا فيقول أنا ربكم الحديث وقد روى هذا الحديث مرفوعا رواه أحمد (٤/٤٠٧) وغيره وفى إسناده ابن لهيعة فيه ضعف ورواه الدارقطنى فى الرؤية (٦٣) وفى إسناده محمد بن شرحبيل ضعيف .

أبى موسى عن النبي ﷺ قال: « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة »^(١). وذكر الدارقطني من حديث إبان بن أبى عياش عن أبى تيمية إلهجيمى عن أبى موسى عن النبي ﷺ قال: « يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله - عز وجل »^(٢). وأما حديث عدى بن حاتم ففى صحيح البخارى قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال: « يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ » قلت: لم أرها وقد أنبت عنها قال: « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله » قلت: فيما بينى وبين نفسى: فأين دعار طيى الذين سعروا البلاد « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: « كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول: بلى يا رب فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

قال عدى بن حاتم: سمعت النبي ﷺ يقول: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة » ، قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة

(١) إسناده ضعيف جدا وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وعمارة القرشى وكلاهما ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه الدارقطني فى الرؤية (٥٣) واللالكائى (٧٨٢) ، والطبرى فى تفسيره (١٧٦٣٣) وفى إسناده إبان وهو متروك .

حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ (١) .

وأما حديث أنس بن مالك ، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وفي لفظ فيلهمون لذلك - فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق ، خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول: لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن اتنوا نوحا أول رسول بعثه الله عز وجل ، قال: فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتنوا إبراهيم الذي اتخذته الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن اتنوا موسى الذي كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة .

فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن اتنوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم ولكن اتنوا محمدا ﷺ ، عبدا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » قال: قال رسول الله ﷺ : « فيأتون فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي فأشفع ، فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد ، وقل

تسمع وسل تعط واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيہ ربى ثم أشفع ، فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأخلهم الجنة » قال: « فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة » . قال: « فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود »^(١).

وذكر ابن خزيمة عن ابن عبد الحكم عن أبیه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: « يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا » فذكر الحديث إلى أن قال: « فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها ، فأنتلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجدا » . وذكر الحديث. وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث: « فاستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجدا » ، وقال عفان عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس: « فأتى ربى وهو على سريرہ أو كرسيه فأخر له ساجدا » ، وساقه ابن خزيمة بسياق طويل ، وقال فيه: « فاستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدا ».

ورؤية النبى ﷺ لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفى حديث أبى هريرة: « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا »^(٢).

(١) البخارى (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣)

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن أبى هريرة ولبعض فقراته شواهد فى الصحيحين وله شاهد رواه أحمد (١٤٤/٣) من حديث أنس بن مالك وفى إسناده عمرو بن أبى عمرو يختلف فيه قال الحافظ ثقة ربما وهم . وقد ذكره الشيخ الألبانى فى الصحيحة (١٥٧١).

وقال الدارقطنى: حدثنا محمد بن إبراهيم النسائى المعدل بمصر ، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضى ، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد ، حدثنا الخليل بن عمر عن عمر الأبج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: « النظر إلى وجه الله عز وجل »^(١).

حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصبهاني ومحمد بن جعفر بن أحمد المطيرى ومحمد بن على بن إسماعيل الأيلى قالوا: حدثنا عبد الله بن روح المدائنى ، حدثنا سلام بن سليمان ، حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجريز بن عبد الحميد كلهم قالوا: حدثنا ليث عن عثمان بن أبى حميد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أتانى جبريل وفى كفه كالمراة البيضاء يحملها ، فيها كالنكتة السوداء فقلت: ما هذه التى فى يد يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة ، قلت: وما الجمعة ؟ قال: لكم فيها خير كثير ، قلت: وما يكون لنا فيها ؟ قال: يكون عيدا لك ولقومك من بعدك ، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم إلا أعطاه إياه ، أو ليس له بقسم إلا ذخره له فى آخرته ما هو أعظم منه ، قلت: وما هذه النكتة التى فيها؟ قال: هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزد ، قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال:

(١) إسناده ضعيف رواه الدارقطنى فى الرؤية (٦٨) وفى إسناده عمر بن حماد بن سعيد وهو

إن ربك اتخذ في الجنة واديا فيه كئبان من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسى بكراسى من نور ، فيجىء النيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر ، ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ، ثم يترل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكئبان ، ثم يتجلى لهم الله عز وجل فيقول: أنا الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، وهذا محل كرامتى ، فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النيون والصديقون ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء: غرفها وأبوابها وأقمارها مطردة فيها ، وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها ، فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ، ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة»^(١) . هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول

(١) إسناده ضعيف رواه ابن أبى شيبة (١٥٠/٢) وغيره وفى إسناده عثمان بن أبى حميد أبو اليقظان الكوفى ضيف جدا ، وروايته عن أنس مرسلة.

ورواه أبو يعلى فى مسنده (٤٢٢٨) من طريق شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن عن على بن الحكم البنانى عن أنس ، وهذا السند وإن كان ظاهره الحسن إلا أنه معل بما رواه العقيلى فى الضعفاء عن الصعق بن حزن عن على بن الحكم عن عثمان عن أنس عن النبى ﷺ فذكره قال أبو زرعة: هذا خطأ رواه سعيد بن زيد عن على بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أنس عن النبى ﷺ قال أبى: نقص الصعق رجلا من الوسط .

ورواه الطبرى فى التفسير (٣١٩٤٠) وغيره وفى إسناده صالح بن إبراهيم وهو ضعيف ورواه الدارقطنى فى الرؤية (٧٦) وغيره وفى إسناده عمر بن عبد الله وهو ضعيف ولم يلق أنس بن مالك وله طرق أخرى كما عند الطبرانى فى الأوسط (٩٤٤ ، ٩٤٥) مجمع البحرين ولكن هذه الطرق كلها ضعيفة والله أعلم.

وجمل به الشافعي مسنده ، فرواه عن إبراهيم بن محمد قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: حدثني أبو الأزهر عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكره بنحوه ، وقد تقدم لفظه . ثم قال الشافعي: أنبأنا إبراهيم قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء ، ورواه محمد بن إسحاق قال: حدثني ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه: « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقي الحديث.

ورواه عمرو بن أبي قيس عن أبي طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده ، وفيه: « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسیه ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويحيى أهل الغرف حتى يجلسوا على الكتب » ، قال: « ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه ، فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتي . وهذا محل كرامتي اسألوني . فيسألونه الرضا ، قال: رضاي آمن لكم داري . وأنا لكم كرامتي سلوني فيسألونه الرضا قال: فيشهدهم بالرضا ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم » ، وذكر الحديث.

ورواه علي بن حرب: حدثنا إسحاق بن سليمان ، حدثنا عنبة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن عثمان ، وقال فيه: « ثم يرتفع على كرسیه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ».

ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال: سمعته يقول: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: « أتاني جبريل في يده كالمراة

البيضاء فى وسطها كالتكتة السوداء قلت: يا جبريل ما هذا ؟ قال: هذا يوم الجمعة ، يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدا ولأمتك من بعدك ، قال: قلت: يا جبريل ما هذه التكتة السوداء ؟ قال: هى الساعة وهى تقوم يوم الجمعة . وهو سيد أيام الدنيا ، ونحن ندعوه فى الجنة يوم المزيـد ، قال: قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيـد ؟ قال: إن الله اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا - عز وجل - على كرسيه إلى ذلك الوادى . وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر . وقد حفت تلك المنابر بكراسى من نور ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كتبان المسك إلى الركب . عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير . حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى . فإذا اطمأنوا فيه جلوسا بعث الله عليهم ريحا يقال لها: المثيرة ، فأتارت ينابيع المسك الأبيض فى وجوههم وثيابهم ، وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة ، فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى ، فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود ، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رءوسكم فإنما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء ، سلوى ما شئتم ، فأنا ربكم الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، فهذا محل كرامتى فسلوى ما شئتم ، فيقولون: ربنا وأى خير لم تفعله بنا ، أأست أعنتنا على سكرات الموت ، وآنست منا الوحشة فى ظلمات القبور ، وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور؟ أأست أقلت عثراتنا وسترنا علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ أأست الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذادة منطلقك ، وتجليت لنا بنورك فأى خير لم تفعله بنا؟ فيعود بالله - عز وجل - فيناديهم بصوته فيقول: أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى . وأتممت عليكم نعمتى فسلوى . فيقولون: نسألك رضاك فيقول:

برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم ، وسترت عليكم القبيح من أموركم . وأدنيست مني جواركم ، وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري ، فهذا محل كرامتي فسلوني ، فيسألونه حتى تنتهي مسألتهم ثم يقول - عز وجل: سلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل: سلوني . فيقولون: رضينا وربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة » ، قال أنس: فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم ؟ قال: « كقدر الجمعة إلى الجمعة » ، قال: « ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل . وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته » قال أنس: سمعته من رسول الله ﷺ ، وليس بيني وبينه أحد^(١) .

ورواه الدارقطني أيضا عن أبي بكر النيسابوري قال: أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال: أخبرني محمد بن شعيب قال: أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس ، ورواه محمد بن خالد بن جنى: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا صفوان قال: قال أنس : قال رسول الله ﷺ ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس . ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب: حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس ، ورواه الأسود بن عامر قال: ذكر لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ، ورواه ابن بطة في « الإبانة » من

(١) منكر ، رواه الدارقطني في الرؤية (٧٥) والعقيلي في الضعفاء (١/٢٩٢) ، ومحمد بن

سعيد منكر الحديث قال العقيلي في ترجمة حمزة بن واصل وحديثه غير محفوظ ليس له من

حديث قتادة أصل هذا حديث عثمان بن عمير أبو اليقظان عن أنس .

حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طرقه. وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق ابن خزيمة: حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي ، حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان »^(١).

وأما حديث أبي بن رزین العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خدّاش عن أبي رزین قال: قلنا: يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة ؟ قال: « نعم » ، قلت: وما آية ذلك في خلقه ؟ قال: « أليس كلکم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ » قلنا: نعم ، قال: « الله أكبر وأعظم »^(٢) . قال عبد الله: قال أبي: والصواب حدس.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة به ، فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى ابن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزین فيه إسناده آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزین العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف: وهو

(١) إسناده ضعيف جدا وله شواهد صحيحة في الصحيحين . رواه الدارقطني في الرؤية (٢٠١/١) وغيره وفي إسناده عبد العزيز بن أبان وهو متروك وبشير بن مهاجر لين الحديث و رواه ابن خزيمة في التوحيد ص ١٥٠ من طريق زيد بن الحباب عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، وهذا الإسناد قد يحسن إلا أن في رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه مقال ولكن يشهد لهذا الحديث ما رواه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠٠١٦) عن عدي بن حاتم مرفوعا (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) . الحديث .

(٢) إسناده ضعيف رواه أحمد (١١/٤) ، وأبو داود (٤٧٣١) ، وابن ماجه (١٨٠) وغيرهم وفي إسناده وكيع بن خدّاش وهو مجهول .

لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة ، هكذا قال البخارى ، وابن أبى حاتم وغيرهما وقيل: هما اثنان ، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول . وقال ابن عبد البر: من قال: لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط ابن عامر بن صبرة. وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا ابن جريج قال: أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يسأل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا ، أى فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد ، الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: ومن تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا فيقول: أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك . قال: فينطلق بهم ويتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون ، فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء النجوم فى السماء ، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة . فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء فى السيل ، ويذهب حرقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها^(١) ، رواه مسلم فى صحيحه وهذا الذى وقع فى الحديث من قوله: على كذا وكذا . قد جاء مفسرا فى رواية صحيحة ذكرها عبد الحق فى الجمع بين الصحيحين: « نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق » .

وقال عبد الرزاق: أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثنى ابن جريج قال: أخبرنى زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله

ﷺ : « يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه ، فيخرون له سجدا ، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة »^(١).

وقال الدارقطني: أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكين ، حدثنا أحمد بن محمد ابن عمر بن يونس ، حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال: حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا »^(٢) ، ورواه أبو قرعة عن مالك بن أنس عن زياد بن سعد: حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم »^(٣) ، فذكر الحديث وفيه: « فيقول: أتعرفون الله - عز وجل - إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم ، فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم إنه لا عدل له ، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، فيخرون له سجدا » .

وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ثنا أبو عاصم العباداني ثنا الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور . فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم أهل الجنة ، وهو قول الله عز وجل: ﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ

(١) إسناده ضعيف جدا رواه الدارقطني في الرؤية (٦٢) وفي إسناده أحمد بن محمد بن عمر اليمامي وهو ضعيف جدا .

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه الدارقطني في الرؤية (٦٣) وفي إسناده أحمد بن محمد اليمامي وهو وضعيف جدا ومحمد بن شرحبيل : ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف : رواه الدارقطني في الرؤية (٦٤) وفي الإسناد جعفر بن شعيب ذكره الخطيب في تاريخه (٧/ ١٩٥ ، ١٩٦) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا .

رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ [سورة يس: ٥٨] ، قال: « فينظر إليهم وينظرون إليه . فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركتته ونوره عليهم في ديارهم »^(١).

وقال حرب فى مسائله: حدثنا يحيى بن أبى حزم حدثنا يحيى بن أبى عاصم العبادانى فذكره . وعند البيهقى فى هذا الحديث سياق آخر رواه أيضا من طريق العبادانى عن الفضل بن عيسى عن بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف . فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني . قالوا: نسألك الرضا عنا ، قال: رضائى أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى هذا أوأنا فسلوني ، قالوا: نسألك الزيادة . قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله - عز وجل - بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحا يقال لها: المثيرة ، حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة ، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم . فيقول: مرحبا بالصادقين ومرحبا بالطائعين قال: « فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا ، ثم يقول: أرجعوههم إلى القصور بالتحف ، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا » ، فقال رسول الله ﷺ: « فذاك قوله تعالى: ﴿ نَزَّلًا مِّنْ

(١) إسناده ضعيف جدا رواه ابن ماجه (١٨٤) وغيره وفى إسناده فضل بن عيسى الرقاشى وهو منكر الحديث وقد حكم على هذا الحديث ابن الجوزى بالوضع كما فى الموضوعات (٣/ ٢٦٠، ٢٦٢).

عَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [سورة فصلت: ٣٢] ^(١). رواه فى «كتاب البعث والنشور»، وفى «كتاب الرؤية» قال: وقد مضى فى هذا الكتاب، وفى كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر، وقال الدارقطنى: أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال النبى ﷺ: «إن الله - عز وجل - يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة» ^(٢). وأما حديث أبى أمامة، فقال ابن وهب: أخبرنى يونس بن يزيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوما فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله - عز وجل - لم يبعث نبيا إلا حذره أمته وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وشمالاً، يا عباد الله اثبتوا وإنه يبدأ فيقول: أنا نبى ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول: أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتل فى وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف، وإنه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه، وليستغث بالله تكن بردا وسلاما كما كانت النار

(١) إسناده ضعيف جدا رواه البيهقى فى البعث (٤٩٣).

(٢) إسناده ضعيف جدا رواه الدارقطنى فى الرؤية (٢٨) وفى إسناده أبو الحسن على بن عبدة

بردا وسلاما على إبراهيم ، وإن أيامه أربعون يوما: يوما كسنة ويوما كشهر ويوما كجمعة ، ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب ، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر « قالوا: فكيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام؟ قال: « تقدرُونَ كما تقدرُونَ فى الأيام الطوال »^(١) . ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرخ عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى ابن أبى عمرويه مختصرا . وأما حديث زيد بن ثابت ، فقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنى أبوبكر قال: حدثنى ضمرة بن حبيب عن زيد ابن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: « قل حين تصبح: ليك اللهم ليك ، ليك وسعديك والخير فى يدك ومنك وإليك ، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير . اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وأخفى بالصالحين ، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى على أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا تغفره ، اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) ، وعبد الله بن أحمد (السنه) (١٠٠٨) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١٨٥) وقد وقع سقط عند ابن ماجه وفى إسناده عمرو بن عبد الله الحضرمى وهو مجهول وروى البخارى (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩) من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرائى الناس فقال : إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية ، ولبعض فقراته شواهد من حديث عبادة بن الصامت وسيأتى إن شاء الله .

والإكرام ، فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا ، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك ، وأشهد أن وعدك حق وأن لقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من فى القبور ، وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وتب على إنك أنت التواب الرحيم» ^(١) ، رواه الحاكم فى صحيحه . وأما حديث عمار ابن ياسر ، فقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك عن أبى هاشم عن أبى مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى ، قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » ^(٢) ، وأخرجه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما .

وأما حديث عائشة: ففى صحيح الحاكم من حديث الزهرى عن عروة

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (١٩١/٥) وغيره وفى إسناده أبو بكر بن مريم وهو ضعيف مختلط .

(٢) حسن لغيره رواه أحمد (٢٦٤/٤) وغيره وفى إسناده شريك وهو سيئ الحفظ ، وروى النسائى (٥٤/٣) وغيره هذا الحديث من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر به وعطاء بن السائب إن كان قد اختلط فقد سمع منه حماد بن زيد قبل الاختلاط .

عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «يا جابر ألا أبشرك؟» قال: بلى ، بشرك الله بخير ، قال: «شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال: تمن على عبدى ما شئت أعطكه . قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى ! قال: إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع»^(١) ، وهو فى المسند من حديث جابر وفى مسنده أدخله .

وللترمذى فى سياق أتم من هذا عن جابر قال: لما قتل عبد الله بن عمرو ابن حرام يوم أحد . قال طلحة بن خراش ، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقينى رسول الله ﷺ فقال لى: «يا جابر مالى أراك منكسرا؟» قلت: يا رسول الله استشهد أبى وترك عيالا ودينا . قال : «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» ، قال: بلى يا رسول الله ، قال: «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجابيه وأحيا أباك فكلمه كفاحا ، فقال: تمن على أعطيك . قال: يا رب تحيينى فأقتل فيك ثانية قال الرب تبارك وتعالى: إنه سبق منى أنهم لا يرجعون . قال: وأنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]^(٢) ، قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب ، قلت: وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم فى صحيحه . وأما حديث عبد الله بن عمر ، فقال الترمذى: حدثنا عبد بن حميد عن شعبة عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة ،

(١) إسناده ضعيف جدا والمتن حسن بشواهد رواه الحاكم (٢٠٣/٣) وغيره وفى إسناده فيض ابن وثيق متروك ورواه أحمد (٣/٣٦١) والحميدى (١٢٦٥) وعبد بن حميد (١٠٣٧) من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن على السلمى عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن جابر قال : قال لى رسول الله ﷺ . الحديث بمعناه ، وفى إسناده عبد الله بن محمد بن عجيل مختلف فيه فهو يصلح فى الشواهد المتابعات ويشهد له الحديث الآتى .

(٢) حسن بشواهد رواه الترمذى (٣٠١٠) ، وابن ماجه (١٩٠ ، ٢٨٠٠) وغيرهما وفى إسناده موسى بن إبراهيم روى عنه جماعة وذكره ابن حبان فى الثقات قال: وكان يخطئ . الثقات (٧/٤٤٩) ويشهد له الحديث السابق .

وقال الطبراني: حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين»^(١).

قال الترمذي: هذا حديث غريب ، وقد رواه من غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعا ، وروى عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قوله ولم يرفعه وروى الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه ، ولا نعلم أحدا ذكر فيه عن مجاهد غير الثوري. قلت: ورواه الحسن بن عرفة بن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا وزاد فيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ^(٢).

وقال سعيد بن هشيم: بن بشير عن أبيه عن كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى»^(٣) ، ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاد عنه.

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب الحناط عن خالد بن دينار عن حماد ابن جعفر عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة» قالوا: بلى يا رسول الله ، فذكر الحديث - إلى أن

(١) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف جدا وقد سبق الحكم على هذا الإسناد مرات .

(٣) إسناده ضعيف رواه الدارقطني في الرؤية (١٩٢) وفي إسناده كوثر بن حكيم ضعيف .

قال - « حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم ، فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل ، فيقول: يا أهل الجنة هللون وكبرون وسبحون بما كنتم تهللون وتكبرون وتسبحون في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني ، فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل »^(١) .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي: حدثنا محمد بن يونس عن أبي شهاب الحنات عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ : « إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن »^(٢) . وأما حديث عمارة بن ربيعة فقال ابن بطة في « الإبانة »: حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي ، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي ، حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر ابن عمارة بن ربيعة عن أبيه قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا »^(٣) .

قال ابن بطة: وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن

(١) إسناده ضعيف : رواه الدارقطني في الرؤية (١٩٣) وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في صفة أهل الجنة (٣٤٢) وفي إسناده حماد بن جعفر العبدى وهو لين الحديث وروايته عن ابن عمر مرسله .

(٢) إسناده ضعيف في إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف وله شواهد صحيحة في إسناده عمارة بن ربيعة مجهول ولكن روى البخارى (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير عن رسول الله قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا. ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .

هارون: حدثنا عبد الرزاق بن منصور ، حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن روية عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم - تبارك وتعالى - كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا »^(١) . وأما حديث سلمان الفارسي ، فقال أبو معاوية: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله ، إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك قم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول: « نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة . فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال: من هذا ؟ فيقال: محمد قال فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له » الحديث ، وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطه: أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون ، حدثنا يزيد بن جهمور ، حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري ، حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان ، وقال البزار: وحدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصفري قال: حدثنا يحيى بن كثير العنبري ، حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها ، وإذا في وسطها نكتة سوداء ، قال: قلت يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها ، قال: قلت: وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة ، قال: قلت: وما الجمعة ؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة

(١) إسناده ضعيف والمتن له شواهد في الصحيحين انظر الذي قبله .

أما شرفه وفضله في الدنيا: فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق ، وأما ما يرجى فيه: فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرا إلا أعطاهما إياه . وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة: فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته ، فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد ، لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل ، في كشبان من المسك قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت » .

قال: « فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحا تدعى المثيرة تثير عليهم أثاير المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم ، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم ، لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله تعالى » .

قال: « ثم يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب ، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمرى ، فسلوني فهذا يوم المزيد » ، قال: « فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا » قال: « فيرجع الله تعالى في قولهم: أن يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسلوني فهذا يوم المزيد »

قال: « فيجتمعون على كلمة واحدة: رضينا عنك فارض عنا » قال « فيرجع الله عز وجل في قولهم : أن يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي

فهذا يوم المزيد فسلوني» قال: «فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليه» قال: «فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم ألا يحترقوا لا تحترقوا مما غشاهم من نوره» قال: «ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم»، قال: «فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشاهم من نوره ، فإذا صاروا إلى منازلهم يزداد النور وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها» . قال: «فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها؟» قال: «فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم» قال: «فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه» . قال: وذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٧] (١) .

وقال عبد الرحمن بن سعيد: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم ابن يزيد السعدي عن حذيفة في قوله عز وجل: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: النظر إلى وجه الله عز وجل ، قال الحاكم: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع. وأما حديث ابن عباس ، فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال: قال رسول الله ﷺ: « ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فأتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب ، فأقرع الباب فيقول: من أنت؟ فأقول: أنا محمد فأتى ربي وهو على كرسيه أو على سريره

(١) إسناده ضعيف رواه البزار (٣٥١٨) وابن بطة (٢٦) في المختار من الإبانة وفي إسناده القاسم بن مطيب قال ابن حبان في المجروحين: كان يخطئ كثيرا فاستحق الترك .

فيتجلى لي ربي فأخبر له ساجدا»^(١) ، ورواه ابن عينة عن ابن جدعان فقال: عن أبي سعيد بدل ابن عباس . وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عمي محمد ابن الأشعث: حدثنا ابن جسر قال: حدثني أبو جسر عن الحسن عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور ، وأقربهم منه مجلسا أسرعهم إليه يوم الجمعة ، وأبكرهم غدوا »^(٢) . وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصاغانى: حدثنا صدقة أبو عمرو المقعد قال: قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه عبد الله بن عمرو قال: سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا ، فإن منهم الملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلي لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم . قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك^(٣) .

(١) إسناده ضعيف ، وبعض فقراته شرهه ضعيف . رواه أحمد (٢٨١/١ ، ٢٨٢) وغيره وفي إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ويشهد له حديث أبي هريرة عند مسلم (١٩٨) عن رسول الله قال (لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » وروى مسلم (١٩٧) من حديث أنس أن رسول الله قال : « أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح . فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك » .

(٢) إسناده ضعيف رواه الأجرى في الشريعة (٦١١) في إسناده ابن جسر وهو محمد بن جسر وأبوه جسر بن فرقد وكلاهما ضعيف . قلت تنبيه وقع خطأ في كتاب الشريعة قال حدثنا حسن بن حسن قال حدثنا أبي

(٣) إسناده حسن رواه البخارى في التاريخ الكبير (٨/٢) وفي إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس ولكنه قد صرح بالتحديث وعبد الله بن عمرو بن عثمان ليس به بأس فإسناده حسن ولكن عبد الله بن عمرو معروف براويته للإسرائيليات .

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطنى: حدثنا عبد الصمد بن على ، حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال: حدثنى قحطبة بن علاقة ، حدثنا أبو خلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: « النظر إلى وجه الله عز وجل »^(١) . وأما حديث كعب بن عجرة ، فقال محمد بن حميد: حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

قال: « الزيادة: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى »^(٢) .

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمى: حدثنا محمد بن المهاجر عن أبى حليس عن أبى الدرداء أن فضالة - يعنى ابن عبيد - كان يقول: اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة^(٣) . وأما حديث عبادة بن الصامت ، فى مسند أحمد من حديث بقية: حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: « قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مظموس العين ليست بناتئة ولا جحراء . فإن التبس عليكم ، فاعلموا أن ربكم

(١) رواه الدارقطنى فى الرؤية (٢٠٠) وفى إسناده قحطبة لم أقف له على ترجمة .

(٢) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٣) إسناده صحيح : رواه الدارقطنى فى الرؤية (٢٢٩) وغيره .

ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»^(١). وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ ، فقال الصاغاني: حدثنا روح بن عباد ، حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدى بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن ، فجعل يعظ حتى بكى وأبكنا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت ، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة ولقد سمعت فلانا - نسي عباد اسمه - ما بينى وبين رسول الله ﷺ غيره فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكا يسبح الله تعالى» ، قال: «وملائكة سجود منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتجلي لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك»^(٢).

وهناك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم: قول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه: قال أبو إسحاق عن

(١) إسناده ضعيف ولبعض فقراته شواهد فى الصحيحين رواه أحمد (٣٢٤/٥) وأبو داود (٤٣٢) وغيرهما وفى إسناده بقية وهو مدلس تدليس التسوية وله شواهد فى الصحيحين منها ما رواه مسلم (١٦٩) فى صفة الدجال أن رسول الله ﷺ قال: أرانى ليلة عند الكعبة ثم ذكر الحديث وفيه ثم إذا أنا برجل جعد قطط . أعور العين اليمنى . كأنها عتبة طافية . فسألت . من هذا ؟ فقليل المسيح الدجال)

ومنها ما رواه البخارى (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩) عن عبد الله بن عمرو مرفوعا قال : إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عتبة طافية وله شواهد أخر فى الصحيح .

(٢) إسناده ضعيف : رواه البيهقى فى الشعب (٩١٤) وفى إسناده عباد بن منصور وهو ضعيف .

عامر بن سعد: قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]

فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال: « النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى ».

قول على بن أبى طالب - رضى الله عنه: قال عبد الرحمن بن أبى حاتم حدثنى أبى : حدثنا على بن ميسرة الهمداني ، حدثنا صالح بن أبى خالد العبدى عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبد قال سمعت عليا يقول: من تمام النعمة دخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - فى جنته ^(١) .

قول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة ، قال: الزيادة النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى . قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذا المسجد - مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، قال: فيقول ما غرك بى يا ابن آدم ثلاث مرات ، ماذا أجبت المرسلين ثلاثا ، كيف عملت فيما علمت ^(٢) ، وقال ابن أبى داود: حدثنا أحمد بن الأزهر ، حدثنا إبراهيم ابن الحكم حدثنا أبى عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل ؟ قال: نعم.

وقال أسباط بن نصر: عن إسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن

(١) إسناده ضعيف: رواه اللالكائى (٨٥٩) وفى إسناده عمارة بن عبد : لين الحديث .

(٢) إسناده صحيح: رواه اللالكائى (٨٦٠) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١٧) ، والطبرانى فى الكبير (٢٠٤/٩) .

ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود: «الزيادة» النظر إلى وجه الله عز وجل . قول معاذ بن جبل: قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز ، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة قال: كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له: أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى سمعته يقول: يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا الله في العبادة فيمرون إلى الجنة^(١) . وقول أبي هريرة - رضى الله عنه .

قال ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة عن أبي النضر أن أبا هريرة كان يقول: لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت^(٢) . قول عبد الله بن عمر: قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين^(٣) .

قول فضالة بن عبيد: ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن ابن حلبس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك^(٤) . وقد تقدم

قول أبي موسى الأشعري: قال وكيع: عن أبي بكر الهذلي عن أبي تيممة عن أبي موسى قال: «الزيادة» النظر إلى وجه الله^(٥) .

(١) إسناده ضعيف : رواه اللالكائي (٨٦٤) وفي إسناده رجل يقال له أبو عفيف لا يعرف ، وميمون أبو حمزة ضعيف .

(٢) رواه اللالكائي (٨٦٥) وفي إسناده ابن لهيعة ولكن الراوى عنه ابن وهب

(٣) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

(٤) إسناده صحيح وقد سبق .

(٥) إسناده ضعيف جدا وقد سبق .

وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدى وابن علية عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مراية عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال: ما صرف أبصاركم عنى؟ قالوا: الهلال، قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة؟^(١) قول أنس بن مالك: قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يمان، حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٥]

قال: يظهر لهم الرب - تبارك وتعالى - يوم القيامة . قول جابر بن عبد الله: قال مروان بن معاوية: عن الحكم بن أبى خالد عن الحسن عن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا له سجدا فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده^(٢).

قال الطبري: فتحصل فى الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم: على، وأبو هريرة، وأبو سعيد وجريز، وأبو موسى، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعدى بن حاتم، وأبو رزين العقيلي، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد، وبريدة بن الحصيب، ورجل من أصحاب النبى ﷺ وقال الدارقطني: أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد بن الأزهر، حدثنا مفضل بن غسان قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عندى سبعة عشر حديثا فى الرؤية كلها صحاح.

(١) إسناده ضعيف رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٤٦٥، ١٠٩٥) وابن خزيمة فى التوحيد ص ١٨٠ وفى إسناده أبو مراية وهو مجهول .

(٢) إسناده ضعيف جدا فى إسناده الحكم بن أبى خالد وهو متروك وقد سبق مرفوعا .

وقال البيهقي: رويانا في إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبى موسى ، وغيرهم ، ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم فى ذلك إلينا ، كما أنهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرائع والحكام نقل اختلافهم فى ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف ، كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا ، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين. وأما التابعون وأئمة الإسلام وعصابة الإيمان ، من أئمة الحديث و الفقه والتفسير وأئمة التصوف ، فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله - عز وجل - . قال سعيد بن المسيب: الزيادة النظر إلى وجه الله ، رواه مالك عن يحيى عنه . وقال الحسن: الزيادة ، النظر إلى وجه الله ، رواه ابن أبى حاتم عنه . وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: الزيادة: النظر الى وجه الله تعالى ، رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه . وقاله عامر بن سعد البجلي ، ذكره سفيان عن أبى إسحاق عنه ، وقاله عبد الرحمن بن سابط ، رواه جرير عن ليث عنه . وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وكعب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم ، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة^(١) .

(١) إسناده ضعيف : رواه أبو نعيم فى الحلية (٥/٢٧٨) وفى إسناده إسماعيل بن إبراهيم وهو ضعيف .

وقال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا^(١).

وقال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية^(٢)، وقال كعب: ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال: طيبى لأهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيتها أهلها، وما من يوم كان لهم عيد فى الدنيا إلا ويخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب -تبارك وتعالى- فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح والمسك ولا يسألون الرب - تعالى - شيئا إلا أعطاهم حتى يرجعوا، وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك^(٣).

وقال هشام بن حسان: إن الله - سبحانه وتعالى- يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. وقال طاووس: أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا السنة^(٤).

وقال شريك عن أبى إسحاق السبيعي: الزيادة، النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى. وقال حماد بن زيد: عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه تلا

(١) إسناده ضعيف جدا : رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٤٨٦ ، ١١٣٣) وفى إسناده عبد الواحد بن زيد قال البخارى : تركوه .

(٢) إسناده ضعيف عن سعيد رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٤٨٧) وفى إسناده يحيى بن يمان ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف : رواه عبد الله بن أحمد فى السنة (٥٢٣) وغيره وفى إسناده يزيد بن أبى زياد : ضعيف .

(٤) إسناده ضعيف جدا : رواه اللالكائى (٨٦٨) وفى إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزى : ضعيف جدا .

هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]، قال: إذا دخل أهل الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما أعطوه عند ذلك بشيء، فالحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه ربهم - عز وجل: ﴿وَلَا يَرَهُوْا وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] بعد نظرهم إلى ربهم - تبارك وتعالى - ، وقال على بن المديني: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال: عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً^(١). وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله - عز وجل - أحداً عنه إلا عذبه ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ [سورة المطففين: ١٥ - ١٧]

قال: بالرؤية^(٢)، ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إسحاق عن نعيم.

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «أن الله يتزل إلى السماء الدنيا»، «وأن أهل الجنة يرون ربهم»، فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: أما نحن قد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا؟!^(٣)

(١) إسناده ضعيف: رواه اللالكائي (٨٩٥) وفي إسناده عبد الله بن محمود المروزي فيه جهالة وفي الإسناد من لم أجد له ترجمة.

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣٤٨) وفي إسناده نعيم بن حماد فيه ضعف.

(٣) إسناده حسن: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٠٩).

وقال قبيصة بن عقبة: أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التى فى داره فجلس وسطها كأنه مغضب ، فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير ابن معاوية ، وحدثنا حسن بن صالح بن حى ، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى - هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة ، حتى جاء ابن يهودى صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى - يعنى بشر الميسى^(١) (٢). فى المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومناهجهم . ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس: قال أحمد بن صالح المصرى: حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم^(٣) .

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سئل مالك عن قوله عز وجل:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢ ، ٢٣]

أنظر إلى الله - عز وجل ؟ قال: نعم ، فقلت: إن أقواما يقولون تنظر ما عنده ، قال: بل تنظر إليه نظرا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] (٤) .

وذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى ، فقال مالك: السيف السيف^(٥) .

(١) بشر الميسى: شيخ المعتزلة فى عصره .

(٢) إسناده حسن : رواه اللالكائى (٨٨٧) .

(٣) إسناده صحيح : رواه اللالكائى (٨٧٠) .

(٤) إسناده صحيح : رواه اللالكائى (٨٧١) .

(٥) رواه اللالكائى (٨٧٢) وفى الإسناد محمد بن عمر الأنبارى فيه جهالة .

ذكر قول ابن الماجشون: قال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى على عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، وسأله عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣] ، فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا ، والله أفضل كرامه الله التى أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . فورب السماء والأرض ليعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ، ويفلجها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم^(١) . ذكر قول الأوزاعى ، ذكر ابن أبى حاتم عنه قال: إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذى وعده الله عز وجل أوليائه حين يقول: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣] ، فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعد أوليائه^(٢) . ذكر قول الليث بن سعد: قال ابن أبى حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبى الحارث ، حدثنا الهيثم بن خارجة قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعى وسفيان الثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية . فقالوا: تمر بلا كيف^(٣) .

قول سفيان بن عيينة: ذكر الطبرى وغيره أنه قال: من لم يقل إن القرآن

(١) رواه اللالكائى (٨٧٣) وفى إسناده عبد الله بن صالح فيه ضعف .

(٢) إسناده ضعيف رواه اللالكائى (٨٧٤) وفى إسناده المسيب بن واضح وهو ضعيف .

(٣) إسناده حسن رواه اللالكائى (٨٧٥) .

كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهو جهمي^(١) ، وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلى خلف الجهمي والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة.

قول جرير بن عبد الحميد: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر له حديث ابن سابط في الزيادة: أنها النظر إلى وجه الله ، فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه^(٢) .

قول عبد الله بن المبارك: ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن: « خدارا بآن جهان جون بيند » ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين^(٣) .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن إسحاق قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ، ثم قرأ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾ ٥١ ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ ٥٢ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ ٥٣ [سورة المطففين: ١٥ - ١٧]

قال ابن المبارك: بالرؤية . قول وكيع بن الجراح: ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ، ولا يراه إلا المؤمنون^(٤) . قول قتبية ابن سعيد: ذكر ابن أبي حاتم عنه قال: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة والإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية^(٥) . قول أبي عبيد القاسم بن سلام: ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه

(١) إسناده ضعيف : رواه اللالكائي (٨٧٦) في إسناده القزويني وفيه مقال وأبو مروان الطبري

فيه نوع جهالة .

(٢) إسناده حسن رواه اللالكائي (٨٨٠) في إسناده يحيى بن المغيرة وهو صدوق .

(٣) إسناده ضعيف : رواه اللالكائي (٨٨١) وفي إسناده محمد بن عيسى وهو لين الحديث .

(٤) إسناده ضعيف : رواه اللالكائي (٨٨٢) والطنافسي فيه نوع جهالة

(٥) إسناده ضعيف : رواه اللالكائي (٨٨٦) وفي إسناده محمد بن علي بن سعد النسائي فيه

نوع جهالة .

ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال: هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا ، إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا: لا نفسر منها شيئاً ولكن نغضيها كما جاءت^(١) . قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد: قال المروزي: حدثنا عبد الوهاب الوراق . قال: سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال: احلف عليها بالطلاق وبالمشي أنها حق^(٢) .

قول محمد بن إدريس الشافعي: قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥] ، لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياء الله يرونه في الرضا ، قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله ، تقول به ؟ قال: نعم ، وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده^(٣) . وقال ابن بطة: حدثنا ابن الأنباري حدثنا أبو القاسم الأنماطي صاحب المزني قال: قال الشافعي رحمه الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥] ، دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصار وجوههم^(٤) .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل: قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد: أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ؟ أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد: صحيح . قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف الرأي^(٥) .

(١) إسناده صحيح : رواه الأجرى في الشريعة (٥٨١) .

(٢) إسناده صحيح : رواه الأجرى في الشريعة (٥٧٥) .

(٣) إسناده صحيح وقد سبق .

(٤) إسناده صحيح : رواه ابن بطة في المختار من الإبانة الكتاب الثالث تنمة الرد على الجهمية

(٥٥) .

(٥) إسناده صحيح : رواه ابن بطة (٤٥ ، ٤٦) .

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: تقول بالرؤية ؟ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمى ، قال: سمعت أبا عبد الله يقول وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى فى الآخرة فغضب غضبا شديدا ، ثم قال: من قال إن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر ، عليه لعنة الله وغضبه ، من كان من الناس ، أليس يقول الله عز وجل: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢ ، ٢٣] وقال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٥] ^(١) .

وقال أبو داود: سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء فى الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يرى فهو كافر . وقال أبو داود: وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى العطف إن الله لا يرى فى الآخرة ، فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال: أخزى الله هذا ^(٢) .

وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبى عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبى العطف عن أبى الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف ترانى ، وإن لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فغضب أبو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين فى وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل ، وقال: أخزى الله هذا ، لا ينبغي أن يكتب ، ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهمى كافر خالف ما قال الله عز وجل: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾ [سورة القيامة: ٢٢ ، ٢٣] ، وقال: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ ﴾

(١) إسناده صحيح : رواه الأجرى فى الشريعة (٥٧٧) .

(٢) إسناده صحيح : رواه الأجرى فى الشريعة (٦٢٨) .

رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبُونَ ﴿١٥﴾ [سورة المطففين: ١٥] أخزى الله هذا الخبيث ، قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر وقال أبو طالب: قال أبو عبد الله قول الله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر: ٢٢] ، فمن قال: إن الله لا يرى فقد كفر.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى ، والجهمى كافر . وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان: قيل لأبى عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم ينظر إليهم وينظرون إليه و يكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا .

وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل فى أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم ، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى فقد كفر ورد على الله وعلى الرسول ، ومن زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله ، قال: أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونعمرها كما جاءت .

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: فأما من يقول: إن الله لا يرى فى الآخرة فهو جهمى ، قال أبو عبد الله: وإنما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا . وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق . وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا - أحاديث الرؤية - وكانوا يتحدثون بها على الجملة يبرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين.

وقال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ

مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [سورة الشورى: ٥١] ، وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] ، فأخبر الله - عز وجل - أن موسى يراه في الآخرة وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ

﴿ [سورة المطففين: ١٥]


ولا يكون حجاب إلا لرؤية ، أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه ، قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢ ، ٢٣]

والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جرير بن عبد الله وغيره: وتنتظرون إلى ربكم ، أحاديث صحاح ، وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦] النظر إلى وجه الله - تعالى.

قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب ، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، قال حنبل: قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها ، وكل ما روى عن النبي ﷺ إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ (١) ، ودفعناه ورددنا على الله أمره قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧] .

قول إسحاق بن راهويه: ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله ابن طاهر أمير خراسان سألَه فقال: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذه عدولا، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال: شفاك الله كما شفيتني أو كما قال. قول جميع أهل الإيمان: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

قول المزنى: ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم بن أبي داود المصري قال: كنا عند نعيم بن حماد جلوسا فقال نعيم للمزنى: ما تقول في القرآن؟ فقال أقول: إنه كلام الله. فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول: إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم. لما افرق الناس قام إليه المزنى فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس، فقال: إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك^(١).

قول جميع أهل اللغة: قال أبو عبد الله بن بطة: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾  تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴿ سورة الأحزاب: ٤٣، ٤٤]

أجمع أهل اللغة على أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار^(٢) وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم

(١) رواه اللالكائي (٨٩١).

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن بطة في الإبانة (٥٨/٣).

وبالتواتر عن النبي ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس فى قصة حديث بئر معونة: « إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا »^(١) ، وحديث عبادة وعائشة وأبى هريرة وابن مسعود: « من أحب لقاء الله أحب لقاءه »^(٢) ، وحديث أنس: « إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله »^(٣) وحديث أبى ذر: « لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة »^(٤) ، وحديث أبى موسى: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة »^(٥) ، وغير ذلك من أحاديث اللقاء التى اطردت كلها بلفظ واحد.

فصل

فى وعيد منكرى الرؤية

قد تقدم قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

وقول عبد الله بن المبارك: ما حجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ قوله

تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

[سورة المطففين: ١٦ ، ١٧] ، قال: بالرؤية.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله

هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة

(١) البخارى (٤٠٩١) ، مسلم (٦٧٧).

(٢) البخارى (٦٥٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٣).

(٣) البخارى (٢٧٩٣) ، ومسلم (١٨٤٥).

(٤) مسلم (١٨٤٧).

(٥) البخارى (١٢٩) ، من حديث أنس والبخارى (١٢٣٨) ومسلم (٩٢) من حديث ابن

ليست فيها سحابة؟» قالوا: لا . قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟» قالوا: لا ، قال: «فوالذى نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» قال: «فيلقى العبد فيقول: أى فل ! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع فيقول: بلى يا رب ، فيقول: أفظنت أنك ملاقى ؟ فيقول: لا ، فيقول: فإني أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقي الثانى فيقول: بلى أى فل ! ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع فيقول: أى ربى فيقول: أفظنت أنك ملاقى فيقول: لا ، فيقول: إني أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتبك ورسلك واصلت وصمت وتصدقت ، ويثنى بخير ما استطاع . قال: فيقول: ها هنا إذا ، ثم يقال له: الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظمه: انطقى، فينطق فخذه ، ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق ، وذلك الذى يسخط الله عليه»^(١).

فاجمع بين قوله: «فإنكم سترون ربكم» ، وقوله: لمن ظن أنه غير ملاقيه: «فإني أنساك كما نسيتنى» . وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ويحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد.

ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث: باب فى الوعيد لمنكرى الرؤية ، كما فعل شيخ الإسلام وغيره . وبالله التوفيق.

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام ، وأهل الحديث عصابة الإسلام ، ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله - سبحانه وتعالى - يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس فى الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من

ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة ، فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم ، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشرعة والذى بلغها هو الذى بلغ الدين. فلا يجوز أن يجعل كلام رسوله عظيم ، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلا يجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها وإنكارها والشهادة بأن محمدا رسول الله أبدا .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كان لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان :

الأول : من يزعم أنه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثانى : من يزعم أنه لا يرى فى الآخرة البتة ولا يكلم عباده.

وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين .
وبالله التوفيق.



الباب السادس والستون

فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] ،
وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤] ، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا ، إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال: يؤاكلهم ويشاربهم ، ونحو ذلك ، تعالى الله عما يقولون.

وقد أخبر الله - سبحانه - أنه يسلم على أهل الجنة ، وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم ، وتقدم تفسير النبى ﷺ لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول: «سلام عليكم يا أهل الجنة» فيرونه عيانا^(١) ، وفى هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو ، والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها . وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبى ﷺ: «ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا»^(٢) الحديث ، وتقدم حديث عدى بن حاتم: «ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة»^(٣) .

(١) إسناده ضعيف وقد سبق .

(٢) ضعيف وقد سبق .

(٣) صحيح وقد سبق .

وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه يقول الرب تبارك وتعالى للعبد: « ألم أكرمك وأسودك »^(١) الحديث ، وحديث بريدة: « ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب »^(٢) الحديث. وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مرارا.

وبالجملة: فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم . قال البخارى فى صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة . وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به ، والله المستعان.



(١) صحيح وقد سبق .

(٢) إسناده ضعيف جدا والحديث صحيح لشواهده وقد سبق .

الباب السابع والستون

فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

فى الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة ، قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا » ، قال: « فيقول أتسخر بى وتضحك بى وأنت الملك ؟ » قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول: « ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »^(١).

وفى صحيح مسلم من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد ، عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا وكذا ، فيقول: نعم ، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا » ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه^(٢).

وقال الطبرانى: حدثنا عبد الله بن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى قال: حدثنى أبى عن أبيه قال: حدثنى أبو

(١) البخارى (٦٥٧١) ، ومسلم (١٨٦).

(٢) مسلم (١٩٠).

يحيى الكلاعى عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول: يا رب بلغ بى الجنة ونجنى من النار ، فيوحى الله - تبارك وتعالى - إليه: عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى وخطاياى ، فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار ، فيوحى الله إليه: عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيقول العبد: لا ، وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط . فيوحى الله إليه: عبدى إن لى عليك بينة فيلتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحدا ، فيقول: يا رب أرئى بينتك ، فيستنطق الله جلده بالمحقرات ، فإذا رأى ذلك العبد فيقول: يا رب عندى وعزتك العظام ، فيوحى الله إليه: عبدى أنا أعرف بها منك ، اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة » ، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، يقول: « هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟ »^(١) ، ورواه ابن أبى شيبه عن هاشم بن القاسم: ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به.

وفى صحيح مسلم ، عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يعيش على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال: تبارك الله الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول: أى رب ادنى من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله - تبارك وتعالى: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول: لا يا رب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها

(١) إسناده ضعيف وقد سبق.

ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول: يا رب ادنى من هذه لأشرب من مائها ، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها ، فيقول: يا ابن آدم ! ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلني إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها ، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره ؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أى رب ادنى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره ؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب أدخلنيها ، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيك مني ، أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ « فضحك ابن مسعود ، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: « من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين ، فيقول لا أستهزئ منك ولكن على ما أشاء قادر »^(١).

وفى صحيح البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ، ونحن نسوقه بتمامه من عنده - وهو بإسناد مسلم سواء - قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه ، وإن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ، ومثل له شجرة ذات ظل ، فقال: أى رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها ، فقال الله - عز وجل: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره ، قال: لا وعزتك ، فقدمه الله إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى ، فقال: أى رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وأكل من ثمرها ، قال: فقال: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ، فيقول: لا وعزتك ، فيقدمه الله إليها فيمثل الله له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء ، فيقول:

أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها ، وأكل من ثمرها ، وأشرب من مائها فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألنى غيره ، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة ، فيقول: أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة - وفى رواية - : تحت نجاف الجنة أنظر إلى أهلها ، فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها ، فيقول أى رب أدخلنى الجنة فيدخله الجنة فإذا دخل الجنة قال: هذا لى ، فيقول الله له: تمن ، قال: فيتمنى ، ويذكره الله سل كذا وكذا ، فإذا انقطعت به الأمانى ، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله ، قال: ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجته من الحور العين ، فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك ، فيقول ما أعطى أحد مثل ما أعطيت ^(١).

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبه - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: « سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل الجنة ، فيقول: أى رب كيف ، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أحذاقهم ، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ما كان ملك للملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب ، فيقول: ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول فى الخامسة: رضيت رب ، فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتئت نفسك ، ولدت عينك فيقول: رضيت رب » ، قال موسى: « رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت أخبرك عنهم ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر قال: ومصادقة فى كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] ^(٢).

(١) مسلم (١٨٨).

(٢) مسلم (١٨٩).

الباب الثامن والستون
وهو باب جامع فيه فصول منشورة
له تذكر فيما تقدم من الأبواب

فصل

[فى لسان أهل الجنة]

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم ، ثنا صفوان بن صالح ، حدثنى رواد بن الجراح العسقلانى ، ثنا الأوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون »^(١) ، وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: لسان أهل الجنة عربى^(٢) ، وقال عقيل: قال الزهرى: لسان أهل الجنة عربى^(٣) .

فصل

[فى احتجاج الجنة والنار]

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: « احتجت النار والجنة ، فقالت هذه: يدخلنى الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه: يدخلنى الضعفاء والمساكين ، فقال الله - عز وجل - لهذه: أنت عذابى أعذب بك من أشياء ، وقال لهذه: أنت رحمتى أرحم بك من أشياء ، ولكل واحدة منكما ملؤها »^(٤) .

(١) إسناده ضعيف ولبعض فقراته شواهد وقد سبق.

(٢) إسناده ضعيف جدا : رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢١٨) ، وفى إسناده الواقدي وهو متهم ، وقد ضعفه الشيخ الألبانى فى الضعيفة (١٦٠ ، ١٦١).

(٣) إسناده صحيح : رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢١٩ ، ٢٢١) من طريق عقيل عن الزهرى به.

(٤) البخارى (٧٤٤٩) ، ومسلم (٢٨٤٦).

وفى رواية أخرى: «تحتاج النار والجنة ، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة: ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله - سبحانه - للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى ، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه عليها فتقول: قط قط فهناك تمتلئ ويتروى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله - عز وجل - ينشئ لها خلقا»^(١).

فصل

[فى أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشئ الله لها خلقا دون النار]

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل: من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة»^(٢)، وفى لفظ مسلم: « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ، ثم ينشئ الله - سبحانه - لها خلقا مما شاء فيسكنهم فضل الجنة » ، وفى لفظ مسلم: « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما شاء»^(٣).

وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة: « وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد»^(٤) ، فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده ، فإن الله - سبحانه - وأخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه ، فإنه لا يعذب إلا من

(١) البخارى (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) البخارى (٧٣٨٤) ، ومسلم (٢٨٤٨).

(٣) مسلم (٢٨٤٨) .

(٤) البخارى (٧٤٤٩) وقد سبق الكلام عليه.

قامت عليه حجته وكذب رسله ، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿٨٩﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴿٩٠﴾ [الملك: ٨٩ ، ٩٠] ، ولا يظلم الله أحدا من خلقه.

فصل

فى امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون» ^(١) ، وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ: أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون» ^(٢).

فصل

[فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة]

من درجة إلى درجة أعلى منها]

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب أنى لى هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك» ^(٣).

(١) ضعيف جدا وقد سبق .

(٢) ضعيف جدا رواه الطبراني فى الأوسط (٩٢٣) ، وابن عدى (٣٦٦/٦) وفى إسناده مصعب بن إبراهيم ، وهو منكر الحديث.

(٣) إسناده حسن: رواه أحمد (٥٠٩/٢) وغيره وفى إسناده عاصم وهو صدوق.

فصل

[فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا عمله]

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۖ﴾ [الطور: ٢١] ، وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عنه » ، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ۚ﴾ ، قال: « ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين »^(١).

وذكر ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الأبطس عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبى ﷺ قال: « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك ، فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم ، فيؤمر بالإلحاق بهم » ، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ إلى آخر الآية^(٢).

(١) ضعيف مرفوعا والصحيح فيه الوقف . رواه البزار كما فى تفسير ابن كثير فى تفسير سورة الطور الآية (٢١) عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا.

قلت: قد رواه (شعبة والثورى) كلاهما روياه عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس موقوفا وهو الصحيح ، أخرجه الحاكم (٢/٤٦٨) ، والطبرى فى تفسيره (٣٢٣٣٩ ، ٣٢٣٤٠ ، ٣٢٣٤٢) وهناد فى الزهد (١٧٩).

(٢) إسناده ضعيف جدا: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/٤٤٠ ، ٤٤١) ، وفى الصغير (١/٢٢٩) ، وفى إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ضعيف جدا ، وشريك سئى الحفظ ، وروى نحوه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢٩٨) وإسناده ضعيف جدا.

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال: واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به وألحقناهم بهم في الدرجات ، قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ: ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فجعل الفعل في الاتباع لهم ، قالوا: وقد أطلق الله - سبحانه - الذرية على الكبار ، كما قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ، قال: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] ، وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُسَاطُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] ، وهذا قول الكبار والعقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه»^(١) ، فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها ، قالوا: أيضا فالإيمان هو القول والعمل والنية ، وهذا إنما يمكن من الكبار ، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله - سبحانه - يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقرارا لعينه وتكميلا لنعيمه ، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعا ، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية هنا الصغار ، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغارا في

الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك ، ألا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين ، أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب ، فإنهم مستقلون بأنفسهم بأنهم ليسوا تابعين الآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم ، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة ، فيكون الآخرون فى درجة السابقين .

قالوا: ويدل عليه أيضا أنه - سبحانه - جعلهم معهم تبعا فى الدرجة كما جعلهم تبعا معهم فى الإيمان ، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعا ، بل إيمان استقلال ، قالوا: ويدل عليه أن الله - سبحانه - جعل المنازل فى الجنة بحسب الأعمال فى حق المستقلين ، وأما الأتباع فإن الله - سبحانه - يرفعهم إلى درجة أهلهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم ، وأيضا فالخوارج العيون الخدم فى درجة أهلهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين ، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت أعمالهم .

وقالت فرقة منهم الواحدى: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه ، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب ، قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير ، والواحد والكثير ، والابن والأب ، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١] ، أى آباءهم ، والإيمان يقع على الإيمان التبعى وعلى الاختيارى الكسبى ، فمن وقوعه على التبعى قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن

يَصْدَقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴿[النساء: ٩٢] ، فلو أعتق صغير أجاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرب بهم عينه . ثم قرأ هذه الآية ، وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقرب بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك ، وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يجب أن يجتمعوا في الدنيا ، وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة^(١) .

وقال النابلي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً^(٢) ، قال: ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين ، فمن قرأ:

﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم ، كما

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُتَحَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ، ومن قرأ: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ، فهذا حق الصغار

الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً ، فدلَّت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية هنا بالصغار أظهر ؛ لئلا يلزم استواء المتأخرين بالسابقين في الدرجات ، ولا يلزم مثل هذا في الصغار ، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته ، والله أعلم.

(١) إسناده صحيح : رواه الطبري في تفسيره (٣٢٣٤٦).

(٢) إسناده صحيح : رواه الطبري (٣٢٣٤٨ ، ٣٢٣٤٩).

فصل

فى أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «احتجت الجنة والنار»^(١) ، وقوله: «قالت الجنة: يا رب قد أطردت أنهارى ، وطابت ثمارى فعجل على بأهلى»^(٢) ، وقال إسماعيل ابن أبى خالد عن سعد الطائى: أخبرت أن الله - تعالى - لما خلق الجنة قال لها: تزينى فتزينت ثم قال لها: تكلمى ، فتكلمت: طوبى لمن رضى عنه «^(٣)» ، وقال قتادة: لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمى ، فقالت: طوبى للمتقين.

وقال الطبرانى: حدثنا أحمد بن على ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها: تكلمى ، فقالت: قد أفلح المؤمنون»^(٤) .

فصل

فى أن الجنة تزدد حسنا على الدوام

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا خالد بن عبد الله عن زيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال: ما نظر الله إلى الجنة إلا قال: طيبى لأهلك فتزداد ضعفا حتى يدخلها أهلها^(٥) .

فصل

فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل فى ذلك ، وقول الحوراء لامراته فى الدنيا:

(١) صحيح : وقد سبق.

(٢) ضعيف وقد سبق.

(٣) إسناده صحيح إلى سعد الطائى ، رواه أبو نعيم فى صفة الجنة (١٩) وغيره.

(٤) ضعيف وقد سبق.

(٥) إسناده ضعيف وقد سبق.

لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا^(١)، وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحور: «اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك»^(٢).

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة ، فكان أن نزلوا فهو يصلي ، وإن أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهبا وجائيا ، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخى أخبرني ما الذى هيجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت فى النوم قصرا من قصور الجنة ، وإذا لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت ، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينشئ معها كلما تثنت فقالت: جد إلى الله فى طلبى ، فقد والله جددت إليه فى طلبك ، فهذا الذى تراه فى طلبها ، قال أبو سليمان: هذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟^(٣).

فصل

[فى ذبح الموت بين الجنة والنار]

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] ، وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت ، ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح، قال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » ، ثم

(١) إسناده حسن وقد سبق.

(٢) إسناده ضعيف جدا وقد سبق.

(٣) إسناده ضعيف رواه ابن أبي الدنيا فى صفة الجنة (٣٦٠) ، وفى إسناده الحسين بن عبد

الرحمن الجرجرائي وهو مجهول.

قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، متفق عليه^(١).

وفى الصحيحين أيضا من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه»^(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وصار أهل النار إلى النار ، أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم»^(٣).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، أتى بالموت مليا فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحا على السور ، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت»^(٤) ، رواه النسائى والترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

وهذا الكيش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا ، وقال: الموت عرض

(١) البخارى (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) البخارى (٦٥٤٤) ، ومسلم (٢٨٥٠).

(٣) البخارى (٦٥٤٨) ، ومسلم (٢٨٥٠).

(٤) إسناده حسن: رواه أحمد (٣٦٩/٢) ، والترمذى (٢٥٥٧) والنسائى فى الكبرى (٤٨١/٦) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة به.

والعرض لا يتجسم فضلا عن أن يذبح ، وهذا لا يصح ، فإن الله - سبحانه - ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معانية يثاب بها ويعاقب والله - تعالى - ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشئ من الأجسام أعراضاً ، كما ينشئ - سبحانه - من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب - تعالى - ولا يستلزم جمعاً بين التقيضين ولا شيئاً من المحال ، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت ، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذى لا يوجبه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح.

وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه ، وأن الله - سبحانه - ينشئ شيئاً من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها ، كما فى الصحيح عنه ﷺ: «تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان»^(١) ، الحديث ، فهذه هى القراءة التى ينشئها الله - سبحانه - غمامتين ، وكذلك قوله فى الحديث الآخر: «إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتقليله يتعاطفن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن»^(٢) ، ذكره أحمد .

وكذلك قوله فى حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التى يراها: فيقول من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ، وأنا عملك السيئ^(٣) ، وهذا حقيقة لا خيال ، ولكن الله - سبحانه - أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة ،

(١) مسلم (٨٠٤) .

(٢) إسناده حسن ، رواه أحمد (٢٦٨/٤ ، ٢٧١) وغيره .

(٣) إسناده حسن وقد سبق .

وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم؟ أنشأ الله - سبحانه - لهم منه نورا يسعى بين أيديهم ، فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل .

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: « إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوالله إنى لأراك أمراً الصديق فيقول له: أنا عمك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة ، وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت فوالله إنى لأراك أمراً السوء فيقول له: أنا عمك فينطلق به حتى يدخله النار » ^(١) ، وقال مجاهد مثل ذلك ، وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة ، يعارض صاحبه ويشره بكل خير ، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك ، فيجعل له نورا بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله: ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: ٩] ، والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار ^(٢) .

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩] قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه ، فقالوا: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ؟ قيل: لا ، قالوا: إن هذا هو الفوز العظيم ^(٣) . وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وآمنوا من الأسقام فهناهم فى جوار الله طول المقام ثم يبكى حتى تجرى دموعه على لحيته .

(١) إسناده ضعيف رواه الطبري (١٧٥٧٣) و قتادة من صغار التابعين ، فهذا معضل ، رواه ابن

أبى حاتم فى تفسيره (١٠٢٣٧) من طريق قتادة عن الحسن وهذا مرسل .

(٢) إسناده ضعيف : رواه الطبري (١٧٥٧٧) فى إسناده الحسين بن داود ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف : وفى إسناده المبارك مدلس وقد عنعن .

فصل

[فى ارتفاع العبادات فى الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة]

روى مسلم فى صحيحه ، من حديث جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس » ، وفى رواية: « التسبيح والتكبير كما تلهمون »^(١) ، بالتاء المثناة من فوق ، أى تسييحهم وتحميدهم يجرى مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل

[فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا]

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٥٠ ، ٥١] ، وقد تقدم الكلام عليها ، وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٢٥] قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهٖ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٧] .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: « وإذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض ، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا ، وسرير هذا إلى سرير هذا ، حتى يجتمعوا جميعا فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا ، وموضع كذا وكذا ، فدعونا الله فغفر لنا »^(٢) .

(١) مسلم (٢٨٣٥).

(٢) منكر وقد سبق.

وإذا تذكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة ، وصحة الأحاديث أولى وأحرى ، فإن المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألد من الطعام والشراب والجماع ، فتذاكر ذلك فى الجنة أعظم لذة ، وهذه لذة يختص بها أهل العلم ، ويتميزون بها على من عداهم.



الباب التاسع والستون

في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿ وَنَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٣٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ ٣٣ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ ٣٤ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٤٠] [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ ٨ ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [١٠] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿ ١١ ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٢ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴾ [١١] فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿ ١٢ ﴾ [يس: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٢٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَدَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٧﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنَ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الصف: ١٣]. وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣] ، وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١] ، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧] ،

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ نُونُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وفى المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: « قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ، ثم تلا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر آيات « (١) ».

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ، إلى قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، وقال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الَّسَّيْحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الَّامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢] ، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مریم: ٦٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الزمر: ١٧] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] .

(١) رواه أحمد (٣٤/١) ، والترمذي (٣١٧٣) ، والنسائي في الكبرى (١٤٣٩) وقال: هذا حديث منكرو.

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ حِجْرَةٍ تُبْحِكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ تَوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الصف: ١٠- ١٣] ، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۝﴾ [الرحمن: ٤٦] ، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وهذا فى القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة ، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ، وهى تجتمع فى أصليْن: إخلاص فى طاعة الله وإحسان إلى خلقه ، وضدها يجتمع فى الذين يراءون ويمنعون الماعون ، وترجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة الرب - تبارك وتعالى - فى محابه ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله ﷺ .

وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى « بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق »^(١) ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به إيجابا واستحبابا ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل .

كما قال الشافعى - رحمه الله: الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه

وفوق ما يصف به خلقه ، وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ : « اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما تقول »^(١).

وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التى أجمعوا عليها كما حكاها الأشعرى عنهم ، ونحن نحكى إجماعهم كما حكاها حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه ، قال فى مسائله المشهورة:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ، ويستثنى فى الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا ، إنما هى سنة ماضية عند العلماء ، فإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ أو مؤمن أرجو ، ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله أ-هـ .

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ ، ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع ، فهو مرجئ ، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء فى الإيمان فهو مرجئ .

(١) إسناده ضعيف رواه الترمذى (٣٥٢٠) وغيره فى إسناده قيس بن الربيع صدوق ، إلا أنه تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه ، قال الترمذى: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوى.

ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ ، ومن زعم أن المعرفة تقع في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجئ ، والقدر خيره وشره وقليلة وكثيرة وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبة ومكروهة ، وحسنه وسيئته وأوله وآخره من الله - عز وجل - قضاء قضاءه على عباده ، وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه ، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له ، واقعون فيما قدر عليهم وهو عدل منه - جل ربنا وعز.

والزنا والسرقة ، وشرب الخمر وقتل النفس ، وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة ، بل لله الحجة البالغة على خلقه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.

وعلم الله - عز وجل - ماض في خلقه بمشيئة منه ، فهو - سبحانه - قد علم من إبليس المعصية ومن غيره ممن عصاه من لدن عصي الله - تبارك وتعالى - إلى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها.

وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه ولا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته ، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم أن الله - سبحانه وتعالى - شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية ، فعملوا على مشيئتهم ، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله - تعالى - وأى افتراء على الله أكبر من هذا؟!

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر ، قيل له : أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا ، وجاءت بولد هل شاء الله - عز وجل - أن يخلق هذا الولد ، وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال : لا ، فقد زعم أن مع الله خالقا وهذا الشرك صراحا.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر ، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ، وهذا صراح قول الجوسية ، بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله - عز وجل - فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله وأى كفر أوضح من هذا؟! بل ذلك بقضاء الله - عز وجل - وذلك عدل منه فى خلقه وتديره فيهم ، وما جرى من سابق علمه فيهم ، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد.

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشئة على الصغر والقماء ، ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ، ولا بنص الشهادة ، ولا نشهد لأحد أنه فى الجنة بصالح عمله ، ولا لخير أتاها إلا أن يكون فى ذلك حديث.

كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة ، والخلافة فى قریش ما بقى من الناس اثنان ، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان ، والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله - عز وجل - أمرهم لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة ، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والإمساك فى الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ، ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك ، والله المعين.

والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحدا منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ، وكما روى فتصدقه

وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك ، أو يتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام ، فاتبع ذلك ولا تجاوزه ، والأعور الدجال خارج لا شك فى ذلك ولا ارتياب ، وهو أكذب الكاذبين.

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق ، وهما فتانا القبر ، نسأل الله الثبات.

وحوض محمد ﷺ حق حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه ، والصراط حق يوضع على سواء جهنم ، ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك ، والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن ، والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب ، والجنة والنار.

واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء ، والقلم حق كتب الله به مقادير كل شىء وأحصاه فى الذكر.

والشفاعة يوم القيامة حق يشفع قوم فى قوم فلا يصيرون إلى النار ، ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبدا ، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله - عز وجل - ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها ، خلقهما الله - عز وجل - وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا ، فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨].

وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شىء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ، ولا للهلاك وهما

من الآخرة لا من الدنيا ، والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدا ؛ لأن الله - عز وجل - خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا ، فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل .

وخلق سبع سماوات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن - عز وجل - فوق الماء ، والله - عز وجل - على العرش ، والكرسى موضع قدميه ، وهو يعلم ما فى السماوات ، وما فى الأرضين وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وما فى قعر البحر ، ومنبت كل شجرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة عدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شىء ، ولا يخفى عليه من ذلك شىء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به ، فإذا احتج مبتدع أو مخالف بقول الله - عز وجل : ﴿ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] ، ونحو هذا من متشابه القرآن ، فقل : إنما يعنى بذلك العلم أن الله - عز وجل - على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان .

ولله - عز وجل - عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، والله - عز وجل - مستو على عرشه وليس له حد ، والله - عز وجل - سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ولا يسهو ، قريب لا يغفل ، ويتكلم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ، ويحب

ويكره ويبغض ، ويرضى ويبغض ، ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطى ويمنع .

وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيتها ما أراد ، وخلق آدم بيده على صورته ، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه ، ويضع قدمه فى النار فتزوى ويخرج قوما من النار بيده ، وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم ، وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك غيره - عز وجل .

والقرآن كلام الله الذى تكلم به ليس بمخلوق ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة ، والقرآن كلام الله فهو جهمى ، وكلم الله موسى تكليما منه إليه ، وناولته التوراة من يده إلى يده .

ولم يزل الله - عز وجل - متكلمًا ، والرؤيا من الله وحى حق ، إذا رأى صاحبها فى منامه ما ليس ضغثا فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ، ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا ، فأى جاهل أجهل ممن يطعن فى الرؤيا ، ويزعم أنها ليست بشئ؟! وبلغنى أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام وقد روى عن النبى ﷺ : « أن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » ^(١) ، وقال :

(١) إسناده ضعيف ، رواه ابن أبى عاصم فى السنة (٤٨٦) والدولابى فى الكنى (٧٣/٢) ، وقد ضعفه الشيخ الألبانى فى تحقيقه للسنة ، ولكن بلفظ: إن رؤيا المؤمن كلام يكلم العبد ربه فى المنام .

« إن الرؤيا من الله »^(١) ، وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التى شجرت بينهم.

فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا منهم أو نقصه أو طعن عليه ، أو عرض بعييهم أو عاب أحدا منهم ، فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، بل حبههم سنة والدعاء لهم قرينة ، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة ، وخير الأمة بعد النبى ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبى بكر وعثمان بعد عمر ، وعلى بعد عثمان ، ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون ، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ، ولا أن يطعن فى واحد منهم بعيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك ، فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيه ، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده فى الحبس حتى يموت أو يرجع.

ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث الرسول الله ﷺ « فإن جبههم إيمان وبغضهم نفاق »^(٢) ، ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل ، فإن قولهم بدعة.

ومن حرم المكاسب والتجارب وطلب المال من وجهه ، فقد جهل وأخطأ وخالف ، بل المكاسب من وجوها حلال قد أحلها الله - عز وجل - ورسوله فالرجل ينبغى له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف.

والدين إنما هو كتاب الله - عز وجل - وآثار وسنن وروايات صحاح عن

(١) البخارى (٥٧٤٧) ، ومسلم (٢٢٦١).

(٢) ضعيف.

الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة ، يصدق بعضها بعضا حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم ، المتمسكين بالسنة ، والمتعلقين بالآثار ، ولا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، إلى أن قال: فهذه الأقاويل التى وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات ، وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ، ولا خلاف ولا تحليط ، وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه.

قلت: حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق ، وله عنهما مسائل جلية ، وأخذ عن سعيد بن منصور ، وعبد الله بن الزبير الحميدى وهذه الطبقة ، وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها ، ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقا لما نقله حرب ، ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مرارا ، وقد جمعت منه فى مسألة علو الرب - تعالى - على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرا متوسطا ، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً ، وبالله التوفيق.

فصل

[ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٩، ١٠].

قال حجاج عن ابن جريج: أخبرت أن قوله: دعواهم فيها سبحانك اللهم

قال: إذا مر بهم الطير ليشتهوهم ، قالوا: سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوهم فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ ﴾ ، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

قال سعيد عن قتادة قوله تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ يقول: ذلك دعاؤهم فيها ، وتحييتهم فيها سلام^(٢).

وقال الأشجعي: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم ، فيأتيهم ما دعوا به ، ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب - تعالى - وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به^(٣) ، وذكر سفيان عن عبد الله بن موهب: سمعت موسى بن طلحة قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله ، فقال: « تنزيه الله عن السوء »^(٤).

وسأل ابن الكواء عليا عنها فقال: كلمة رضيها الله - تعالى - لنفسه.

وقال حفص بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة ابن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير - سبحان الله - فقال: « هو تنزيه الله عن كل سوء »^(٥) ، فأخبر الله - تعالى - عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئا قالوا: سبحان الله ، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم هو قولهم:

(١) إسناده ضعيف : رواه الطبري (١٧٥٧٨).

(٢) رواه الطبري (١٧٥٧٩) من طريق سعيد عن قتادة وقد طعن يحيى القطان في سماع سعيد التفسير من قتادة.

(٣) إسناده صحيح : رواه الطبري (١٧٥٨٠).

(٤) إسناده ضعيف : رواه الطبري (١٧٥٨٢ ، ١٧٥٨٤) وموسى بن طلحة تابعي فهذا مرسل.

(٥) إسناده ضعيف : رواه الطبري (١٧٥٨٥).

الحمد لله رب العالمين ، ومعنى الآية أعم من هذا ، والدعوى مثل الدعاء ، والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة.

وفى الحديث: « أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين »^(١) ، فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة ، فأخبر - سبحانه - عن أوله وآخره ، فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس.

وفى هذا إشارة إلى أن التكليف فى الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التى يلهمونها ، وفى لفظة: « اللهم » إشارة إلى صريح الدعاء فإنها متضمنة لمعنى يا الله ، فهى متضمنة للسؤال والثناء ، وهذا هو الذى فهمه من قال: إذا أرادوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم ، فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به ، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشئ ، وليس فى الآية ما يدل على ذلك ، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد.

وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس ، فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشئ ، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بجاهلهم ، والله - تعالى - أعلم بالصواب.



(١) إسناده ضعيف: رواه الترمذى (٣٣٨٣) وغيره وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، وفى إسناده : موسى بن إبراهيم الأنصارى ذكره البخارى فى تاريخه ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان فى ثقاته وقال: وكان ممن يخطئ.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة التحقيق
٧	عملى فى هذا الكتاب
٨	ترجمة المؤلف
١١	مقدمة المؤلف
١٤	فصل: فى نعيم الجنة
١٧	شعر فى وصف الجنة
١٩	فصل: فى فضل هذا الكتاب
٢١	الباب الأول: فى بيان وجود الجنة الآن
٣٥	الباب الثانى: فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل هى جنة الخلد أم جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الأرض
٣٩	الباب الثالث: فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة
٤٦	الباب الرابع: فى سياق حجج الطائفة التى قالت: ليست جنة الخلد وإنما هى جنة الأرض
٥٣	الباب الخامس: فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب رأى الأول

- ٥٧ الباب السادس: فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به
منازعوهم
- ٦٠ الباب السابع: فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد
- ٦٢ الباب الثامن: فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة
- ٦٦ الباب التاسع: فى ذكر عدد أبواب الجنة
- ٧٤ الباب العاشر: فى ذكر سعة أبوابها
- ٧٧ الباب الحادى عشر: فى صفة أبوابها وأنها ذات حلق
- ٨٠ الباب الثانى عشر: فى ذكر مسافة من بين الباب والباب
- ٨١ الباب الثالث عشر: فى مكان الجنة وأين هى؟
- ٨٥ الباب الرابع عشر: فى مفتاح الجنة
- ٨٨ الباب الخامس عشر: فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به
لأصحابها عند الموت وعند دخولها
- ٩٢ الباب السادس عشر: فى توحيد طريق الجنة ، وأنها ليس لها إلا طريق
واحد
- ٩٥ الباب السابع عشر: فى درجات الجنة
- ١٠٠ الباب الثامن عشر: فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة
- ١٠٤ الباب التاسع عشر: فى عرض الرب - تعالى - سلعته الجنة على
عباده

١١٠ الباب العشرون: فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم
وشفاعتها فيهم إلى ربها - عز وجل -

١١٧ الباب الحادى والعشرون: فى أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها

١١٩ فصل: من أسماء الجنة: دار السلام

١٢٠ فصل: من أسماء الجنة: دار الخلد

١٢٠ فصل: من أسماء الجنة: دار المقامة

١٢٠ فصل: من أسماء الجنة: المأوى

١٢١ فصل: من أسماء الجنة: عدن

١٢١ فصل: من أسماء الجنة: دار الحيوان

١٢٢ فصل: من أسماء الجنة: الفردوس

١٢٣ فصل: من أسماء الجنة: النعيم

١٢٤ فصل: من أسماء الجنة: المقام الأمين

١٢٤ فصل: من أسماء الجنة: مقعد صدق وقدم صدق

١٢٦ الباب الثانى والعشرون: فى عدد الجنات وأنها نوعان

١٣٠ الباب الثالث والعشرون: فى خلق الرب - تبارك وتعالى - بعض
الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان

١٣٥ الباب الرابع والعشرون: فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم
ورئيسهم

- ١٣٧ الباب الخامس والعشرون: فى ذكر أول من يقرع باب الجنة
- ١٣٩ الباب السادس والعشرون: فى ذكر أول الأمم دخولا فى الجنة
- ١٤١ الباب السابع والعشرون: فى ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة
وصفتهم
- ١٤٤ الباب الثامن والعشرون: فى سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة
- ١٤٦ الباب التاسع والعشرون: فى ذكر أصناف الجنة الذين ضمنت لهم
دون غيرهم
- ١٥١ الباب الثلاثون: فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ
- ١٥٤ الباب الحادى والثلاثون: فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال
وكذلك هم فى النار
- ١٥٨ الباب الثانى والثلاثون: فىمن يدخل الجنة من هذه الأمة من غير
حساب وذكر أوصافهم
- ١٦٢ الباب الثالث والثلاثون: فى ذكر حثيات الرب - تبارك وتعالى -
الذين يدخلهم الجنة
- ١٦٧ الباب الرابع والثلاثون: فى ذكر تربة الجنة وطينتها
- ١٧٢ الباب الخامس والثلاثون: فى ذكر نورها وبياضها
- ١٧٤ الباب السادس والثلاثون: فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

١٨٠ الباب السابع والثلاثون: فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة

١٨٢ الباب الثامن والثلاثون: فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

١٨٧ الباب التاسع والثلاثون: فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم

١٩١ الباب الأربعون: فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم

١٩٤ الباب الحادى والأربعون: فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

١٩٧ الباب الثانى والأربعون: فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

٢٠١ الباب الثالث والأربعون: فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها

٢٠٤ الباب الرابع والأربعون: فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

٢١٢ الباب الخامس والأربعون: فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

٢٢١ الباب السادس والأربعون: فى زرع الجنة

٢٢٢ الباب السابع والأربعون: فى ذكر أنهار الجنة وعيونها

٢٣٣ الباب الثامن والأربعون: فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

٢٤٢ الباب التاسع والأربعون: فى ذكر آيتهم التى يأكلون فيها ويشربون

٢٤٧ الباب الخمسون: فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم

٢٦٤ الباب الحادى والخمسون: فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم

٢٦٩ الباب الثانى والخمسون: فى ذكر خدمهم وغلمانهم

٢٧٢ الباب الثالث والخمسون: فى ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن

٢٩٣ الباب الرابع والخمسون: فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين

٢٩٩ الباب الخامس والخمسون: فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم

٣٠٤ الباب السادس والخمسون: فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل
وولادة أم لا

٣١٤ الباب السابع والخمسون: فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين

٣٢١ الباب الثامن والخمسون: فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

٣٢٤ الباب التاسع والخمسون: فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا

٣٢٩ الباب الستون: فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله - تعالى - فيه لأهلها

٣٣٢ الباب الحادى والستون: فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

٣٣٦ الباب الثانى والستون: فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى
الجنة

٣٣٩ الباب الثالث والستون: فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك
فيها

٣٤٤ الباب الرابع والستون: فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى
الخيال

٣٥٢ الباب الخامس والستون: فى رؤيتهم ربهم - تبارك وتعالى -
بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا إليهم

٤٢٠ فصل: فى وعيد منكرى الرؤية

٤٢٣ الباب السادس والستون: فى تكليمه - سبحانه تعالى - لأهل الجنة
وخطابه لهم

٤٢٥ الباب السابع والستون: فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها

٤٢٩ الباب الثامن والستون: وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر
فيما تقدم من الأبواب

٤٢٩ فصل: فى لسان أهل الجنة

٤٢٩ فصل: فى احتجاج الجنة والنار

٤٣٠ فصل: فى أن الجنة يبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقا دون النار

٤٣١ فصل: فى امتناع النوم على أهل الجنة

٤٣١ فصل: فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلا منها

٤٣٦ فصل: فى أن الجنة تتكلم

٤٣٦ فصل: فى أن الجنة تزداد حسنا على الدوام

٤٣٦ فصل: فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبن أزواجهن

٤٣٧ فصل: فى ذبح الموت بين الجنة والنار

٤٤١ فصل: فى ارتفاع العبادات فى الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

٤٤١ فصل: فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا

٤٤٣ الباب التاسع والستون: فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره

٤٥٤ فصل: وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

٤٥٧ المحتويات

